أرواح تائهة

القناع في الطباع

أرواح تائهة / **القناع في الطباع**

تأليف: سمير طحان

الناشر: دار كنعان
للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

دمشق – ص.ب 443 هاتف: 2134433 (11 - 963 +)

فاكس: 3314455 – 2134433 (11 - 963 +)

E-mail: said.b@scs-net.org

الطبعة الثانية: **2005 / عدد النسخ 1000**

جميع الحقوق محفوظة للمؤلِّف

سمير طحّان
النيّال – الأميري – بناية يوسفو – ط 2
حلب – الجمهورية العربية السورية
هاتف ثابت: 4463199 (21 – 963 +)
هاتف محمول: 093232364

الغلاف والرسوم الداخليّة: نقش على صابون الغار للفنّان غسّان عيّاط

إخراج: لبنى حمد

يمكن الاطلاع على كتب الدار ومنشوراتها على صفحة الشبكة التالية:
http://www.furat.com

سمير طحّان

أرواح تائهة

القناع في الطباع

الجولان: 1969
حلب: 2003

حول أرواح تائهة

*** أين أجد روحي بين الأرواح التائهة؟ وكيف أكشفِ قناع طبعي؟**

** هناك عاملان ثابتان وعامل متحوّل: فيوم ميلادك يوجِد روحك ويكشف طبعك الأساسي، وساعة ميلادك توجد الأرواح التي تتأثّر بك، ثم عمرك يكشف طبيعة المرحلة التي تعيشها الآن والتي تتغيّر كل أربع سنوات.

أنا مثلاً من مواليد الأوّل من آذار، فأنا إذن من ذوي الروح البطولية ولي طبع الثور، وأنا من مواليد الساعة الثالثة والعشرين فأنا أتفاعل مع ذوي الروح الطويلة من طباع الحية، وعمري الآن سبع وخمسون سنة فأنا إذن في المرحلة الفهلوية من حياتي أتأثر بطبع النعام.

*** أهو كتاب في التنجيم؟**

** لا! لا! التنجيم والتفليك والتبريج معارف ما تزال تراوح بين العلم والخرافة، أما أرواح تائهة فكتاب في التبصير. إنه يفتح بصيرة الإنسان على الخواص السلوكية الناتجة عن الخصائص الطبيعية بناء على نظرية النشوء والارتقاء للعالمين **لامارك** و**داروين**، والنسبية **لآينشتين**. إن كل نوع من الكائنات ناتج عن تفاعل عناصر معينة بنسب محددة، كما أن سلوك كل كائن من هذا النوع أو ذاك يختلف بحسب الوسط المحيط الذي يعيش فيه.

كل شيء يتغير ويتطور، وكلنا في الأساس واحد، وما طباعنا سوى أقنعة نتداولها طوراً بعد طور.

*** أهو التناسخ وعقيدة وحدة الوجود؟**

وحدة الوجود والتناسخ هو الجانب الخرافي في الواقع، أما

الجانب العلمي فيستند إلى قانون مصونية المادة وقانون التفاعل الحيوي. »لا شيء يفنى ولا شيء يخلق من عدم ولا شيء يبقى على ذاته«.

وما الحركة الكونية إلا انتقال من وجود إلى وجود، وما جدلية الحياة والموت إلا انتقال من حالة إلى حالة في كينونة متغيرة وصيرورة مستمرة.

إهداء افتتاحي

إلى أخي مروان
ولولا جدّه وكدّه
هذا الكتاب ما كان.
إلى أخي أنطوان
وامرأته ليلى أمّ العيلة
وكم يُجنّباني الشعور بالحرمان!
إلى أنيتّا خباز
أمّ القلب الممتاز
وما أحوج الشريد إلى واحة
في صحراء العمر تمنحه نفحة راحة!
وإليكم: يا كلّ الناس! يا أهل الإحساس!
يا أصحاب العقل! يا أحباب العدل!
باقة جمال وخير وحقّ وحبّ
لعلّنا نجلو بعض أحزان القلب
إن عجزنا عن نسيان كلّ الغلب.

زَيْج الأرواح التائهة

جولة في الجولان

المكان: مكبّ الدبس، كوم الويسيّة، سحم الجولان. الزمان: 1969

هذه هي الجولان: أرض آنو ـ أبو الآلهة. يحشر فيها الأرواح التي تجول بها الرياح في فترة التيه بين تناسخ وتناسخ. فيا روح طوفي وشوفي ودوري وزوري وجولي وحولي فلن تزولي. ها قد تكوكب الموكب فيا أيّتها الرياح ابدئي الزياح.

زياح الروح المِحوَرِيَّة

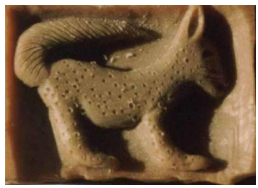

النصف الأوّل من كانون الثاني، يؤثر على مواليد الساعة الرابعة والعشرين، ويشبه من هم في عمر الخامسة والتسعين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح المِحْوَرِيّة تتقمّص الثعلب

حكمة الثعلب في أنّه يدفعك إلى الزلل ليمسكك على الخطأ ويقيم عليك العدل. الثعلب مُستقلّ ومكتفٍ بذاته ونشيطٌ وذو عقلٍ فعّال ومُبتكِر. الثعلب بنّاءٌ هدّامٌ صنديد رعديد قلق زلق ماكر ناكر مرح وقح يجسّد التناقضات الراسخة في النفس الإنسانيّة. في الثعلب تجتمع الأضداد: إنّه البطل الخلاّق العامل على التحضّر والتمدّن والرقيّ؛ والبطل المحّاق العامل على السفالة والنذالة والوطاوة معاً. إنّه رسول الإبداع السامي والخداع المنحطّ. فإمّا يقود النفوس إلى العظمة وإمّا إلى الحقارة.

الثعلب شفيع الأحياء المنبوذين والموتى المرذولين. إنّه زيرٌ يُغري كلّ الإناث. وأُنثاه فاتنة تغوي كلّ الذكور. الثعلب يُخصِب الجديب ويُجدِب الخصيب. إنّه شهوانيٌ مُشعِلانيٌّ. يُعلِّل ولا يُنوّل ويُشوّق ولا يُذوّق. الثعلب يُعلِّم الرجال الخداع والنساء المراوغة أو بالعكس. وفي النّفس ثعلبٌ ملاكٌ شيطان يُسوّغ للجسوم الزّنى ويحرّضها على العفّة. إنّه يملك إكسير الحياة وسُمّ الموت، وعقل الثعلب مُتَلوّن كالحرباء يصطبغ بواقع الحال ويصبغ أفكاره كيفما يريد وحسبما تقتضي مصلحته الفردية. إنّه اجتماعيّ اتّباعي، أليف حصيف، كهين فطين، نسناس حسّاس. رشيق رقيق، ذوّاق شوّاق، جليس أنيس، قادر أن يتاجر مع أيٍّ كان وبارع في التأقلم مع كلّ الظروف،

وماهر في التكيّف مع أعراف كلّ المجتمعات وتقاليد كلّ الأوساط وعادات كلّ الفئات. إنّه خبيث متقلّب ومُراء متبدّل ومنافق متغيّر ومخادع متحوّل. يتلوَّن على هوى منفعته المجرَّدة ذات الدوافع القذرة النظيفة والتصرّفات الجذّابة المنفِّرة والغايات الدنيئة الأبيّة، وعلى هوى صِلاته المريبة المُطمئِنة وعلاقاته المُخجِلة المُشرِّفة، وارتباطاته المُشينة المُزينة. إنّه بلا شخصيّة فارغ يتلوّن بما ينسكب فيه وعارٍ يتزيَّ بما يُكسى به. إنّه مزيَّف مُتزلِّف، مُتملِّق مُتحذلِق، يُداهن ويُصانع ليعيش على موائد المقتدرين والمُتسلِّطين ويتسكّع في أروقة التجّار والسياسيّين. إنّه طمّاع يخفي جشعه بعناية فائقة. إنّه محدِّث بارع مُقنِع يقطع على سامعيه كلّ طرق الرفض ويمنع عنهم كلّ وسائل معاكسته أو مخالفته أو مناوءته أو مناهضته أو مقاومته. إنّه فنّان في التملّص من المضائق والتخلّص من المآزق والانسحاب والانسراب من الطرق المسدودة. إنّه خدّاع صدّاع، غشّاش غبّاش، مكّار عكّار، مُساوِغ مُراوِغ يزوغ البصر بمناوراته ومداراته، ويُصرصِع الذهن بمشاوراته ويُبلبِل البال بمداولاته، ويُحلِّل فيُضلِّل بكلامه المعسول ووعوده البرّاقة وعهوده القاطعة. إنّه كذّاب مُحترِف ودجّال مُعترِف يبلف ويحلف، ويلخم ويُقسِم، ويختلق ليخترق ويُلفِّق ويُنافِق، وينمّ وينسّ، ويغتاب وراء الأبواب، ويلبد ويكمن وراء العراقيل والأحابيل بالمرصاد ليُحسِن المفاجأة وينجح في المباغتة والانقضاض. ومشية الثعلب مشهورة حتّى صارت رقصة عالميّة: فهو يتقدّم، فيتراجع، فيدوس ذات اليمين وذات اليسار، ولا يقف في موقع قبل أن يتحسّسه من كافّة الجهات. الثعلب، لا يمشي أبداً على العمياني. فلا يضع قدمه أو يده أو رأسه في مشروع قبل أن يدرسه من كافّة النواحي ولا يعطي رأيّاً أو يصدر حكماً أو يتَّخذ قراراً إلاّ بعد أن يفحص الحيثيّات ويُمحِّص الملابسات ويتحرّى الإمكانات ويُدقِّق المواصفات ويحسب الاحتمالات ويُفصفِص التفاصيل والجزئيّات، ويضع الحلول لكلّ العقبات. فالثعلب جريء وجسور قدر ما هو حذر وحريص، وشجاع ومقدام قدر ما هو يقظ ونبيه. إنّه لا يُغامِر ولا يُقامِر، ولا يخلط بين الشغل والصحبة. والحقّ والمحبّة. فالمقام الأوّل عندهُ للعدل ثمّ يأتي الكرم والسخاء والجود والنخوة والمروءة والأريحيّة. فالثعلب حكيم لا يؤخذ بالعواطف ولا يرضخ أبداً للابتزاز العاطفي. والثعلب دائم الإحساس بخطر داهم ولذا فهو دائم الاحتياط. ولكي يتقصّى ما يحيط به. لا يُدير ظهرهُ أبداً لجهة الخطر بل يحمي ظهرهُ بركن ثابت ويُحرِّك رأسه بخفّة ويجيل ناظرَيْه ماسحاً الموقع من الأقصى إلى الأقصى. إنّه مُراقِب

مواظب وملاحظ يقظ: لا يغفل ولا تشغله شاغلة عن رصد كلّ شاردة وواردة ليُحيط بكلّ المعلومات الصغيرة قبل الكبيرة والتافهة قبل الخطيرة. ومن براعته وفظاعته أنّه يُراقِب دون أن يشعر الذين يُراقِبهم أنّهم تحت المراقبة، وهكذا يأمنون فلا يتحفَّظون أو يتكتَّمون. ويقف الثعلب دائماً كالنابض بحيث يمتصّ الصدمة إذا جاءت على غفلة، فلا يفاجأ بها ولا يقع. والثعلب يُلعِّب أذنَيْه المنتصبتَيْن باستمرار ويُحرِّكهما كقرنَيْ استشعار ليُفهِم الحاضرين أنّه لا تفوته فوتة ولا شوربة بموتة. فعيناه على الطبق وأذناه لمن زعق. والثعلب ينصب ذيله الأخّاذ ويُلعِّبه بخبثٍ وخفّة ومهارة كفخّ متحرّك ليُلهي فريسته ببراعيّاته البهلوانيّة فينقضّ عليها ويستحوذها من حيث لا تتوقّع. فالثعلب داهيّة في الليل وفي النهار محتال مُخاتل يأخذ ولا يؤخذ على حين غرّة. وعند الفجر يحيّي الشمس فيتلاشى جسمه وتنطلق روحه لتحلّ في بشر وهكذا الثعلب يتغافل ليُغافل ويَغفُل ليستغفل ويستيقظ ليُوقظ ويصحو لينوّم، يحذر ليُحذِّر وينتبه لِيُسهِّي، يخاف لِيُخِيف ويرتعب ليؤَمِّن، يضعف ليُضعف ويُضعِف ليُقوِّي، يتشجَّع ليُشجِّع ويتحمَّس ليُفتِّر ويجبُن ليَغبُن، ويُيَئِّس ليُؤمِّل ويؤمِّل ليُحبِط، وهكذا دواليكم. الثعلب قدير على كلّ شيء قولاً وفعلاً: يلعب ويتلاعب بالأقوال والأفعال يُحلِّل ويُحرِّم كما يشاء وكالفاخوري يُركِّب أذن الجرّة حينما يريد وحيثما يريد وكيفما يريد. إذاً تدور شخصيّة الثعلب على محور السياسة النفعيّة التي تُحاوِل أن تُدرِك وتتدارك وتستدرك كلّ الأمور لتصبَّها وتسوقها في مجرى مصلحتها الذاتيّة. فطبع الثعلب بارد رطب وبالتالي كتيم ولذا فهو قليل التأثّر والانفعال. وعقل الثعلب مرن ذو دماغ مُتحرِّك وذو ذكاء خارق بارق. صافي الذهن، رائق البال ولذا يُحسِن التفكير والتقدير والتقرير والتنفيذ. والثعلب يميل بالفطرة إلى التجارة أو السياسة أو الاثنَيْن معاً، وسياسته مثل تجارته محسوبة بدقّة ما بعدها دقّة. فهو لا يحدِّد هدفاً إلاّ بعد أن يقدِّر نجاحه أو فشله فيحسب الإمكانات والاحتمالات والتضحيّات التي يجب أن يقدِّمها ولذا يحقِّق هدفه بنجاح ومهما كلّف الأمر، على مبدأ ضَحّ بالقليل لتنال الكثير وتحصل على أكثر ممَّا تبذل، ولا تكترث ذمّك النّاس أم مدحوك، ولا تهتمّ بشؤون غيرك. فالثعلب حازم الإرادة، ثابت العزيمة، رابط الجأش، صادق مع نفسه، مخلص لذاته، منقادٌ لمنفعته انقياداً أعمى ولذا لا تنكسر له شوكة إلاّ بدهاءٍ أدهى. والثعلب لبيب نجيب، أريب: أديب، لوذعيّ ألمعيّ يحبّ القراءة والكتابة ولذا يؤلِّف بوفرة، ولكنّ إنتاجه بارد العاطفة، قليل التنظيم، كما أنّ لغته قليلة التأنّق والتنميق والزخرفة. والثعلب

حيويّ غير دمويّ ونشيط غير عبيط، خفيف الحركة كثير البركة، ظريف ظريف، يميل إلى الافتخار ولذا يسعى إلى المجد والشهرة عن طريق المال. ولكنّه لا يصل إلى الغنى والثراء إلاّ في شيخوخته لأنّه كسّاب وهّاب، صرّيف في شبابه، مبذِّر على أحبابه، يحبّ الجخ والفخفخة، ويُفرِط في المآكل الطيّبة والمشاريب اللذيذة. فيهوى البذخ ويسأل عن راحته ويبحث عن رفاهيَّته. ويكتمل تكوين جسمه فيصبح أهلاً للزواج في سنّ السادسة والعشرين. والثعلبة رفيقة رقيقة لطيفة عطوفة بشوشة نغوشة مؤدّبة مهذَّبة مخلصة في الحبّ محافظة على الحق ثابتة على الولاء قويَّة عند البلاء رضيَّة هنيَّة حازمة حاسمة رصينة رزينة تبعث الهدوء والسكينة والأمانة والطمأنينة. تحبّ الملاهي والمسرّات والولائم والحفلات. ولكنّها لا تتجاوز الحدّ وتعرف أن تُحافِظ على اللياقة واللباقة وتقف وتُوقِف الانشطاط والانحطاط بكلّ جدّ. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً ً للزواج في الرابعة والعشرين من عمرها. إذاً الثعلب ذو حكمة نفعيّة وسياسة مُراوِغة يغيِّر لهجته حسب الظروف والأحوال فإنّه محافظ مُتزمِّت ومتشبّث بالأعراف والتقاليد والعادات ويكره التجديد لأنّه يعيده إلى نقطة الصفر ويحيجه إلى إعادة الحسابات والتقديرات والاحتمالات لإعادة سيطرته على المواقف. فعند الثعلب التجديد تبديد والثعلب يكره التبديد ولذا يكره البهرجة والتذويق والنمنمة والتنميق. وعنده الجمال بساطة والبساطة جمال ولذا لا يُسرف في زخرف العيش ولذا يعيش طويلاً محافظاً على بُنيَتِه القويّة المُقاوِمة للأمراض. ويساعده على طول العمر طبعه الهادئ ومزاجه الرائق. ودُمْتَ سالماً غانماً يا أخي الثعلبان! ودمتِ خبيرةً قديرة يا أختي الثعلبة!

زياح الروح الفحلة

النصف الثاني من كانون الثاني، يؤثر على موالي الساعة الواحدة، ويشبه من هم في عمر الرضاعة مئة سنة، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الفَحْلَة تتقمّص الأرنب

عقل الأرنب شبكة محبوكة من خيطين: الرجاء والخوف، ولذا تنتابه الأحلام السعيدة البعيدة فينطلق ويسرح ويمرح، ويندفع ويقدم. وتنتابه الهواجس المريبة القريبة فينغلق وينزوي وينطوي، ويرتجع ويحوم. وهذا التناوب يؤرجحه بين الوداد والصدود. تراه مرتاحاً فإذا به قد امتعض وتلقاه منشرحاً فإذا به قد انقبض. الأرنب يرتاد الأدغال الصغيرة ليبدو كبيراً ويعاشر الأدنى ليبدو أعلى. وغالباً ما يرمي نفسه في فخّ ليختبر أحبابه وأصحابه ويسبر غور مودتهم: أيحبّونه وينقذونه؟ والأرنب لا يزور الصحارى مطلقاً بل يؤمّ الروابي الخضر لأنّه خوّيف يطمئن بالألفة ولا يقدر أن يعيش أبداً وحيداً بلا وليف، ولذا قد تراه يؤالف من يخالفه ويجالس من لا يجانسه هرباً من وحشة الوحدة. وقد يُغرَم حتّى الهيام لا بحثاً عن التعاطف أو التفاهم أو الانسجام بل سعياً وراء التجديد. الأرنب أرض تسعى إلى الماء لترتوي وتحيا بترعرع الزروع في أصقاعها لأنّ العطش موت واليباس فناء. فعند الأرنب لا حياة بلا خضرة تتجدّد فتبعث الحيّ من الميّت. الأرنب أليف ضعيف وضيع وديع مُسالم ولكنّه بطل حضاري ينتقل من البداوة، إذ لا رعي بلا خضرة إلى الحضارة إذ لا حضارة بلا زراعة. وفي الأرنب يكمن السرّ الجوهري للكون فغريزته نبع غزير سيّال فيّاض ولذا فهو حيوي شبق ولود. وهذه الوفرة تدفعه إلى الكرم والجخ والفخفخة إلى حدّ التبذير.

فالتبذير من التكثير. والتكثير سرّ استمرار الكون. الأرنب واضح غامض لأنّه ذو حياتَيْن: حياة نهارية تنتشر بالعمل كنور الشمس وحياة ليليّة تمتدّ باللهو كضوء القمر حياة تحت الأرض خفيّة وحياة فوق الأرض جليّة. حياة أبوية تجوالية وحياة أموميّة بيتوتية. حياة طفولية اتّكالية وحياة كهوليّة مستقلة. وبين الحياتين العلنية والسرّية تتجلى فعالية الأرنب. فقوّة الأرنب في أنّه قارض لا يكلّ ولا يملّ من القرض. وعليه تكمن فعاليّة الأرنب في قدرته على أن يستخدم قوّته القارضة في أغراض سلميّة خيّرة أو في أغراض عدوانية شرّيرة وأكثر ما تتبدّى هذه الأغراض الجنهميّة في الانتقام. فالأرنب لا ينام على ضيم ولا يسكت عن ظلم ولا يصبر على جور بل يكيل الصاع صاعين وأكثر، ويجابه التحدّي بتحدٍّ أكبر، ولا يكتفي بالتصدّي للمعتدي ودحْره بل يتعدى على المعتدي ويقرضه عن بكرة أبيه. إلا أن انتقام الأرنب من الرهبة أرهب! وقدرة الأرنب على القرض الدائم تدلّ على جوعه الدائم إلى الغنى والثراء أو على الأقلّ إلى البحبوحة. الأرنب يحبّ الاستهلاك ولذا يجد لزاما عليه أن يؤمّن المصادر والموارد التي توفّر له المداخيل القادرة على مجاراة حمّى الاستهلاك لديه. وهذا ما يجعله يزيد نسله ليزيد دخله. وهنا تتجسّد في الأرنب الأريحيّة الأسرويّة على مبدأ دَع إنتاجك يستهلكك بدل أن تستهلك نفسك بنفسك وهنا يجد الأرنب أنّه يحافظ على ثروته في تبديدها على صغاره. وبالتالي فصغاره هم ثروته الحقيقية. والأرنب فحل يصرّ على إشباع أنثاه فإن ظلّت عطشى إلى الصبابة وجوعى إلى الغرام قرض لها بظرها ليخفّف شبقها ويقطع شهوتها. كما أن الأرنبة الأنثى تقرض قضيب فحلها لترتاح من ملاحقته لها وتخصيه لتتخلص من نار غريزته الدالبة وبغره الجنسي الذي لا يرتوي وهذه النزعة إلى الإخصاء المتبادلة بين الأرانب ذكوراً وإناثاً تزجّ الأرنب في تزهُّد وتعفُّف يذيقانه لذّة روحيّة تبعث فيه نهضة نفسيّة تحرّر خياله من روابط الواقع وتُطلق روحه من عقال المادّة ليحلّ في بشر. وهكذا الأرنب ذو دماغ شغّال وعقل فعّال وذكاء لمّاح لّماع. ولذا يجيد استخلاص النتائج ولو قصّرت معرفته عن الاضطلاع على كلّ الأسباب. كما يبرع في استنباط الأشكال الجديدة ممَّا يُتاح له من أشكال قديمة مهما قلَّت أو شحَّت فما عقله برّاداً يحفظ المعلومات بل فرناً ذرّياً يفاعل بين الأفكار ويبتدع منها فرضيات مفيدة تقود إلى نظريات جديدة. والأرنب ذو طبع بارد جافّ ومزاج متقلب. ولذا يميل إلى

التجوّل ثمّ إلى القعود في البيت. وعليه فللأرنب سلوكان: ظاهري وباطني، وكلا السلوكين يتجاذبهما السكون والحركة، الهدوء والغضب، الحماس والفتور،.. إلخ. والأرنب أليف لطيف ظريف، ورفيق رقيق رشيق، وحالم مسالم يكره المظالم إنه ذو نخوة ومروءة وحميَّة. ولذا يميل إلى إغاثة الملهوفين وإسعاف المنكوبين ومساعدة البؤساء ومساندة الضعفاء. كما يميل إلى إرشاد الضالين وإلقاء الصلح بين المتخاصمين. فهو مع الوفاق ضدّ الشقاق ومع الائتلاف ضدّ الاختلاف ومع الوئام ضد الخصام. ولأنّ الأرنب مع السلام فإنّه يبرر كلّ الوسائل في سبيل حلّ المشاكل، فقد يصانع ويخفي الوقائع ويكتم السرّ ليلجم الشرّ، وقد يلاسن ويداهن الغير ليفعل الخير. ويكمل تكوين جسمه فيصبح أهلاً للزواج في السادسة والعشرين من عمره. والأرنبة ذات عظمة خفيَّة وفيَّة، حادَّة جادّة، علميَّة عمليَّة، عنيدة عتيدة، تتمسّك بآرائها وتتشبّث بأحكامها. ولا تتأثّر بالغير مطلقاً. ولا تتزحزح عن انطباعاتها الخاصّة النابعة عن تحليلاتها الخاصّة وتعليلاتها الخاصّة. إنها ذاتيّة ولذا يتّهمها البعض بالأنانيّة والفرديّة، وقد تستخدم الطرق الاحتيالية لتُثبت أنّها موضوعيّة. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ الرابعة والعشرين من عمرها. إذن الأرنب واقعي لا يشطح بالخيال بل ينطلق من واقع الحال، فيضع تصوّرات تقبل تطوّرات مفتوحة على كافّة الاحتمالات التي يهيّئ الأرنب نفسه لقبول أيٍّ منها. فهو بارع في التنقّل بين العوالم السطحيّة فوق الأرض والعوالم الصميميّة تحت الأرض. وعليه فهو بارع في تقبّل كلّ النتائج مهما كانت معقَّدة لأنّه بارع في السير على الطرق الوعرة والمعبَّدة. فالأرنب يجد دائماً مخرجاً من كلّ المتاهات الطبيعيّة والمصطنعة. وذلك بواقعيَّته المقنعة التي تعمد إلى تبسيط المعقّد تارةً وإلى تعقيد البسيط تارة لإيجاد منفذ يكون المُنقِذ. والأرنب فريسة صعبة لأنّه يقفز من حيث لا يتوقّع الصيّادون وكلابهم، وغالباً ما يختار صيّاده فيعترض طريقه ويقول: صِدْني. وذلك حين يتوسّم في صيّاده الاستعداد للوقوع في غرام فريسته. على مبدأ: الصيّاد المصاد الذي يأتي ليصيد فيُصاد. وبما أنّ الأرنب يحبّ التكاثر والتكثير فإنّه يحبّ الإسراف والتبذير إلى حدِّ التبديد. على مبدأ: ما أطيب العمر بددا! ولذا يجيد دائماً وأبداً إيجاد النبع الغزير والمنجم الوفير الذي لا ينضب. وهناك يرتاح مهما يتعب. وُدمتَ طافِراً وافِراً، يا أخي الأرنب! ودمتِ فريزةً حريزةً، يا أختي

الأرنبة!

زياح الروح الغَاوِيَة

النصف الأوّل من شباط، يؤثّر على مواليد الساعة الثانية، ويشبه من هم في عمر الأربع سنوات، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثّر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الغاوية تتقمّص القطّ

سلوك القطّ حاليٌّ: فهو يلازمك ويتملّقك ويتزلّف لك في حال البحبوحة والرخاء؛ ويفارقك ويذمّك ويسخر منك في حال العوز والفاقة والقطّ شيخ المرائين في حال اليُسر وأوّل الهاجرين في حال العُسر. والقطّ يدعو لك بالخير ما دام ينعم بخيرك. ويدعو عليك بالشرّ ما دام محروماً من نعمك. وحكمة القطّ في أنه يترك الميّت ويلحق الحيّ، ويترك الماضي ويلزم الحالي. فالقطّ يعفّ عند الشبع وينهم عند الجوع. فإن جاع استوحش وإن شبع استأنس، والقطّ يلبس لكلّ حالة لبوسها فهو يتزيَّا بثوب الحمل الوديع المتواضع ليبتزّ عواطف الآخرين ويجلبهم إلى ملاطفته ومداعبته وملاعبته وإحاطته بالحنان والعناية والرعاية، ويتزيّا بثوب النمر الشرس المفترس ليُرهِب نفوس الآخرين ويحذّرهم من عواقب إهماله أو حرمانه من حقوقه الطبيعيّة أو المكتسبة. والقطّ يعتبر نفسه حامي الإنسانية من الآفات الباطنيّة. إنّه يحرس البشر ويساعدهم على التخلص من كلّ عدو خفيّ. والقطّ مريبٌ ما له صاحب ولا يُؤْمَن له جانب يربص ويتربّص ويتحيّن الفرص ليثب ويقتنص. والقطّ مُراقبٌ دؤوب ثاقب النظر ومُلاحِظ دقيق حادّ الذهن يفكّر ويقدِّر قبل أن يُقرِّر. ويحسب ويترقّب لحظة التنفيذ المناسبة. ولذا يصل دائماً إلى مراده. والقطّ يحيط نفسه بهالات قدسيّة وينسج حوله أساطير خرافية. ويُوهم

الآخرين بأنّه ذو بصيرة نفّاذة تَسْتَكْنِهُ البواطن وتستطلع الدخائل فتطّلع على الخفايا والخبايا فتستبق الأحداث وتكشف الغيب. وينتهي بأن يقتنع بأوهامه فيُضحي ضحيَّة قناعاته الوهمية. ومع أن القطّ يتجنّب الاغتسال تجنّبه للوباء فإنّه ينبذ الجفاف ويؤمن بأنّ الصحارى لا تُعطي حضارة، وأنّ اليباس يُبلِّد الإحساس ويُنشِّف الحواس ويُبخِّر العقل ويُرسِّخ الخمول والكسل ولذا يُحبِّذ النداوة فيتلحوَس ليُرطِّب جسمه على الدوام. ويُؤمِن بأنّ الريّ أعطى كلّ حيّ، وبأنّ الزراعة أعطت الثقافة. ويظلّ يسعى إلى المدنيّة والحرّيّة الكلّيّة حتّى تفيض روحه فتحلّ في بشر. وهكذا القطّ ابن يومه لا بل ابن ساعته ولا تهمّه غير اللحظة التي هو فيها. فعنده ما فات مات والذي هو آتٍ آت. وعندهُ الماضي فاضي وراح في خبر كان. والقادم قادم والغدّ له من يفكّر فيه. ولذا لا يُراجع نفسه ولا غيره. فمحاسبة الذات أو الآخرين مضيعة للوقت ومدعاة للمقت. كما لا يُخطِّط للمستقبل فالمستقبل مجهول والارتكاز على مجهول يُشتِّت العقول ويبعث على الذهول. فالمهمّ اللحظة الحاضرة لأنّها عابرة وعلينا أن نحياها بكلّ محتواها قبل أن تصير غابرة. وهذا التشدُّد في التحدّد بالحاضر يبلي القطّ بالتردّد. ويدعو البعض إلى اعتبار القطّ: بسيطاً عبيطاً هائجاً مائجاً من سذاجته، سادراً هادراً في سماجته، خالياً من البداهة غارقاً في البلاهة. وهذه النظرة المُنفِّرة تجعل القطّ ينطّ ولا يحطّ ويشطّ في الذلّ ويلطّ من الغلّ فينقلب إلى حقود حسود، يحسد الكلب على البصقة والميّت على الكفن، ومغرور لا تسعه الدنيا وغيور يغار حتّى من لحم أسنانه. ومشرّاني يطلع الشرّ من تحت أظافره وعدواني يقاتل الذباب الذي على وجهه. ولا يعود يطمح بل يطمع ويتجنّى ويتدنّى والحال أنّ القطّ طاهر الذيل شريف المَيْل، مستقيم الرأيّ مستديم التعب واللأي، طيّب القلب يحتمل الغُلب، صادق العواطف يقاوم العواصف ولذلك فهو سريع الانخداع مُريع الانصياع، وبالتّالي كثير الضياع ويثق بالدجّالين والمحتالين ويعجب بالمشعوذين والمزعبرين. فينجذب نحو كلّ جديد ويترك القريب ليلحق بالبعيد. إنّه يميل إلى كلّ خفيّ، وإلى كلّ ما كان محاطاً بالغموض، قائماً وراء حجاب. ولذا يتعاطى التفليك والتنجيم والفأل والاستطلاع على البخت والنصيب. ممّا يدفعه إلى المقامرة والمغامرة، لا حبّاً بالكسب، بل لما فيهما من مُنتظَر مجهول. وهذا الانجراف إلى المخاطرات والمجازفات، سعياً وراء هتك الأستار وكشف الأسرار، يرمي القطّ في التبذير بلا حساب فيقع تحت الكعاب.

ويعـمّ عليـه الإفـلاس فيـزداد حقـده علـى النـاس وحسـده للميسـورين والمرفّهين. فيتصلّب ويتطلّب. ويرفع درجة إعجابه بنفسه وتعلّقه بذاتـه. فيصـير شـديد الانفعـال، هائجـاً مائجـاً مـن حـال إلـى حـال، مُريـع اللـوم والعتب، سريع الثورة والغضب، غضباً يُبدِّل صدقه فجأة بكذب وطهارة ذيله وبُعده عن الحرام بالمعاصي والإجرام. فالقطّ ذو طبع حارّ رطب يشبه بركاناً مُجلّلاً بالثلوج ينفجر على حين غرّة فيغمر بحممـه المـروج وينشر الكوارث المرّة وهذا الطبع الحادّ المُتردّد بين البياض والسواد يتغلّب على مزاجه فيتقلّب تقلّبات مفاجئة من قرار إلى قرار ودون سابق إنذار. فتراه على اشتداد مستمرٍ في الاستبداد. يعطي ثمّ يستردّ ويأنف ثمّ يستعدّ، فيـرفض ويبغـي ويُثـبِت ويلغـي مثـل دوّارة الـريح لا ترتـاح ولا تُريح، عديم الحـزم والجـزم، خـائر العـزم، يعجـز عـن كـبح انفعالاتـه أو السيطرة على أعصابه. ممّا يؤدي بـه إلـى ثـورة قائمـة دائمـة فيغـالي فـي الصـفاقة والحماقـة، ويبـالغ فـي الشراسـة والشكاسـة. فيخطـف ويشـلف، وينصب ويغصب بكلّ دناءة وقماءة حتّى يوقع فوضى شاملة كاملة عامّة طامّة. فيُخرّب ويُدمّر فـي برهـة وجيـزة كلّ مـا كـان قد شيّده بجهـوده العزيـزة. ويكمـل تكـوين جسم القطّ فيصـبح أهلاً للـزواج فـي الخامسـة والعشرين من عمره. والقطّة جميلـة الشكل كميلـة العقل، وسيعة الحلم مصيبة الحكم، طيّبة القلب، أمينة على الحبّ، صافية النّيّة تصلح زوجـة وفيّـة. ولكـنّ القطّـة مولعـة بالاقتصـاد. فـإذا بلـغ بهـا التـوفير حـدّ البخـل والتقتير، وسيطر عليها الابتزاز والطمع والاستغلال والجشع، فإنّها تفقد اتّزانهـا، فتقلـب ميزانهـا، وتصـير لئيمـة وخسيسـة، وغير حريصـة علـى سـمعتها أو سـمعة أهلهـا، وقـد تتحـوّل مـن جهلهـا إلـى فـاجرة وعـاهرة. ويكمل تكوين جسم القطّة فتصبح أهلاً للزواج في سنّ الثالثة والعشرين من عمرها. إذن القطّ ذو عقل مُطلَق في دمـاغ مُغلّق. وذو ذكـاء نسبيّ يتفاوت حسب المواضيع، فيتنازل ويتصاعد طبقاً للمشاريع. ولذا فهو ذو تفكير شخصيّ وخصوصيّ. وبالتالي ذو تقديرات فرديّة وقرارات ذاتيّة في منتهى الأنانيّة. فإن صادقته مثلاً، فعليك أن تُصادق كلّ من يصـادقه وتعادي كلّ من يعاديـه، وأن تصـادق علـى كلّ مـا يقرّره وتبرّر كلّ مـا يبرّره، وأن ترتئي مـا يرتئيـه وتُجاريـه فـي كلّ مـا يرومـه ويبتغيـه. وإلاّ فأنت منافق، وغير صـادق، وغير لائق لتكون صديقه أو حتّى رفيقه. على مبدأ: »إن لم يكن عقلك على عقلي، وطبعك على طبعي، فالأفضل ألاّ نلتقي«. والقطّ يقدّس أسلافه، ويعظِّم أجداده، ويلصق بسلالته خوارق

وأعاجيب لا تخطر على بال ولا يطالها خيال. وبالتالي يعزّز هذه الخرافات والمعتقدات في نفوس أولاده وأحفاده ليبقوا أمناء على كنوز أسلافهم، وأوفياء يعيشون حاضرهم ويبنون مستقبلهم على أسس أجدادهم حتّى إذا التزموا بما حثّهم عليه. سخر منهم ودعاهم إلى نبذ التعصّب القبلي والتزمّت العرقيّ والدينيّ، والتمييز العنصريّ، وحرّضهم على الانتماء للإنسانية. وبِذا فالقطّ مُتضارب الآراء، مُتحارب الأهواء، هوائيّ التصرّف، فجائيّ التطرّف، يقفز من الأقصى إلى الأقصى. لا تعرف أهو يطيع أم يعصى. مثل طفل صبيانيّ الانفعال، صبيانيّ ردود الأفعال. إنّه وحش أليف، لطيف عنيف، رفيق أنيق رشيق، فظّ غليظ صفيق. يمزج الإقدام بالإحجام، والحذر بالجسارة، والبلادة بالهيجان، والإباء بالدناءة، والحسد بالإغباط والأنانيّة بالغيريّة، والمزاح بالخبث، والرخاوة بالشدّة، والهدوء بالغضب، والمكر بالطيب. وما هذا المزج الغريب والخلط العجيب، والسلوك المتبدّل المتحوّل، المتغيّر المتفجّر، المتضارِب المتراكِب، إلاّ رغبةً من القطّ في لفت الانتباه إليه، وزيادة الخير لا على الغير بل عليه. فالقطّ يؤمن بأنّه مقدَّس ولذا يجب أن يُبجَّل، وفأل خير ولذا يجب أن يُدلَّل، وجلاّب سعادة وسيادة ولذا يجب أن تكون له رُزَّة زيادة. كما يجب على الجميع أن يتركوا واجباتهم ليهتمّوا به. وأن يرموا أحبابهم وحتّى أولادهم ليتلقّفوه ويأخذوه بالأحضان. فهو صاحب الحقّ الأوّل وملعون من عنه يتحوّل. وما ضرّ أن يحزن الآخرون ليفرح وأن يتعبوا ليرتاح؟ ثمّ أليس حراماً أن يفرح الآخرون وهو حزين وأن يهنؤوا وهو شقيّ؟ وبعد هذا وذاك وذلك لماذا الحزن على من يموتون ما دام هو حيّاً؟ ودمتَ معزَّزاً مكرَّماً، يا أخي القطّ! ودمتِ شاعلةً فاعلةً، يا أختي البيسة!

النصف الثاني من شباط، يؤثّر على مواليد الساعة الثالثة، ويشبه من هم في عمر الثماني سنوات، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثّر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الودّيّة تتقمّص الكبش

الكبش نشيط غير بليط ولا سليط، إنّما أحياناً عبيط. والكبش فحل في الأصل وذو فعل مهما كان الفصل. والكبش ذو فطرة طليقة تقوده على السليقة. وذو حميّة تدفعه على السجيّة والكبش قويّ سويّ، قادر هادر، عظيم التأثير، عديم التفاخر، يدعو إلى التكثير بالتكاثر. يمثّل القوّة التناسليّة التي تدفع الكائنات إلى الإخصاب والإنجاب لتضمن استمراريّة الدورة الحياتيّة. ولذا يقرن الهياج والمروءة بعنادٍ قد يشتطّ فيعمي. في الكبش نار الغريزة الحيوانيّة المحرّكة المقوّية المحيية المحرّضة على الالتزام والنظام والعمل، والباعثة على الشطط والفوضى والكسل في آن معاً. وعليه فنشاط الكبش إشعاعيٌّ يندلع في نقطة مركزيّة ثمّ ينتشر في كافّة الاتّجاهات. والمُشِّع في العادة مُبدع. وبالتالي فهذا النشاط الإبداعيّ يتميّز باندفاع عفويّ نقيّ خام مفاجئ سريع جموح. تتخلّله فورات هوجاء وهبّات حارقة تجعل أفعاله هجوميّة صادرة عن نفس مضطربة مصطخبة فائرة ومُتشنِّجة. والحال أنّ طبيعة الكبش بحر مكتوم: في الظاهر، هادئ راضٍ سلس ودود مرن، وفي الباطن، صاخب غاضب شكس عدوانيّ متصلِّب. وهذا الكتمان يغذّي حيويّته الفائقة، ويؤجّج ميوله الفطريّة إلى حياة الصخب واللهوّ والهرج والمرج، وإلى تحدّي الأخطار بالإقدام على المحظور، واجتراح المحرَّم لتلقّي صدمات تستهلك طاقات كيانه المُفرط النشاط ليرتاح بالهمود،

أو على الأقلّ ليتّزن بالاعتدال. والكبش فعّال والفعّال عادةً يحبّ الحرّيّة، ولذا فالكبش يسعى دائماً إلى الاستقلاليّة وحتّى لا يكون مُرتبطاً بغيره ومسؤولاً عن سواه فإنّه يجدّ ويكدّ ليبعث روح الاستقلاليّة في مَنْ هو في كنَفِهِ ومَنْ هم في كنفه، ليتحرّر منهم ويتحرّروا منه. وهكذا نرى الكبش قائداً يُساعِد الرعيان ليصيروا مسؤولين عن القطعان، بحيث تبقى مسؤوليته ثانويّة لا أساسيّة، فينطلق على هواه مسخِّراً لنفسه قواه. وقرنا الكبش المدبَّبان الملولبان المُحَلزَنان يبعثان فيه رغبة دائمة في الاختراق. فإمّا يخترق أبواب الأسوار والأرحام ليفتح الطريق للحياة، وإمّا يخترق الأجسام ويفتح الطريق للموت. ولذا فالكبش مولع بمنافسة الوحوش، يستدرجها، فإمّا تستأنس بمحبّته فيغلب الضعف القوّة وتنتصر المودَّة على العدوان، وإمّا تستفرس فتصرعه فتغلب القوّة الحقّ وينتصر الظلم على العدل. والكبش ذو نفس مائيَّة مرنة وطبيعة ناريّة فاعلة، ولذا تكمن فيه القدرة على التسامي. فإن صعَّد ميوله من الفطريّة إلى العلميّة واستثمر طاقاته الفكريّة لاتّخاذ قرارات صالحة وسخّر قدراته العمليّة في تنفيذ أعمال بنّاءة، توصَّل إلى التسامي على نزواته والارتقاء إلى قمّة الفعاليّة الإيجابيّة. فاستغلال النشاط المُفرِط في مشاريع مفيدة وممتعة يُخفِّف الضغوط ويُحوِّل التدمير الذاتيّ إلى التعمير الموضوعيّ. وهكذا تتجلّى في الكبش القوّة المزدوجة الفعاليّة ذات القدرة على التبدّل والتبديل والتجديد بالإخصاب أو بالتخصّب. وبعث الحيّ من الميّت. والخير من الشرّ، ومواصلة التنميّة بالتضحيّة. فالكبش هو الضحيّة، يسقي بدمه الأرض ليطلع الزرع، ويفدي بحياته البشر فيحلّ فيهم ويحيا ما حيا الإنسان، وهكذا الكبش ذو عقل بئر في دماغ صخرٍ وذو ذكاء ارتوازي. ولذا فهو ذو تفكير عمليّ، وتقديرات علميّة وقرارات مرحليّة. تتمحور حول الاجتهاد للوصول إلى المراد، وترتكز على الجدّ والكدّ لتحقيق الطموح عبر الأمس واليوم والغدّ. فالكبش رغم حزمه الضعيف وعزمه الخفيف يتحلّى بالمثابرة، فيتابع عمله بحكم العادة، فيصل بجهده الضئيل الدؤوب إلى فعل المستحيل، على مبدأ: »القطرة الدائمة تبخش الحجر؛ وقِشّة قِشّة تبني العِشّة«. والكبش ذو طبع بارد رطب، ولذا فهو قليل الانفعال بطيء ردود الأفعال، وذو مزاج رائق لا يعكِّره سوى سبب قاهر يستفزّ الأعصاب ويهزّ الكيان لأنّه ما كان في الحسبان. ويكتمل تكوين جسم الكبش فيصبح أهلاً للزواج في الرابعة والعشرين من عمره. والنعجة وديعة مطيعة، حالمة مسالمة، هادئة مهدِّئة، هانئة مهنِّئة، مُقتصِدة غير مُبدِّدة، سلسة، مسايرة لا

تحرَن أو تحرد. وشهوتها للحبّ لا تبرد، تصون ولا تخون. وتُدافع عن نفسها ضدّ السفالة والنزالة بكلّ بسالة ولذا تصلح زوجة وفيّة تقوم بواجبها الزوجيّ والأُسرويّ على أكمل وجه، إلاّ إذا طرأ ما يخدش مشاعرها أو يجرح كرامتها، فإنها عندئذ لا تتورّع عن إثارة المشاكل واستخدام كلّ الوسائل لتثأر ممَّن استغلّوا طيبتها وانتهكوا إخلاصها. ويكمل جسم النعجة فتصبح أهلاً للزواج في الثانيّة والعشرين من عمرها. إذاً الكبش ثابت على ما يقتنع به. يواظب على شغله بهدوء وبأقلّ درجة من المباهاة. ولا ينفجر إلاّ عند الضرورة القصوى. والكبش ذو عظمة سطحيّة تترسّخ أسسها يوماً بعد يوم، فتُحقِّق رغبته في الارتفاع عن الآخرين وبلوغ عظمة جذريّة صميميّة. ودمت جِدِّياً ودّيّاً، يا أخي الكبش! ودمتِ صفيّة وفيّة، يا أختي النعجة!

زياح الروح البطوليّة

النصف الأوّل من آذار، يؤثر على مواليد الساعة الرابعة، ويشبه من هم في عمر الثانية عشر، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح البطوليّة تتقمّص الثور

الثور طيّب رصين، ذو قوّة خيِّرة هائلة، وهمّة فائقة على العمل الصالح ورغبة دائمة بالتضحية. الثور يعين الآخرين بلا مقابل. إنّه يخدم: يحرث ينقّب يدير الطواحين.. إلخ. ويقتات من حشائش الأرض البرّيّة فلا يكلّف صاحبه بالعلف. ولذا يعلِّم الوداعة والتواضع والنزاهة والتجرُّد. الثور جلود لا يتأثّر بتقلّبات الجوّ: يعمل في الحرّ والقرّ وفي الأراضي الجرداء والمزروعة وفي الجدب والخصب. ولذا يعلِّم العمل في الدِعة والشظف. ويؤكّد على الاستمرار في الإنتاج مهما كانت الظروف. الثور روحانيّ يعمل غير آبهٍ أكان صاحبه خيِّراً أو شرّيراً، ولا مُبالٍ أصالحٌ استهلك إنتاجه أم طالح؟ ولذا يعلِّم تقديس العمل وحبَّ العمل للعمل لا لمصلحة خاصّة بل لمنفعة عامّة تتوزّع بعدالة طبيعيّة بين الأبرار والأشرار وبلا تمييز بين مليح وعاطل إيماناً بحقّ الجميع في البقاء والاستمرار. الثوء صوفيّ واعظ يفلح العقول ويحرث النفوس ويعدّها لتلقّي بذور الجمال والخير والحقّ والمحبّة الشاملة. الثور حارس أمين يسعى إلى الحفاظ على الحضارة بفلاحة الأرض لتبقى خضراء بالزروع المُغذِّيّة للضروع وللبشر ويجسِّد القوّة الهادئة والثورة الباردة والفحولة المندفعة إلى حدّ التهوّر والحماسة الدائمة إلى عبور المتاهات إنّه الوحش الأليف الشرس الأنيس الذي يبذر الخصب حيثما يحلّ. الثور ذو طاقات خلاّقة

كامنة تنفجر إذ تُفجِّر وتبدو إذ تُبدي. ولذا فهو لا ينفعل إلاّ إذا فعل، ويختزن الثور قدرات جبّارة على التأثير دون أن يتأثّر: فهو يُحرّك وهو ساكن، ويُهيّج ويظلّ هادئاً ويُثير دون أن يثور، إنّه نار باردة تُشعل ولا تشتعل. الثور ذو فحولة مُخصبة لا تُقاوم ولا تعرف الاستقرار بل تتفاقم وتتعاظم باستمرار بحيث لا يحتاج إلى تهييج لأنّه في هياج ملازم دائم متزايد غير متهاود. تتجلّى في الثور الفحولة السماوية والإخصاب الإلهي. فهو مارِع ماتِع لا يكلّ ولا يملّ ولا يسكن ولا يركن، جُبّ لا ينضب بل ينضح مهما منه تنتَح. في الثور روح المواجهة الهادئة فحيويته دمويّة باردة ولذا فناره نورانيّة، تُنير ولا تحرق. إنّه الحرارة المدفئة والبرودة المنعشة والثور باطنيّ مركز قوتّه في باطنه، وقوّة باطنه تسند ظاهره فيحتمل ويحمل وينتقل وينقل. والثور كيميائي يُفاعل ويتفاعل فيتحوّل ويحوِّل ويصعِّد الطاقات الجسميّة والماديّة إلى طاقات نفسيّة وروحيّة فيحلّق في الخلق ويبرع في الإبداع. والثور محارب كونيّ يُصارع الشرّ والفساد أينما كان، ويُناصر ما فيه خير الإنسان والحيوان والنبات والجماد. والثور مُصلِح جوهري يستصلح البور ويُؤكِّد أنّ إصلاح الجذور يؤدّي إلى إصلاح الفروع. والثور أبٌ روحيّ يتبنّى اليتامى بالروح ويتعهَّدهم بالرعاية والعناية حتّى ينفطموا نفسيّاً ويستقلّوا عمليّاً. والثور يؤمِن بالتعدّديّة وعنده تتكامل الأضداد ولا تتناقض. ولذا يراعي تكافؤ الفرص حتّى يؤدّي كلّ نقيض دوره كاملاً في الوحدة العُضويّة للكون. والثور كونيّ لا يعترف بالتقسيمات الجغرافيّة. فالمكان للكلّ والزمان للكلّ والإنسان أخو الإنسان. والإنسان غاية الإنسان في كلّ زمان ومكان. والثور إن خار أثار العناصر وهيّج الكائنات ودفعهم إلى القوّة ليُروِّضوه ليُسخِّروه في البناء لا في التخريب. فالثور يمثّل القوّة الفاعلة التي تمكِّن من يمتلكها على النجاح بالسيطرة على الذات وبالتالي على الموضوع، أي بوضع النير على الثيران الداخليّة والثيران الخارجيّة. والثور مُقاوِم عنيد وبطل صنديد، يفضِّل أن يستشهد في الحلبة عن أن ينذبح في المسلخ. ويظلّ بحزم أكيد وعزم حديد يعمل ليُكمِل المجد التليد بمجدٍ جديد إلى أن تفيض روحه فيحلّ في بشر. وهكذا تتجلّى في الثور كلّ الغرائز الحسّيّة وخاصة غريزة البقاء. ولذا يجدّ ويكدّ، ويصانع ويصارع ليتابع وقاية وحماية أسباب الحياة. ويناضل ويقاتل ليواصل صيانة موارد العيش. إنّه يحب الحياة ومن يحب الحياة يحب المتعة ومتعة الثور في المعرفة والعمل على مبدأ: »زِدْ إطّلاعك، يَزِدْ إبداعك. وما عملك إلاّ عملك«. فالثور صانع للحياة وعامل

على تجديدها بفلاحتها وبذرها ببذور المحبّة. والمحبّة محور طبيعة الثور. وحول المحبّة تدور كلّ أعماله. ولذا يؤمن بأنّ المحبّة تصنع الحياة وتُجدِّدها. وبالتالي يندفع إلى الأمام برويّةٍ وبطءٍ وعُمق وأناةٍ وثبات وصلابة وجلادة.. يمشي تشدّه الأرض بجاذبيتها، وتجذبه الآفاق بكثافتها. وهو يمشي ليناغم بين عناصر وكائنات هذا الكون، هذه الأرض، هذا الحقل الذي لا ينمو ولا يزدهر ولا يثمر إلا بالمحبّة الفعليّة العمليّة المستمرّة، وبالأفعال الودّيّة والأعمال الحبّيّة المستمرّة. فالحياة عند الثور حسّ وإحساس. الحياة مواد نراها ونسمعها ونشمّها ونلمسها ونذوقها. والحياة أرواح نتجانس معها ونتعاطف ونتفاهم معها. ونتعامل معها لنزيد خيرات هذه الأرض. فنتمتّع بمباهجها وننتشي بسحر ملذّاتها. فالتعطّش إلى الحياة وثيق الصلات بالنفس الأريحيّة وبالحيويّة العتيّة وبالبنية القويّة. وهذا التعطّش الحيويّ لا يرتوي إلاّ بالتعادل بين لذّة العمل ولذّة الحبّ. إنّه التوازن بين التعب والشظف تحت نير الواجبات والبحبوحة والراحة في كَنَف واحة الحبيب. وبذا الثور ذو عقل صاغ في دماغ متحرّك وذو ذكاء مرن يتأقلم مع كلّ الظروف ويتكيّف مع كلّ الكائنات. ولذا فهو ذو تفكير عمليّ وتقديرات موضوعيّة، وقرارات عموميّة تسعى إلى التقدّم والتطوّر لبلوغ الرقيّ الجوهريّ. ويتميّز الثور بنشاط ينشِّط البليدين، وبهمَّة عاليّة تثير هِمَمَ المتخاذلين، وبحماس يحمِّس المتقاعسين. لذا يعكف على العمل ليشجِّع على الإنتاج. ويكبّ على المطالعة والتنقيب في عموم العلوم ليحرِّض على التركيز والأخذ بالمناهج الدقيقة والعميقة. والثور جنديّ بطبعه ينتظم وينظِّم ليعلِّم ضرورة التنظيم وفائدة حفظ النظام والثور شغّيل دؤوب جلود يصبر ويصطبر ويتصبَّر ويصابر، ويُكابِر ويُثابِر ليُعلِّم أنّ النجاح في المواظبة والمداومة ومتابعة المراقبة لمواصلة التنفيذ. على مبدأ: »أنّ العبقرية مثابرة. وأنّ العقل المنظَّم عقل مُنظِّم. وأنّ النصر والفلاح والفوز والنجاح تتأتّى عن التفكير الجيّد والتقدير الجيّد والتقرير الجيّد والتنفيذ الجيّد«. والثور ذو نفس سامية وأفكار راقية، يغار على المبادئ الإنسانيّة ويُدافع عن الحرّيّة برصانة ورزانة، وحزمٍ ولطف، ومنطق سليم، ولغة علميّة منظَّمة. ولذا يصلح الثور للمهمّات الدبلوماسيّة. ودبلوماسيَّة الثور ترتكز على قوّة الحقّ، وتهدف إلى الخير. وحيث أنّه يجيد الكلام فسياسته تعتمد على الوضوح في التعبير، وعلى التنظيم في التدبير. والثور ذو طبع حارٍّ رطب ومزاج حادّ مُنفرج. ولذا يُبذِّر مع أنّه يحبّ الاقتصاد، ويُفرِّط بحقوقه مع أنّه يحبّ العدل. وكثيراً ما يجاري ميوله وأهواءه

ونزواته. فيتزعزع ثباته وتتضعضع حياته فيضيع ويتهوَّر فيتدهور. ويكمل جسم الثور فيصبح أهلاً للزواج في الثالثة والعشرين من عمره. والبقرة أمٌّ كونيَّة تُحوِّل خيرات العناصر إلى حليب نفيس، فتُرضع الكائنات بماء الحياة هذا الذي فيه جوهر الروح المحيية المُنهضة. هذا الإكسير الذي يُطفئ نار العطش والجوع، ويُدفئ البردان ويُبرئ الموجوع. هذا الترياق الذي لولاه ما كان نموّ ولا ترعرع ولا ازدهار. والبقرة أنثى دائمة الصبا والشباب، أنيسة أنيقة لطيفة، عطوف رؤوف رؤوم، بسوم بشوش، مليحة مريحة صريحة، تقول الحقيقة على السليقة، وبنّاءة معطاءة. سخيَّة تعيش على السجيَّة ذات فطرة تدعمها الخبرة. تحبّ الفرح والمرح والهناء، والموسيقى والرقص والغناء، ولذا تُحيي الآمال وترعى الأعمال. وتُمسك القائل على الأقوال حتّى يُحوِّلها إلى أفعال. وتُشجِّع على الأشغال وترضى بكلّ الأحوال. والبقرة سماء على الأرض، إنّها شمس في النهار وقمر في الليل. وإن غابت لمعت برقاً ينير العتمة. وإنّها بسمة سماويَّة تُنسي التعب وتشدّ القلب والصُّلب. وإنّها غيمة تذوب أمطاراً وتجتمع ينابيع وأنهاراً. تُنقِّي وتُصفِّي العناصر فتسقي الزروع وتملأ الضروع، وتغذّي الكائنات فتتجدّد الحياة. وإنّها ربيع دائم لا يخلف ميعاده أبداً ولا يستثني من خيراته أحداً. والبقرة أنثى غامضة رابضة نابضة، هادئة هوجاء، عاقلة رعناء، تتبع أهواءها ولا تعمل إلاّ الذي في عقلها، وإن تركّب عليها الله، ومع ذلك تركِّب معادلات سحريَّة تُفجِّر المنابع النورانيّة الكامنة كآبار جوفيّة في أعماق صحاري النفوس البشريّة. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ الحادية والعشرين.

إذن الثور بطل في الحبّ والحرب، والسلم والقلم، والأمل والعمل. يُحسِنُ القول كما يحسن الفعل في الجدّ والهزل. إنّه قاسٍ على نفسه ليّنٌ مع غيره، ضعيف تجاه أحبابه وأصحابه، جبّار عاتٍ تجاه تقلّبات الحياة. دبلوماسيّ يصبّ طاسة باردة وطاسة ساخنة ويضرب ضربةً على النعل وضربة على الحافر، فنّان يعشق الجمال ويسعى إلى الكمال، وسياسيّ يهدف إلى الخير والحقّ بالخير والحقّ لا بالشرّ والدقّ. ومهما تطرّف يعود إلى الاعتدال، ودمت مكابراً مثابراً يا أخي الثور، ودمتِ معطاءةً بنّاءةً يا أختي البقرة.

زياح الروح النمرودة

النصف الثاني من آذار، يؤثر على مواليد الساعة الخامسة، ويشبه من هم في عمر السادسة عشرة، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح النمرودة تتقمّص المِعْزَ

المعز خفيف رشيق سريع نبيه متوقِّد ومتحفِّز. ينزع دوماً إلى الحرّيّة والتحرّر والاستقلال والانعتاق والتلقائيّة والاندفاع والانفلات والتجرّؤ والتجاسر والإقدام والتهجُّم والاقتحام إلى حدّ الاستهتار والتهوّر والمهاترة لتبرير تبدّله وتقلّبه ومجاراة أهوائه ونزواته. المعز هيولى قابلة لكلّ شكل ومستعدَّة لاتّخاذ أي صورة. المعز حسّاس يتأثَّر بتقلّبات الطقس تأثراً لا منطقياً: فقد يبرد في الحرّ ويحمى في القرّ، وقد يغلي في الدفء ويجمد في البرد. ولذا فهو متطرِّف لا يعرف الاعتدال ينتقل من النقيض إلى النقيض، من الصحو إلى المطر ومن العصف إلى السكون. المعز يتفانى فيجدّ ويكدّ في الشظف والعوز والفاقة حتّى الزهد، ويتوانى فيكسل ويخمل في الرخاء والبحبوحة والدِعَة حتى البطر. ولذا فهو يغذّي روح المقاومة ويُطفئ جُذوَة المسالَمة فيشجّع التحدّي والتصدّي إلى درجة التعدّي. ويُنفِّر من الطاعة والخضوع والخنوع إلى درجة التقزُّز. المعز يُرعد ويُبرق ليُبلبل وليصحّي ويصفو ويُشمس ليُسكّن ويُنوّم. المعز بقفزه وقمزه يدلّ على الكنوز والأراضي البِكر فيُعلِّم ركوب الخطر لكشف المجهول واكتشاف الجديد والارتقاء لاعتلاء أرفع القمم. المعز صوفيّ عمليّ يعلِّم أنّ إتعاب الأجساد يُريح الأرواح وسموّ النفوس يسمو بالأجسام، المعز يتنطّح لتبرئة

الخطأة طامعاً في أن يُبرِّر الآخرون أخطاءه. المعز يُضحي ليُنقذ، ثم يوقع الذين أنقذهم في فخّ الاعتراف بتضحيته فيتحكّم بهم ويجعلهم ضحاياه. المعز فطريّ لا يؤمن بشريعة تُخالف الطبيعة وبالتالي مشاعيّ عنده كلّ الذكور لكلّ الإناث وكلّ الإناث لكلّ الذكور ولذا يتّهمونه بالإباحيّة. المعز غريزيّ عنده الغرائز قويّة، وبالتالي عنيفٌ لأنّ القويّ عنيف ولذا ينبذ اللطف لأنّ اللطف ضعف والضعيف لطيف. المعز نزواتيّ، فجأة يهبّ وفجأة يسكن، وبالتالي انفلاتيّ لا ضابط لأفعاله، يؤالف ويخالف على هواه. وبالنتيجة اعتباطيّ لا ناظم لسلوكه: بلا موجب يحبّ أو يكره ولذا يتّهمونه بالظلم والعسف والجور وبالتّهاون والتخاذل والخيانة وبالنكران والجحود. المعز منظِّم العقل ومحدّد الأهداف ولكن فوضويّ الطرائق متعدِّد الوسائل وبالتالي يستحيل توقّع أفعاله أو ردود أفعاله. وبالنتيجة يُفاجئ، تتوقّع منه الخير فيُباغتك بالشرّ وتتوقّع منه النقمة فيُعاجلك بالنعمة، ولذا يعتبرونه مريباً خطيراً لا يؤمن جانبه ولا تطمئن إليه النفوس. المعز قلق مقلق يُنعِم فيندم فيؤلِم فيتألم فينقم فيغتاظ فيُغيظ فيأسف فيأنف فيتدنّى فيتجنّى فلا يُهنِّي ولا يتهنّى بل يُعذِّب ويتعذّب ولا يُريح ولا يرتاح، ولذا يتّهمونه بالنكد والتكدير. المعز انعطافيّ ينعم على المحرومين فهو ذكر التي ما لها ذكر وأنثى الذي ما له أنثى وابن أهل العنوسة والعقر والثكل يُرضع ويرعى اليتامى حتّى إذا اكتفوا انعطف عنهم وانقلب عليهم ولذا فأناس يرونه ملاكاً وأناس يرونه شيطاناً. المعز استقلابيّ يُعادي الناجحين حتّى إذا فشلوا قام يُناصرهم ويُناصر الخائبين حتّى إذا توقّفوا قام يُعاديهم ولذا يتّهمونه بالغدر والخداع وبالاستغلال والابتزاز ويصفونه بالهدّام والمخرِّب. المعز مأسويّ نوّاح دائم البحث في الأفراح عن نقطة مُحزنة يطقّ وينقّ عليها ولذا يعتبرونه وجه نحس وفأل شؤم. المعز ذو مزاج ومدّع يضرب ويبكي ويسبق ويشكي ولذا يحرص الآخرون على تجنّبه اتّقاء لشرّه. المعز استباقيّ يُذنب فيفطر الآخرين قبل أن يتغدّوه ويتّقي إدانتهم له باتّهامهم بأنّهم أذنبوا قبلاً معه، فدفعوه إلى أن يُذنب معهم، ولذا يتملّقه الآخرون فلا يُعاتبونه خوف أن يفتح طاروقه عليهم. المعز حسّيّ يُناصر الغرائز ضدّ العواطف وضدّ العقل وضدّ الأعراف والتقاليد والعادات ولذا يصمِونه بالمجون والفسق والفجور والفساد والانحلال الأخلاقيّ. ويعتبرونه داعيّاً مُحرضاً على الرذائل فيخافون منه على أولادهم. وشبق المعز نار دالبة لا تنطفئ تمدّ لهيبها

لتلسع بسعيرها كلّ من تُصادفه في طريقها. إنّه مستعدّ على الدوام للغرام ومغرٍ دؤوب على الوصال يُعلِّل الآخرين بالوصل فيسايرونه على الخطأ ويغرقون معه في الرذيلة على أمل الوصل المرجو والموعود والمقتصر على من يساندونه ويُساعدونه في تحقيق مآربه الشرّيرة. فوصله مكافأة لكلّ من سخّر نفسه في خدمة غاياته الدنيئة. والمعز ينجح في قمع الآفات ومنع الرذائل لأنّه خبير بكلّ الحيل وبالتالي قدير على لجم الشرّ واستئصال شأفة الفساد. إنّه الشرطيّ الذي كان لصّاً محترفاً والمصلح الذي كان مخرّباً. يُجسّد المعز المتسامي انتصار النزعة الإنسانيّة على النزعة البهيميّة وتحوّل الوثوب الغريزيّ إلى وثوب حيويّ. إنّه تحوّل النار الضارّة المؤذية إلى نار صالحة نافعة وتحوّل البَغَر الجنسيّ العشطان إلى الأنانيّة عطشاً لا يُروى إلى بَغَرٍ إنسانيّ ظمآن إلى الغيريّة ظمأً لا يرتوي. وهذا التسامي يحوِّل كلّ السلبيّات إلى إيجابيّات فيصير المعز صانع الفضائل في الحياة. ويا سعد البشر الذين تحلّ بهم روح المعز المتسامي! فهم الأبطال المُبدِّلون الذين ينقلون من الفوضى إلى النظام ومن الزراعة إلى الصناعة ومن الندرة النذيرة إلى الوفرة الغزيرة. وهكذا فالمعز ذو عقل متحرِّك في دماغ ساكن، وذو ذكاءٍ تطبيقيّ. ولذا فهو ذو تفكير عمليّ وتقديراتٍ مرحليّة وقرارات تنظيميّة. فمحور شخصيّة المعز يدور حول التنظيم والتنسيق والترتيب. فهو لا يبتدع بل يُنظِّم بدائع المبدعين. بحيث يُسهِّل فهم الصعب ويقرِّب منال بعيد الغور. فلا يسبق المعز أحد في تنظيم الدوائر الرسمية أو الهيئات الجماعية. إلاّ أنّ ميل المعز المفرط إلى تطوير النظام يجعله على تبديل مستمر وتقلّب غريب، دون استقرار على حال. هذا ممّا يؤدي به تارة إلى الارتقاء إلى أعلى وأدقّ نظام، وطوراً إلى أدنى دركات التبلبل والفوضى. والمعز انفلاشيّ: يسنّ القوانين والأنظمة لغيره ويفرضها عليهم فرضاً. فإذا عايش أحداً، طبعه بطابعه وصبّه في قالبه. وبالتالي المعز يعرف أن يقود غيره ولا يعرف أن يقود نفسه. وكما أن المعز ينبوع النظام فإنه أيضاً ينبوع القلاقل والفتن والعصيان والثورات. والمعز نزق ضيّق الخلق، ذو روح قصيرة، فهو يميل إلى المطالعة والبحث والعلم، ولكنّه ينفر من التعمُّق في الأبحاث والتنقيب العويص والعلوم الجافّة والصعبة التي تقتضي همَّة وتركيزاً وصبراً طويلاً. ويميل إلى العلوم المسلّية وخصوصاً التطبيقية منها، والمعز ربّ الذوق وإله

الرقّة، يزيد في الرقّة حتّى يفتق، ويذبح بلطفه. وفعلاً لا يُعلى على أناقة ورقّة ألفاظ لغة المعز ووضوح تعبيره وزخرفة وغنى حديثه وذوق أزيائه ولطف حركاته وعذوبة مجالسته ومحادثته. فالمعز مُذوِق في كلّ شيء. وذوقه المرهف هذا، ورقّته اللامتناهية هذه، يدفعانه إلى حبّ التقدّم على الغير والمسير في الطليعة وقيادة الناس، حتّى الذين أذكى منه في الإبداع والاستنباط. إلاّ أنّ المعز متطرِّف في كلّ شيء. وهذا التطرّف في الترقّق والترقيق، والتذوّق والتذويق يجعله يبدّل ويغيّر صفّ كلامه بسرعة خاطفة حتّى أنّ لباقة كلامه لا تعود تفيده لأنّه تغيّر هكذا وبلا سبب فجانَبَ المنطق. والمعز استعراضي يهتمّ بالمظهر أكثر من المخبر وبالمبنى أكثر من المعنى وبالنطق أكثر من المنطق. والمعز ذو طبع حارّ جافّ، ومزاج هُلاميّ كيفيّ حادّ. فهو عديم التروّي والثبات، ملحاح، عجول، ملهوَج لجوج، وعلى الغالب لا يعمل سوى بدافع العاطفة والتأثّر الوقتيّ لا بالتبصّر والعقل. لذلك يهيج فيضرب عرض الحائط بكلّ واجباته وارتباطاته والتزاماته. ويحرد ويُكَوْزِم ويُبَوْزِم ويدوس على كلّ المبادئ السامية والقيم الراقية والمُثُل العليا والأعراف والتقاليد وينبو عن الذوق السليم وعن كلّ المعايير الأخلاقية الإنسانيّة، ويتحوّل إلى وحش بهيميّ لا يُبقي ولا يذر إلاّ الذين يوافقونه في شططه ويساعدونه في ظلمه وعدوانه. وهذا ما سمّاه الناس: عنطزة العنز. والمعز موسميّ يغيّر أحبابه وأصحابه من فصل إلى فصل كما يغيّر أزياءه، ويبدِّل سياسته كما يبدِّل تسريحة شعره. والمعز سميك الوجه، سليط اللسان، ذو عين وقحة، صريح وصراحته إلى حدّ الوقاحة، يفرض نفسه ومَن معه على الناس، ويجبرهم أن يقبلوه وإلاّ شرشحهم. ويحبّ السلتة والسلبطة ومع ذلك يتبجّح بعزّة النفس والأنفة والإباء، وهي منه براء. فهو يغار على حرّيّته في تفكيره وآرائه ومبادئه وعواطفه ونزواته وطقوسه وشعائره في حين أنّه يستبيح حرّيّة الآخرين فيستعبدهم ويستبدّ بهم ويُملي عليهم سلوكهم وتصرّفاتهم فيمنح نفسه كلّ الحقوق ويفرض على غيره كلّ الواجبات. ويتنصّل من كلّ وعوده وعهوده. ويحاسب الكلّ ويرفض أن يحاسبه أحد فيحرم غيره من أدنى الحقوق البشريّة والإنسانيّة. وحتّى لا يعترف بواقع تجاوزاته وتعدّياته يتعلّق بالخيال ولذا لا يفوقه أحد في إعادة صياغة الواقع صياغةً تُبرِّؤه وتدين الآخرين الذين هدموا أحلامه الذهبيّة وسحقوا أمانيه الحياتيّة واستهلكوا طاقاته واستغلّوا إمكاناته،

والعكس هو الصحيح. وهنا يشغَف المعز بالهوى والغرام والزيف والحرام. فيُزخرف ملابسه ويتصنّع في حركاته. ويُبالغ في التزيّن للتبيّن. فيميل إلى التخنّث أو إلى عبادة الأنثى. ويكمل تكوين جسم المعز فيصبح أهلاً للزواج في الثانية والعشرين من عمره. والمعزة فاتنة فاتكة، حلاّبة كبّابة، برّاقة حرّاقة، شرّاقة غرّاقة، تحبّ حالها، وتعبد ذاتها. منفنَفة منَظْنَظَة، نعنوعة نغنوغة، دلّوعة دلّولة، شلهوبة لهلوبة، غنّاجة صنّاجة، تُعجب بالتجمُّل وتعجز عن التحمّل، ماهرة في التأنّق باهرة في التألّق، طروب لعوب، كذوب هروب، تحبّ الغزل الصريح وسماع المديح، والإطراء والإغراء، والتمليق والتعليق والتطليق، وسماع أخبار الآخرين، والاطّلاع على أسرار المحيطين. سريعة التأثّر، كثيرة التذمّر. عواطفها آنيّة وأفكارها تلقائيّة. تُبالغ في تضخيم الأمور وتجسيم الأهوال والشرور، وتعظيم الأخطار والمرار. حالمة بعمرها، حاكمة بأمرها، تُعاند وتركب رأسها وتُضايد وتشدّ بأسها، وتُعاكس وتشهر سيفها، وتُشاكس فتقطع وتوصل على كيفها. يهمها خيرها ولا تسأل عن غيرها. نَقود نقّادة، حَقود وقّادة. لا يُرضيها الرضى ولا المشي في الفضا. ولا يعجبها العجب ولا الصيام في رجب. تُحرِّك الجمر تحت الرماد وتنكأ الجرح تحت الضماد. فإمّا يحسب الآخرون حسابها وإمّا يرون العجب من عُجابها، قلقة مُقلقة: فإمّا يكون قلقها إشعاعياً وبالتالي إبداعيّاً، وإمّا يكون استهلاكيّاً وبالتالي مهلكاً. المعزة نار إذا انفلتت أذت، وإذا انضبطت نفعت. ويكمل تكوين جسمها فتُصبح أهلاً للزواج في سن العشرين من عمرها. إذاً المعز هويواتيّ نزواتيّ، ذوّاق شوّاق، طوّاق عوّاق، روّاق فوّاق، وطلاّب سلاّب، غلاّب قلاّب بين هناء قرير وشقاء مرير، بين ظهور باهر وانكساف قاهر، وحين يظهر في المعز الميل إلى الزواج يشغف بهيئة غريبة ويعبدها عبادة عمياء. ويدافع بكلّ قواه عن حرّيّته في هذا المضمار زاعماً أنّه بلغ أوج العقل حيث يحقّ له أن يكون مطلق الحرّيّة في التفكير والشعور، إلاّ أنّه لا يعتم أن يشعر بخيباته المتعاودة المتكرّرة وبغرور نفسه، فيتقلّب من ساعة إلى ساعة حسب تقلّب أمواج هوائه، ويظلّ يخلق ظروفاً تعجيزيّة ويضع شروطاً مستحيلة حتّى يحوّل حياة من معه إلى جحيم لا يُطاق بحيث لا يبقى إلاّ الهجر أو الانفصال أو الطلاق. والمعز زئبقيّ لولبيّ، يعرف أن يورِّط الآخرين وأن يطلع من أيّة ورطة كالشعرة من العجين. ولذا يخرج

دائماً رابحاً، رغم تبدّل الأحوال، كثير المال مرتاح البال، ولو كان بالحرام لا بالحلال. ودمت هبّاباً شبّاباً يا أخي التيس! ودمتِ جذّابة خلاّبة، يا أختي المعزة!

زياح الروح الفعّالة

النصف الأوّل من نيسان، يؤثّر على مواليد الساعة السادسة، ويشبه من هم في عمر العشرين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الفعّالة تتقمّص الحصان

الحصان نار ذات منشأين: ترابيّ ومائيّ. وبالتالي فهو ذو طبعيتين: خيّرة وشرّيرة، وعليه فهو ذو سلوكين: باطني وظاهري. وتتضاعف هذه الإزدواجيّة لأنّه ذو وضعين: حرّ ومقيّد. الحصان مفاجئ ينبثق فجأة مثل ضوء فيستنير الساري في الليل وينبهر السائر في النهار. والحصان جرّار، يجري مثل ماء فيرتوي اليبسان ويفيض الريّان. الحصان مَحيِّر ابن ليل غامض يوضح وابن نهار واضح يُبهِم. الحصان حمّال أضداد، يحمل الأحياء في الدنيا والأموات إلى الآخرة. الحصان فعّال، نصّار تسوسه فينصرك وقهّار يقودك فيقهرك والحصان قلاّب يُغذِّيك ويخدمك ويرميك فيصرعك. الحصان بحرٌ رجراج، تركبه فيركبك الخطر حتّى تنزل عنه. والحصان أبْ أمٌ حنون رؤوم رؤوف وحوّادم حرون ظلوم عصوف. والحصان مطيّة الأحلام، تمتطيه فتُخيِّل وتتخيَّل وتتخايل وتختال. فتتنبّأ وتتوقّع وتستبق الأحداث فيصير حلمك عِلمٌ. والحصان يجدِّد القديم ويُعتّق العتيق فيقدِّم الجديد ويجدِّد الجديد ويبقى محافظاً. والحصان نفسانيّ يمشي على السليقة، وفي سليقته ذاكرة الزمان والمكان وعالم الحيوان قبل البشر. لذا فهو يُمثِّل الفطرة بأجلى وأعلى صورها، وأنمى وأسمى معانيها، ويُجسِّد ميزان الجسم الطبيعيّ. وحاجة الحصان تتناسب مع طاقته. لذا يرغب ما دام قادراً ويُعرض حين يكتفي، فيرتاح. وما أن يستعيد قواه حتّى يُعاود

ويُراود. ولذا يكتفي بسدِّ الحاجة ولا يُجهد نفسه ليلتذّ أو يتمتّع بعد أن يشبع. فإن ارتوى لا يشرب مهما صفّرتَ له وإن شبع لا يأكل مهما قدّمت من أطايب، وإن اكتفى لا ينكح مهما كانت الإغراءات وفي نفس كلٍّ منّا حصان، إن كبحنا جماحه انتصر عقلنا على غرائزنا، وإن أثرناه وهيَّجناه غلبت غرائزنا عقلنا. وما علينا سوى أن نتركه على طبيعته فلا نمنعه ولا ندفعه لأنّنا إذا منعناه عن حاجته شقينا بالحرمان وانكبتنا وبالتالي انفجرنا. وإذا دفعناه إلى اللذّة أضنانا الإنهاك والإرهاق وانهوَسنا وجُنِنّا وانتحرنا بفرط الإجهاد وبئس المصير. والحصان ليل يقود إلى نهار ونهار يقود إلى ليل. إنّه الدورة الطبيعيّة ومن يُجاري الطبيعة ينعم بالرضى والسلام أمّا من يُخالفها فيشقى بالنّقمة والحرب. الجُمْ حصانك إذا جمح وسايسهُ إذا حرن، وقُدْه ووجِّههُ بكياسة فيُسلس لك القياد ويوصلك إلى غايتك. وعندها اربطه لئلاّ يفلتَ منك. ولكن في الإسطبل حُلَّ عنه اللجام وفُكَّ عنه الرسن وحرِّره لينطلق على طبيعته. فالطبيعة المقيَّدة بالعقل نافعة ما دام القيد لا يحزّ ولا يكبت. والطبيعة الحرَّة نافعة ما دامت تدور في مضمارها ولا تخرج عن مدارها أو تتجاوز حدودها. على العقل إذاً أن يحافظ على الغريزة في مجراها الطبيعيّ. فللغريزة بصيرة تنفذ من أبواب يعجز العقل عن النفاذ منها، وتقود عبر سراديب يعجز العقل عن القيادة فيها وتوصِل إلى حقائق يعجز العقل عن الإيصال إليها. والحصان مسحور تسكنه الجنّ وساحر تركبه الشياطين. ويبدأ سحره حيث ينتهي سحر السحرة الآدميين. فقدرته على الإسراء في الظلام تجعله رسولاً بين أرواح الأموات وأرواح الأحياء. ولذا يُطلقون حصاناً ليجري على هواه فيستدلوا على جهة الخطر الكامن فيها العدو، أو يمتطون حصاناً ويطلقونه على هواه ليستدلوا على السارق أو المجرم. أو يركبون حصان الميّت ليهديهم إلى رأيّه في الأحداث الجاريّة والقرارات الواجب اتّخاذها. وبعضهم يقتلون حصان الميّت لتحمل روحه روح صاحبه عبر برازخ العالم الآخر. وكذا الحصان الأصيل دليل لا يضلّ والحصان مكشوف عنه الحجاب، يستشعر الأشباح والأرواح، ويحسّ بقرب الكوارث الطبيعيّة ويقرأ الأفكار. وحدسه ينير العقول، ويؤهّلها لأن تحتاط للأحداث قبل وقوعها. فكشف الأسرار يؤدّي إلى التغلّب على الأخطار. والحصان يتطبّع بطباع فارسه، فيُسلِس له القياد صاغراً وشيئاً فشيئاً يطبع فارسه بطباعه فيجعله نسخةً منه. فتنقلب الأدوار فيصير الحصان فارساً والفارس حصاناً. ويمثّل الحصان العالم السفلي والفارس العالم العلوي وانقلاب الأدوار يعني انتصار قوى الشرّ على قوى

الخير. وكم من فارس يركبه حصانه؟ كم من فارس مركوب ويؤمن بأنّه راكب! ولا مناص من تغيير الحصان، ولو حتّى بالتضحية به، لتجديد حياة الفارس. فللحصان الجديد مسار جديد وكلّ جديد له لذّة وكلّ قديم له كدّة.

والحصان الشيطانيّ صانع للحرب يسعى إلى اليوم الأسود بتدمير غيره أوّلاً وبتدمير ذاته أخيراً. إنّه يلاحق هدفاً متحرّكاً لا يثبت ليصل إليه. وعليه يتخطّى كلّ الحواجز ويهتك كلّ الأستار ويهدم كلّ الأسوار ويحطِّم كلّ الأبواب ويخوض الأخطار ليعرف الموت ذاك الباب الذي يُخرج من يدخله. وهذا الحصان المريض مرضاً يعجز كلّ الأطبّاء عن كشفه. هذا الحصان الساعي إلى غاية هو نفسه يجهلها. هذا الحصان الذي يستهلك نفسه باستهلاك غرائزه وعواطفه وأفكاره. هذا الحصان الذي يستنفذ طاقاته باستنفاذ طاقات الآخرين خيرٌ أن يهجره فارسه مهما كان يحبّه. فموت الحصان خيرٌ من موت الحصان والفارس معاً. والحصان الملائكيّ صانع سلام. يسعى إلى الليلة البيضاء ببناء غيره أوّلاً وبناء ذاته أخيراً. إنّه يرصد هدفاً ثابتاً. وليصل إليه يتغاضى عن الأخطار ويتلافى المشاكل ويتجاوز الأحقاد ليؤاخي الأعداء. ويعبر بهم إلى المحبّة وإلى الحياة الوافرة. وهذا الحصان الذي يرى آلام الآخرين مهما صَغُرَت أكبر من ألمه، هذا الحصان أكّال الهموم حمّال الأسيّة جلاّب الخير خير أن يبقى معه فارسه وإن كان لا يحبّه. لأنّ الخير يُعدي وسموُّ الحصان سموٌّ لفارسه. فبين الحصان وفارسه ما بين النفس والجسم والروح والمادّة. والفرس من فارسها والفارس من فرسه. وهذه العلاقة الجدليّة أساس تعادل الإمكانات لتبادل الخبرات وصولاً إلى الحدود القصوى للمؤهِّلات. وبالتالي إلى الاكتمال بالتكامل الخالي من التحامل. فجودة الجواد تُعطي الفارس الفرصة لإظهار براعته، وبراعة الفارس تمنح الفرس المجال لإثبات ميّزاتها. وهنا يتجلّى التكافؤ المجدي للفرص. البعيد عن طغيان أحدٍ على أحد. والحصان يحبّ العظمة بالفطرة. وتزداد شهوته إلى العظمة بالخبرة. ولذا يأنف من تسخيره كدابّةٍ في الخدمات الزراعيّة والصناعيّة والتجاريّة.. إلخ. إنّه يمقت الأحمال ويكره شدّ المحاريث ويُبغض جرّ العربات، ويحبِّذ الانطلاق حرّاً وإلى جانبه فرس حرّة ليعيشا دورة الفصول ويتجدَّدا فصلاً بعد فصل. وإن كان ولا بدّ فهو يفضِّل أن يكون حصان عسكر أو سباق أو استعراض وأن يمتطيه فارس كفؤ أو مُخلص. وما أعظم أن يقترن الإخلاص بالكفاءة! والحصان حيويٌّ ذو قوّة باعثة ولذا ينفر من الأعمال الآليَّة والحياة الرتيبة، واسع الصدر ضيّق الخلق، جريء غير غبيّ، كريم أريحيٌّ إلى حدّ التبذير

المدهور، شهمٌ بلا تبصّر ولذا كثيراً ما يستغلّ اللئيمون شهامته ويجعلونه مطيَّة لنزواتهم المنحطَّة وغاياتهم الخسيسة. والحصان مرشد إلى الثروات الباطنية، نقرات حافره تدلّ على المياه الجوفية وصهيله يشير إلى الكنوز المطمورة وجموحه المفاجئ يومئ إلى جثث المغدورين المدفونين وحرنه وامتناعه عن السير يؤكِّد على خطر كامن في الأرض، ولذا فهو ذو عقلٍ لمّاع لمّاح يخلق المشاريع العمليّة من العدم ويوجد فُرص كسب أشياء من لا شيء. وهل تعادل قدرة الخلق قدرة في الكون؟ والحصان طفوليّ: كثير التلهّف دائم اللهفة، مُشتطُّ الخيال دائم التخيّل يجهل الموت ويؤمن أنّه خالد حيّ دائماً وأبداً، ولذا فهو عجول لجوج، حالم كثير المشاريع، طيّب ما في قلبه على فمه، بريءٌ إلى حدّ السذاجة حينا، ساذج إلى حدّ السماجة أحياناً، سريع الغضب سريع الرضى. سريع الانجذاب سريع النفور يتدلّل تارة وينجلق طوراً وطفوليته ملتبسة فهو يرفض أن تعامله كالأطفال لا بل يشعر بالإهانة البالغة وتغمره النقمة أن اعتبرته ولداً. فيرميك إلى غير رجعة. والحصان يجسِّد العنفوان: عنفوان الشباب، عنفوان الشهوة الحسّيّة وعنفوان الرغبة الروحيَّة، عنفوان الحماس الدافع إلى الطيش والوفرة الدافعة إلى الجموح والحميّة الدافعة إلى التهوّر. ولذا على الحصان أن يخلق مجالات يستثمر بها عنفوانه إيجابياً وإلاّ دهوره العنفوان السلبيّ. وهو القدير الجدير. والحصان المُستثمر عنفوانه إيجابياً يتجنّح فيعبر الحقول دون أن يكسر السنابل والزهور. ويتخطّى الأنهار دون أن يُموّج سطحها أو يُعكِّر قعرها. ويجتاز البحار دون أن يُهيّج أمواجها. إنّه ينفذ كالضوء يمتدّ كالنور ويُحلّق راقصاً في الفضاء. يرفع النفوس ويسمو بالأرواح، ويُحارب أعداء الجمال والخير والحقّ. فيرعى الغيوم ويسحب السحاب ويسوق المطر ليسقي الأرض العطشى. ويكبح العواصف ويمنع الصواعق. ويطبع نضوته علامة على قدرة الكائنات على إحلال العدالة الطبيعيّة. وهل أرقى من أن يسود العدل دون محاكم ولا قضاة ولا محامين؟ وينشر الحصان الجلال والمهابة. فهو يجمع جمال الشكل والحركة، والأناقة والقوّة، والرشاقة والرصانة، والسرعة والسلامة. ولذا فهو معرَّض للتكبُّر والتجبُّر والغرور والغلواء والخُيلاء ومهدَّد بجنون العظمة. وتتجلّى في الحصان المتسامي الفطنة المتأقلمة المتكيّفة مع كلّ الظروف والأحوال بمنتهى الواقعيّة: فطنة ترقُّه فتبسطه شفَّافاً يتلوّن بكلّ الألوان. ونفوذاً لا يصطبغ ولا يعلق به أيّ لون. فطنة تدقّه فتقلبه هيولياً يتشكّل بكلّ الأشكال وجوهرياً لا تتغيّر ماهيته فهو جميل يتذوّق القبح،

وقويّ يؤانس الضعفاء، وسريع يُماشي البطيئين. إنّه نظيفٌ يُعاين الوساخة ويُعايش الوسخين ولا يتّسخ إنّه أمين يفهم الخيانة ويتفهَّم الخائنين ولا يخون. إنّه كريم يُدرك اللؤم ويستوعب اللئيمين ولا يلتئم ولا يتلأمن. إنه يحاسب ولا يعاقب، ولذا يؤلّهه الآخرون: بعضهم إليه يلجؤون وبه يلوذون وإيّاه يستشيرون وعليه يعتمدون ومنه يتعلّمون وعنه يدافعون وله يعترفون ومعه يقفون على أنّه عليم حكيم. وبعضهم فيه يطمعون وبه ينتفعون ومنه يتكسَّبون وعنه يأخذون وإيّاه يستغلّون وعليه يتهجَّمون ويتحاملون على أنّه غفور رحيم. والحصان السامي مطيّة الخير يركبه الأشرار فيحملهم إلى البرارة ويمتطيه الأبرار فيحملهم إلى القداسة ويعتليه القدّيسون فيحملهم إلى الألوهة ويُخيِّل عليه الآلهة فيحملهم إلى البشر ونِعمَ المصير. وبئس المصير مصير راكب فرس الشيطان. حصان الشرّير الذي يقلب العظيم إلى حقير والمعلِّم إلى أجير والأوّل إلى أخير. ويظلّ الحصان يخدم الإنسان من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان حتَّى تفيض روحه فتحلّ في بشر. وهكذا الحصان ذو عقل فعّال في دماغ حسّاس, وذو ذكاء ظاهري عمليّ، ولذا فتفكيره تجميعيّ، وتقديراته انطباعيّة، وقراراته تطبيقيّة. فهو قويّ البنية صافي النيّة، شهم يكره الابتذال، شجاع لا يخاف الأهوال، شفيف رهيف الشعور، حرون سريع النفور، يثور ويفور ولا يتوانى عن البطش إن أصاب مشاعره أيّ خدش. ولوع ولوه يتعلّق ويلتصق بمن يحبّ ويستميت دفاعاً عنه؛ فإذا لمح منه إعراضاً أو عدم إخلاص قطعه وقلعه من قلبه كعُشبة ضارّة غير آسف ولا نادم. والحصان متطرّف في العواطف، فلا يصدّه عن حبّه أو بغضه أو عن أيّ طلب من طلباته لا جدال ولا حجّة. فالحصان عمليّ يعتبر كلّ نقاشٍ عقيماً. ويحتقر الحوار لأنّ كلّ كلامٍ عنده علكٌ فاضي. ولذا لا يقدم إلاّ على الأعمال الملموسة النتائج، ولا يذهب إلا إلى أقرب الموارد وأسهل المناهل. وهذا ما يجعله ينجح في العلوم التطبيقيّة والأعمال التنفيذيّة التي لا تحتاج إلى أخذ وردّ ولا تتطلّب جهداً فكريّاً طويلاً للاستنباط والاختراع والإبداع. والحصان ذو طبع حارٍّ نديّ ولذا فهو سريع الانفعال وسريع ردود الأفعال، يتّقد بسرعة ويخمد ببطء. والحصان ذو مزاج موّار فوّار ولذا فإرادته فولاذيّة وعزمه حديد وحزمه أكيد. فإن قصد أمراً ضحّى وبذل في سبيله كلّ قواه وثابر وثبت حتّى النهاية. والحصان قنوع يجدّ وراء الحاجة فإذا اكتفى نفى اللجاجة، وأعرض عن الاستزادة والاستعادة. والحصان نظاميّ، انضباطيّ ومسلكيّ، دقيق في مواعيده، مُتقن في أعماله، نبيه نزيه، شريف عفيف، لا

ينكث عهوده ولا يحنث بوعوده، قويم مستقيم لا يعوّج ولا يرتجّ أو يحتجّ إلاّ بالحقّ. ويرفض اللتّ والعجن والنقاشات السقيمة العقيمة، ويأخذ مباشرة بالحلول النافعة والناجعة والناجحة. ولذا ينجح في قيادة الشعوب والجيوش. ويكمل تكوين جسم الحصان فيصبح أهلاً للزواج في سن الحادية والعشرين. والفرس جميلة كميلة أصيلة نبيلة جليلة مهيبة وقورة رزينة مخلصة وفيّة صفيّة عفيّة نظيفة شريفة شديدة البأس بعيدة عن اليأس عزيزة النفس مرفوعة رافعة الرأس أبيّة نبيّة. حبيبة لبيبة تفهم من الإشارة وتستبق الأحداث وتُحسن الإدارة وتعرف كيف تتحكّم بنفسها وبغيرها. قويّة المراس رهيفة الإحساس. قلبها دليلها وحدسها سبيلها وكيلها على ميلها. فلا يقدر أحد أن يغصبها أو يغلبها. تحرس حالها بحالها ولا تحتاج إلى من يحميها أو يقيها. ولا تسلس القياد إلاّ لفارسها، ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سن التاسعة عشرة. إذاً الحصان حميميّ صميميّ، يحترم حاله وغيره، وصادق مع نفسه وغيره، وفيّ لذاته ولغيره، ولذا يطالب نفسه بأقصى الكمال في كلّ أموره وطيلة حياته. ولا يتطلّب شيئاً من غيره لأنّه يؤمن بالاستقلال الذاتيّ وبالاكتفاء الذاتيّ وبحرّيّة تقرير المصير للمعلّم وللأجير، ولأنّه على يقين بأنّك وبجهدك الشخصي ونشاطك الذاتي ضمين وقمين بأن تكون ما تريد وتحصل على ما تأمل وتجلب ما تطلب وتغلب ظروف القهر وصروف الدهر. فإيّاك أن تقنع بالحكي النظري، فالحكي مضيعة للوقت وللجهد معاً. والجدال مراوغة. بل الزم المحسوس والملموس. ودع القول وتشبّث بالفعل. واعمل وثابر، واشتغل وداوم فلا يقف حاجز أو حائل أمام تحقيقك لذاتك، ودمت أصيلاً نبيلاً، يا أخي الحصان! ودمتِ كريمة عظيمة، يا أختي الفرس!

زياح الروح الصارمة

النصف الثاني من نيسان، يؤثّر على مواليد الساعة السابعة، ويشبه من هم في عمر الخامسة والعشرين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثّر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الصارمة تتقمّص الضبع

الضبع عامل من أهمّ عوامل التوازن البيئيّ. فهو مصفاة من أهمّ مصافي الطبيعة: يخلّصها من الجيف المفسدة الممرضة المهلكة الكائنات بالأوبئة. وهو حارس من أهمّ حرّاس الطبيعة يرصد القابل للتجيُّف فيزيله. وبذا يقضي على الفساد من أصله وعليه فهو مصلح إصلاحي وثوريّ على المستويين المحليّ والعالميّ، إذاً فالضبع ينهج نهجين، وقائيّ وتطهيري.

يتميّز الضبع بحاسّة شمّ قويّة تمكّنه من استشعار القابل للتجيّف وبالتالي إبادته. وهكذا فالضبع نذير يحدس بوقوع الشرور ويتنبّأ باقتراب الكوارث ويتوقّع حدوث الأسوء ليحرّض على التوقيّة والتوعيّة لتلافي النتائج السلبيّة باجتثاث أسبابها وهنا قد يُبالغ في تهويل الأخطار فيبعث التخوُّف ممَّا لا يُخيف. وقد يشتطّ في الونونة فيسبِّب الوسواس ويدفع إلى اجتثاث ما ينفع مع ما يضرّ زيادة في الحيطة والحذر. كما يتميّز الضبع بنهم وجوعٍ لا يشبع يمكِّنه من ابتلاع الجيف مهما كثرت وإبادتها وتطهير الموقعِ الذي هو فيه أوّلاً بأوّل. وهكذا فالضبع دائم اليقظة والصحو دائب التوفّز والتحفّز ليقفز على أيّة آفةٍ تطرأ وعلى أيّة مشكلة تظهر ليحلّها قبل أن تستشري وتصير معضلة عُضالاً. وهنا قد يبالغ في التدقيق والتحقيق فيعتبر مشكلة ما ليس مشكلة. فيغتاظ من لا

مبالاة الآخرين ويثور ويفور لأنّهم يكذِّبونه ويفرّغون تحليلاته وتعليلاته من مصداقيتها الواقعيّة، فينزوي وينطوي ويحسّ أنّه نبيّ مرذول وأنّ الآخرين قصيرو نظر ولذا يتّهمون بُعد نظره بالوهم. ويتميّز الضبع أيضاً بقدرته على سحق أقسى وأصلب العظام بفكّيه القويَّين وأضراسه الطواحن ممّا يعطيه القدرة على هضم كلّ أنواع المعارف والثقافات والعلوم المادّية منها على وجه الخصوص ويمثّل الضبع ذروة القوّة على التمثّل فيحوّل المواد العضويّة الفاسدة إلى عناصر حيّة نافعة. ثمّ يكشف بفكره عن الائتلاف القائم بين الظواهر المتشابهة، وعليه يكيِّف سلوكه وفقاً لحياة الجماعة عن طريق اقتباس المواقف والعادات الشائعة. وبالتالي ينتقل من المختلف إلى المؤتلف. ويماثل الأحلام البشريّة بالواقع المعاش. وهكذا يستوعب العلوم المادية بتحليل وتعليل علميَّين بعيداً عن التفسيرات الغيبيّة والخرافيّة. إنّه علميٌّ علمانيٌّ يعمل لاستتباب المصلحة العامّة ولإحقاق حقوق الإنسان بمعزل عن الانتماءات العرقيّة أو الجنسيّة أو الدينيّة أو الطائفيّة أو المذهبيّة أو الحزبيّة أو السياسيّة. ولذا ترى انتقاداته تنصبّ دوماً على الهيئات العامّة: على الدولة، على الحكومة، على القيادات.. إلخ. ولأنّه يبرّئ الأفراد ويُلقي تبعة الأخطاء على المراجع العليا ويتّهمها بالتقصير وعدم الكفاءة فإنّ المسؤولين يصمونه بالثقالة والغلاظة والخشونة والفظاظة والبذاءة والقماءة والفجاجة والسماجة والسذاجة الباعثة على الهزء والسخرية، والبلاهة والحماقة والتفاهة والسفاهة إلى حدّ النذالة. وكلّ هذا لأنّه يُظهر نقائصهم ويكشف عيوبهم ويفضح ذنوبهم في حين أنّ غير المسؤولين يؤكِّدون أنّه صافي القلب، سليم الطويّة. حسن النيّة، حريص على المصلحة العامّة وعلى حقوق المواطنين، وأنّه وطني مخلص يناضل ضدّ فساد أجهزة الحكم، وإنسانيّ صميميّ يُكافح الفساد والتعسُّف في استخدام الحقوق وقتما كان وأينما كان. والضبع يواجه الخيال بالواقع والذاتيّ بالموضوعيّ والخرافيّ بالعلميّ والنظريّ بالعمليّ. ولذا يسعى إلى اكتساب ونشر ومساندة الحركات الواقعيّة الدنيويّة بحيث تتقدّم على الحركات المثاليّة السماويّة. وهكذا ينفر من التعصّب والتزمّت والتعنّت الموصل إلى الحروب وينشر التفهُّم والتقبُّل والتسامح الصانع للسلام. وعند الضبع الجيفة جيفة دنيوية كانت أم دينية، وأنّ كلّ شيء قابل للتجيّف جسمياً كان أم نفسيّاً، جسدياً أو روحيّاً. ولذا فعلى الأرضيّ والسماويّ ألاّ يتنافسا، بل أن يتعاضدا ويتساعدا ويتحدا لتطهير الكون

من الجيف كائناً من كانت ولوقايته من التجيّف حيثما كان، في الباطن أم في الظاهر، في عالم الغيب أم في عالم الشهادة، في عالم الأفكار أم في عالم المحسوسات. ولذا يعتبر كلّ إنسان مسؤولاً عن التوازن الكونيّ العالميّ البيئيّ الإنسانيّ، ويُنصِّب نفسه حارساً منيعاً للجمال والخير والحقّ، للعدالة وتكافؤ الفرص ولتقديم المصلحة العامّة على المصالح الخاصّة، كما يعلن نفسه داعياً دائماً إلى تآخي البشر لدرء الخطر بالعمل أوّلاً وبالقول إن عزّ العمل. وهكذا يتفانى الضبع فلا يتوانى ولا يتخاذل حتّى يبذل روحه فتطلع لتحلّ في بشر. وهكذا الضبع ذو عقل منفتح في دماغ مطلق. ولذا يفضِّل المصالح العامّة على الخاصّة ويجور على نفسه خدمة لغيره وذو ذكاء نظري وعملي، ولذا فتفكيره تحليليّ وتركيبيّ، وتقديراته صائبة دامغة، وقراراته فوريّة ومجدية. فهو موهوب في تنفيذ الأعمال بدقّة لا متناهية تراه عابساً متجهماً، مقطّب الجبين ما دام يعمل. فإذا أنجز المهمة الموكلة إليه افترَّ ثغره وانفرجت أساريره وتهلّل وجهه بِشراً، فابتسم فرحاً وانطلق مرحاً منشرحاً ينشر البهجة حوله. والضبع ذو سطوة ونخوة، وذو قوّة ومروَّة، ولذا فهو قاس في حنانه وحنون في قسوته، والضبع عاطفي حسّاس، شفّاف، كثير التأثّر قليل التأمّر، أنيس، وديع، ودود، شديد التعلّق بمن يحبّه، خدوم لا يخرم، وفيّ لأهله وأصحابه، مخلص لمجتمعه ووطنه وقومه، وإنساني يكره التمييز العنصري مهما كان، والضبع حقّانيّ وجدانيّ، تراه حازماً حاسما، جارماً صارماً مع الظالمين والمستغلِّين، والمغالطين والمعاندين والمفسدين والمخربين، ومن شاكلهم أو شابههم أو دار في دوائرهم. وتراه ليناً هيناً طيباً طيعاً رؤوفاً عطوفاً على المظلومين والمحرومين والمستضعفين والمقهورين والمساكين وكلّ المعذَّبين في الأرض. والضبع ذو طبع دافئ ندي، وذو مزاج فائر غائر، ولذا تراه تارة يتهندم ويتهندس متأنقاً متألقاً على آخر طراز، وتارة مجردماً مهركلاً كابياً نابياً منكفئاً منطفئاً على آخر لهبة. كما تراه أحياناً عالي الهمّة وعامر النشاط يجدّ ويكدّ فينظّف ويُنظّم وينسّق ويُرتِّب؛ وأحياناً خائر العزم بائر الحزم عائفاً حاله متهالكاً مستسلماً للإهمال يرتع في الفوضى. وتراه أيضاً طوراً يهتمّ بأدقّ التفاصيل الثانوية ويدقّق على أصغر الصغائر العَرَضيّة فيثور لأتفه الأسباب، وطوراً يهمل أعظم اللوازم الجوهرية، ويتغافل عن أكبر الكبائر الأساسيّة. ويظلّ رابط الجأش، صلباً صلداً، صامداً في وجه أعظم الصعاب، حتّى لتحسب أنّه غريب الأطوار أو مقلوب

الأدوار. والحقيقة أنّ الضبع غطّاس، طوراً يطوف على سطح الغمار، وطوراً يغوص إلى أعمق الأغوار. وحيث أنّ الضبع يتفانى ولا يتوانى عن التنفيذ الحرفيّ لأيّة مهمة حتّى ولو كانت خدميَّة، فإن البعض يتهمونه بالعبودية، وبأن أريحيته هذه تذهب بمهابته وتحطّ من مكانته. والحال أن الضبع جهادي استشهاديّ، مستعدّ بأن يقوم بأدنى الأعمال المهينة من أجل أن يقطع الشرّ ويوصل الخير ويكمل تكوين جسم الضبع فيصبح أهلاً للزواج في سنّ العشرين. والضبعة نبعة شطارة تحسن الإدارة، خدومة رؤومة، تجدّ بلا حدّ وتودّ بلا صدّ، نشيطة نشّابة إلى الشغل، لا تكلّ ولا تملّ من العمل. فالعمل سلوتها في بلوتها وبهجتها في فرحتها وثروتها في حاجتها. إنها ذكية حاذقة، لاحقة واجباتها، ناكرة ذاتها، مسخِّرة حياتها لإسعاد أسرتها. صفية وفية، تتغاضى عن الأخطاء وتحتمل الشقاء. وتبلع الموس على الحدين وعندها وعد الحرّ دين، ومهما شذَّت أو نشزت أو انحرفت فلا بدّ عائدة إلى جادّة الصواب مهما طال الغياب. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ الثامنة عشرة، إذاً الضبع وديع غير وضيع، ومتواضع غير خانع وصارم غير ظالم وأمين غير مستكين، وعطوف غير رخو ومدبِّر غير مبذِّر، ومنضبط غير مقموع. منصف غير متطرِّف ومخلص عن حرص. ووفيٌّ عن وعيّ. وذو نفس مدركة، يؤمن بأنّ الحياة معركة وهذا يجعله ناضجاً يشعر بالصعوبات، فيشرع في وضع المخطّطات، ويجنّد نفسه لأداء كلّ المهمَّات من أجل مستقبل أفضل للبشريّة جمعاء، متأكداً من أنّ تقدّم الآخرين يؤدّي إلى تقدّمه، ومؤكّداً على أن تقدّمه يؤدّي إلى تقدّم الآخرين. وهل الحياة إلاّ جدلية التطوّر؟ ودمت بالمرصاد لكلّ فساد، يا أخي الضبع! ودمتِ دواءً لكل داء يا أختي الضبعة!

زياح الروح الأمينة

النصف الأوّل من أيّار، يؤثّر على مواليد الساعة الثامنة، ويشبه من هم في عمر التاسعة والعشرين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الأمينة تتقمَّص الكلب

الكلب ضمير كوني ذو باطن بأربع طبقات: الدخيلة والخبيئة والخافية والسريرة. في دخيلة الكلب ما يعلمه ويمكن أن يعلنه وفي خبيئته ما يعلمه ويستحيل أن يعلنه، وفي خافيته مكنونات يريد أن يطَّلع عليها. وفي سريرته مكنونات يرفض أن يطّلع عليها. ولذا فهو يتأثّر دون أن يشعر ويؤثِّر دون أن يُحسِّس فيُرشد النفوس الميّتة إلى نبع القيامة لتنبعث والنفوس الحيّة إلى نبع الديمومة لتخلُد. الكلب ذو أصالة متطوِّرة يبتكر كلّ جديد وطريف. ولذا يلفت الانتباه بغرابته وفرادته وشذوذه عن المألوف. والكلب صميميّ يمكن الوثوق به وتصديقه وجوهريّ يقدِّم المضمون على الشكل. ويبحث عن الأساسي في الثانوي، ولذا يهتمّ بالمنبت قبل النبات وبتأمين وسائل الاستمرار قبل الاستقرار. الكلب دليل لا يخيب يرى اللامرئي ويوصل إلى كشف المجهول ويزيد العلم بالمعلوم ولذا يتبعه الجاهل ونصف المثقّف والعارف والعلاّمة. والكلب باحث يفتّش عن الغوامض والأسرار ومكتشف ينقِّب ليوضح المُبهم ويعلن المكتوم. ولذا ينبح ليطرد أعداء النور الذين يقيمون الحجب والأستار ليغلقوا ويُغرقوا المقدّسات في العتمة والظلمة والديجور. إنّه نبّاش يجهد ليستخرج كلّ دفين يعرضه أمام أعين الملأ أجمعين. إنّه هاتك أستار المحرَّم والمحظور ينتقد ما لا ينتقد ويمزِّق حجاب الهيكل وقدس الأقداس ليجعله لا للكهنة فقط بل لكلّ الناس والكلب حارس أحياء لا أموات يراقب كلّ شاردة وواردة وينام بعين واحدة

ليحميهم من الأخطار. ولذا يحرص على رفع الحرج في تطبيق المسموح والمُباح وفي تضييق الممنوع والمحرَّم. والكلب عرّاف يتكهّن بموقع السحر ومكان السحرة فيميِّز بين الساحر والمسحور ويكشف العين الصيّابة ويفضح نوايا الحُسّاد والسيئة فيُحبط أعمال القوى الشريرة ويُبطل مفعول الطواطم والتمائم والرُّقى والحروز والتعاويذ فيفكّ الطلاسم والرصد والعقد. والكلب بوصلة تشير إلى مكان وزمان وقوع الكوارث الطبيعيّة وتدلّ على الأماكن المأمونة والمضمونة ليلجأ إليها البشر فينجوا من الفواجع وعليه فهو يُنذر بوقوع الخيانة والانفصال والهجر والطلاق. والكلب منجِّم يكشف العدو والسارق والمجرم، ويعلن طلوع نجوم السعد ونزول نجوم النحس وتغيُّر الرياح وتبدُّل الأنواء ونباحه بالمقلوب يؤكِّد اقتراب الموت. والكلب طبيب فأنفاسه تشفي المفكور والموهور والموهوم ونباحه يطمئن المرعوب ويؤمِّن المهدَّد ويطرد الهواجس والأفكار السوداء. والكلب رسول بين عالمي الأحياء والأموات، ينقل الرسائل من الراحلين إلى الباقين ويهدي نفوس الموتى عبر العالم الآخر، ولذا يبعث الآمال في اليائسين والتفاؤل في المتشائمين فيجبر القلوب المكسورة ويشرح النفوس المقهورة ويُبشِّر الحزانى بالفرح القادم لا محالة. والكلب شمّام رعن يشمّ ريحة الأنثى من مسافات أبعد من بعيدة ويقدر أن يعرف أين كانت حتّى بعد أن تروح، ويعجز عن ضبط نفسه فينطّ عليها ويحتكّ بها سواء كانت من نوعه أم من نوع آخر فالأنثى عنده هي الأنثى كلبة كانت أم ذئبة حيوانة أم إنسانة. كما أنه يصطهج على آثار الإناث فيتحكوك بأغراضهنّ وبكلّ ما يستعملنه في أمورهن المعيشيّة والحميمة. إذاً الكلب شعلة الجنس الأبديّة يوقد الشهوة فيوقظ الحواس الغافية ويحرك الجمر تحت الرماد المُطفأ فيعيد اندلاع اللهيب في الغرائز الخامدة ويذكي فيؤجّج نيران الغرام المضطرمة ولذا كثيراً ما تعرض الإناث عليه الزواج قائلات: أشعلتني، ألهبتني، أجّجتني، وعليك أن تتزوّجني. لكنّ القلب شعّال نقّال يُعاني حين تكلِّب عليه أنثى فيعمل المستحيل لينسحب عنها وينخرط في غيرها فلذّته في الإشعال والإلهاب والتأجيج لا في الاستدفاء أو الاصطلاء أو الاحتراق. لذته في الرحيل بعد كلّ وصول وفي التملّص بعد كلّ حصول ولذا يتهمونه بالدناءة وبالتذلّل للتسلّل وبالتعلل والتحلل، وأنثاه إن كلّبت فصعب أن تفك. وفي حين أنه سريع الاندكاك سريع الانفكاك فأنثاه بطيئة التعلق بطيئة التطلّق. وتظلّ نار الكلب نارين: نار تحتانية حرّاقة ونار فوقانيّة برّاقة. نار باطنية بركانية مدمرة ونار ظاهرية شمسية معمرة. ولذا فالكلب يخدم البدو والحضر، يخدم الرعاة والفلاحين والمصنّعين والتجار والسياسيين والحكام والمحكومين والمنتجين والمستهلكين. فهو محارب يهمّه أن

يحارب دون أن يبالي مع من أو ضدّ مَنْ. ولذا يتراوح بين موقفين: بعض يصفه بعزّة النفس والترفّع والنزاهة والإخلاص وبعض يصمه بالتملّق والتزلّف والتذلّل والخداع. فالكلب لقب تعظيم: مبارك محبوب ومرهوب عند الطبيعيين بسبب شهوته الحسية المستمرة وجاهزيته الجنسية الدائمة، في حين أنه عند المتطرفين المتطهرين لقب تحقير: ملعون ميغوض ومرفوض لأنه ثائر فاجر جنّاس نجّاس دنّاس رجّاس شبّاق طبّاق علاّق طلاّق ولاّع وقّاع خلاّع قلاّع، أمّا عند المعتدلين فنصفه ملاك ونصفه شيطان، فيه أقصى الصلاح وأقصى الطلاح، ولذا ينصحون بالإبقاء عليه والتعايش معه إن سيطر ملاكه على شيطانه، وبالتخلّص منه والانصراف عنه إن سيطر شيطانه على ملاكه. وعامّة الناس يعتقدون أنّ الكلاب نوعان: كلاب جعيريّة برّيّة حقيرة خطيرة مؤذية ضارّة فلتانة كانت ملائكة كلّفها الربّ بحراسة شجرة المعرفة فتهاونت وغفلت عن تنجيّة حوّاء من إبليس الشرّير فمسخها الربّ شياطين وأبالسة وفلتَها لتعيث في الأرض فساداً، وهذه قتلها حلال وتربيتها حرام لأنّها أرذل ما خلق الربّ وحيثما توجد لا تحضر الملائكة. وكلاب حراسة أو صيد مؤدبة مهذبة عظيمة أمينة نافعة صالحة كانت ملائكة ساعدت الربّ في القضاء على الفوضى وإحلال النظام. لكنّها انشرحت حين عاينت غبطة آدم وحوّاء باللذّة الحسية، فطلبت من الربّ أن يذيقها المتعة الجنسية فمسخها كلاباً وبعثها رسلاً لتحرس البشر وتحرص على أن يلتذّوا ويتمتعوا بأمان واطمئنان. وهذه حرام قتلها وحلال تربيتها لأنها مساعدة الأنبياء والأولياء والأصفياء. تنبح فتجمع قطعان الغيوم لينزل المطر وبولها يزيل سحر السحرة وبعرها يُفسد الحسد ويمنع العين وعظمها يبرئ السقيم ولحمها يشفي العقم والعقر وجلدها يبعد الأرواح الشريرة فحيثما توجد لا يحضر الجنّ ولا الشياطين. والحق أن الكلب وجه خير يجلب السعد. ولذا يستبشر به الناس وهو وسيط حقّاني لا يتحيّز ولا ينحاز ولذا يلجأ إليه المتشاكلون ليحلّ مشاكلهم بإنصاف بلا إجحاف وهو رسول الحبّ والغرام فمن يحبني يحبّ كلبي ومن يحبّه كلبي يحبّني. وهو صديق أمين وفيّ مخلص لا يعضّ صاحبه وينبح فيكشف أعداءه ويهاجم من يضمر الشرّ له أو لأسرته ويجسّد الكلب البراعة في استثمار الفُضالات والحُثالات والنفايات والعفاير والهرايرِ. والمهارة في تجديد العتايق وإعادة تجهيز ما لم يعد صالحاً للاستعمال. فهو يرمِّم البالي ويصلّح المعطَّل ويبدع من المخلّفات تُحفاً رائعة فريدة. ويتفوّق الكلب على نفسه حين يضحّي بنفسه على مذبح نفسه ويقرر أن ينتمي. فالكلب بالطبع لا مُنتم ولكن إذا انتمى أخلص. وصار الحريص الذي يبذل كلّ غال ورخيص ليصون عهده ويفي بوعده. وهذا هو الكلب المجنَّح الذي طهَر نفسه

بنفسه فاستخدم جراثيمه وسمومه في القضاء على سيئاته وسلبياته واستعمل عقاقيره وأدويته وترياقه في علاج حسناته وإيجابياته فتخلّص من الشوائب وانطلقت روحه صافية نقيّة ليتحلّ في بشر. وهكذا فالكلب على الفطرة. لا يتكلّف ولا يتجلّف أو يتصلّف. ولا يتلطّف ولا يتعطّف أو يتزلّف، ولا يتغلّف ولا يتقنّع أو يتصنّع. ولا يدّعي بل يحب عن جدّ ويثبت على الودّ. ويحافظ على الولاء في السرّاء والضرّاء ولذا فهو كثير الأحباب والأصحاب. والكلب ذو نفس رقيقة، وحركات رشيقة، وقلب طيّب لا يعيِّب ولا يخيِّب، وعواطف جيّاشة تشدّه أحياناً إلى الطياشة. إنّه حلو المعشر، حسن المظهر، حسن المخبر، يؤانس حين يجالس، فخلقه غير ضيّق وحديثه عذبٌ وشيّق. وذو نبرة طبيعيّة ممزوجة بنزقٍ محبَّب وملعنة طيّبة، ممَّا يجذب الجنس الآخر إلى ملاطفته ومداعبته. والكلب ذو عقل مزخرف في دماغ شفّاف. وذو ذكاء استنباطيّ ولذا فتفكيره إبداعيّ وتقديراته واقعيّة وقراراته خياليّة. فهو يميل إلى العلوم الممتعة والمفيدة، وإلى الأعمال المسلِّية والنافعة. وحيث أنّ الكلب ذو خيال مجنّح يحلّق في الابتكار والإبتداع والتجديد والاختراع. فإنّ أفكاراً كثيرة تتزاحم وتتداحم في باله. ومشاريع عديدة تتدافع وتتدافش في خياله. فعند الكلب الإبداع حلّ لكلّ المشاكل وعلاج لكلّ الأمور. إلاّ أنّه لا يحقِّق كلّ تصاميمه، بل السهل منها، إذ أنّه ذو طبع معتدل حارّ فاتر بارد وبالتناوب، ويابس رطب نديّ على التتالي. وذو مزاج حادّ طري قاس ليّن، ولذا فهمَّته متفاوته وثباته متواتر. فإرادته تحتدّ فتهمد وتشتدّ فتحمد. ومع ذلك يتوصَّل إلى إنجاز أعمال تجتاز حدّ الإعجاز كمّاً وكيفاً. وهذا الأخذ والجذب والمدّ والجزر في سلوك الكلب يدفعه إلى التوكّل على الطفرات النشاطيّة. فينجز في وقت قصير ما عجز عن إنجازه في وقت طويل. ويكمل تكوين جسم الكلب فيصبح أهلاً للزواج في التاسعة عشرة من عمره. والكلبة حلوة رشيقة رقيقة زاخرة بالمشاعر الهفهافة والأحاسيس الشفّافة. إنّها بحر ظرافة ولطافة، وينبوع حبّ رقراق رائق يفيض بالأشواق، وبركان حنان وحنين لا تلجم طبيعتها بل ترخي العنان لسجيّتها. وللحبّ عندها فنون وفنون، تجنِّن العاقل وتُعقِّل المجنون. حاذقة في كلّ شيء تتعلّمه، بارعة في كلّ شيء تعمله. تنتقد الشواذ وعندها الطبيعة أفضل ملاذ وتُطالب بحقوقها بإلحاح وتضجّ بالصراخ والصياح. وتشتدّ في المنعة إذا طلب أحد منها المتعة. وعندها استعداد للخمول والكسل إذا تحقَّق لها الأمل. فإذا أردتَ أن تحافظ على نشاطها فلا تُلَبِّ كلّ طلباتها ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في السابعة عشرة من عمرها. إذن الكلب فارس حارس، يحمي ويقي. وذو وفاء يحافظ على الولاء. وذو مروءة وحَمِيَّة، يساعد ويساند المشاريع الخيريّة. إنّه عاطفي بعقل، يحبّ

العدل. وعقلاني بإحساس يحبّ كلّ الناس. إنّه واقعي إلى حدّ الخياليّة وخيالي إلى حدّ الواقعيّة، يؤمن بالتعدّديّة، وطليعي يؤمن بالتجديد والتجدّد الربيعي. يكره اللجم ويبغض الخنى ويسبق الوهم لإدراك المنى. يجلو بأنوار الرجا غيوم الضنى والغنى قاصرة عن خياله أعماله، مشروطة بأحواله آماله. لا يهمل القصد ولا يخون كأنّ كلّ جسمه عيون والكلب معتدل لا يبتذل بل يختزل. ويعتزل التكرار والإسهاب والإعادة والإطناب. وتنضج ميوله في أوّل الشباب. وتستمرّ عنده الفورة فيرتقي من ذروة إلى ذروة. فيشرع يميل إلى التفكّه بالمظاهر الاجتماعيّة ليزداد حيويّة، فيزداد إمكانيّة على الاجتهاد والاعتماد على الذات والثبات إلى أبعد حدّ مستفيداً من الأمس في عيش اليوم والاستعداد للغدّ. ودمتَ أميناً معيناً، يا أخي الكلب! ودمتِ نبيهةً نزيهة، يا أختي البوبيّة!

زياح الروح الفطريّة

النصف الثاني من أيار، يؤثر على مواليد الساعة التاسعة، ويُشبه من هم في عمر الثالثة والثلاثين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الفطريّة تتقمّص اللقلق

تتجلّى في اللقلق أكمل وأشمل الفطرة، ولذا يطلق نفسه على سجيتها فلا يتصنّع ولا يتكلّف ولا يفتعل وكذلك يترك الآخرين يعيشون على طبيعتهم، فلا يدفعهم إلى شيء ولا يمنعهم عن شيء بل يدلّهم بسلوكه الفطري إلى وجوب اتباع فطرتهم. والصلاح عند اللقلق ما هو باتباع الشرائع ولا بتطبيق الوصايا ولا بإطاعة القوانين ولا بممارسة الطقوس بل بإرضاء الضمير ولكلّ إنسان ضمير يدلّه على الخير بالفطرة. فالخير دافع شخصيّ ينبع من ضمير فردي، وهكذا فالحلال والحرام لا تقرّرهما سلطة خارجية بل سلطة داخليّة هي الضمير الفرديّ الشخصيّ. إذاً الضمير سيّد الإنسان وحاكم الحياة فكلّ ما يدعو إلى الخير ويؤدي إليه حلال وكلّ خير نقدر أن نعمله واجب علينا فعمل الخير يرضي الضمير وكلّ ما يرضي الضمير خير. وكلّ الأنظمة تأسست على قواعد هذا الضمير الفطريّ ولكنّها ما حوت كلّ جوانبه وعليه فاتّباع الضمير أولى وأعلى من اتّباع الأنظمة لأن الطبيعة أسوى وأسمى من أي شريعة. وقد كلّت المواعظ على الذي ما هو لنفسه واعظ، وأحلُّ حلالٍ عند اللقلق هو ما يحبّبنا ببعضنا ولذا يتربّع اللقلق على عرش الحبّ العائلي: أنثاه مثال الأمومة الكاملة وذكره مثال الأبوّة المتكاملة وأفراخه مثال البنوّة الصالحة يرعون والديهم وأجدادهم بلا ضنٍّ ولا مِنّيَّة حتّى الموت. وبالنتيجة اللقلق محبّة شاملة يحب

دوماً ولا يكره أبداً ويصادق الكلّ ولا يعادي أحداً فمبدؤه في الحياة: المحبّة مفتاح النجاح والصلاح والإصلاح. وهذا ما يجعل اللقلق بشير خير وجلاّب سعد ومبعث تفاؤل فغيبته تمثّل حَبَل الطبيعة ورحلة البذور في باطن الأرض وعودته تمثّل مخاض الطبيعة وولادة الخضرة الجديدة المجددة للحياة التي تطفح بالبِشر من وجه اللقلق الذي مهما جمدت ملامحه وهو يتأمّل تظلّ تلمح في سيمائه مسحة بشاشة وحبور مكتوم فاللقلق يعجز عن العبوس أو التجهُّم أو تقطيب الأسارير وهذا ما يجعله نهباً للضيوف الثقلاء وعرضة للانتقاد الحادّ إذ يرى الحسّاد بسمته المضمرة فخّاً يوقع به الآخرين ليفتحوا له قلوبهم فيطّلع على أسرارهم ويسيطر عليهم من الداخل كما يرون في نظرته الثابتة الثاقبة ميلاً إلى التطفّل والتحشّر في ما لا يعنيه في حين أن نظرته التأمّليّة تلك التي تراقب وتلاحظ أدقّ الأمور تدّل على يقظته الدائمة ورغبته الدائبة على منع الخطأ الذي قد يقع وتلافيه إن وقع فاللقلق حريص دوماً على تخفيف التوتّر وتلطيف الأجواء. إنّه نبيّ يحمل رسالة جوهرية مفادها أن المحبة والتفاني في العطاء أنجع دواء لكلّ الأدواء وأمضى سلاح في كلّ كفاح وأن درب الحبّ أقصر الدروب إلى القلوب ومن ثمّ إلى العقول، وأن الغدّ لأهل الودّ ولن تكون الأرض لأهل البغض. لا ولا لأرباب العنف والعسف بل لأهل العطف واللطف. وما قدرة اللقلق على الوقوف طويلاً على قدم واحدة إلا تأكيد على أن يداً واحدة تقدر أن تُصفق وعاموداً واحداً يقدر أن يحمل البيت أو الكون وأن الفرد يقدر أن يحمل الكلّ دون أن يكلّ أو يملّ وأن الجهد العددي العام هو مجموع محصلة الجهود الفرديّة الخاصّة. واللقلق حكيم بالفطرة، ذو ذكاء خارق وفطنة فائقة. يفيض بالمعرفة الإشراقيّة التي تبرق بالحلّ فور استعراض المشكلة. وتشرق بالبراهين العقليّة لتدعم الأفكار الفطرية. وهذه الحكمة الفعليّة تجعل اللقلق سيّد الكلمة الخلاّقة المجدية التي تنبع من عقلٍ عمليّ وتشقّ مجرى تطبيقياً يقود إلى تنفيذ ناجح. وحيث أن الحكيم حليم وجلود وصبور فإن اللقلق برحابة صدره وطول صبره يصير ملجأ المحتارين يقصدونه ليسمعوا رأيه السديد ويأخذوا حلَّه الأكيد وحيث أن اللقلق يأكل الحيّات والأفاعي والثعابين فإنّه يمثِّل المخلِّص الذي ينقذ العناصر والكائنات من الشرور. إنّه خصم الشرّ اللدود الذي يطارد الشرّ أينما كان ويقضي على الأشرار بلا هوادة. إنّه ماء الخير الذي يُطفئ نيران الشرور، ونار الصلاح التي تُبخِّر مياه الطلاح. فإذا رأيت أحداً يعادي لقلقاً فاعلم أنّه فاسد طالح شرّير يخاف أن يكشفه اللقلق فتناله مباضع الإصلاح

وتستأصله. والمرجّح أنّ اللقلق يجسِّد الصورة الواقعيّة للعنقاء الخياليّة فهو يطلق المعرفة الموضوعية من الوعي الحرّ ويقيم المنفعة العامّة على الجهود الخاصّة. ويبعث أمله من يأسه، وفرحه من حزنه، وبقاءه من فنائه. فتنبثق روحه لتحلّ في بشر. وهكذا اللقلق ذو عقل مطلق في دماغ مطلق، ولذا فهو مفتوح على كافّة الاحتمالات المباحة. وذو ذكاء اشتقاقي، واستنتاجي، ولذا يدرس كلّ الإمكانات المتاحة ويشتقّ منها حلولاً يكون حاصلها معقولاً ومقبولاً. فتفكيره إشراقي وتقديراته واقعية وقراراته تطبيقيّة عمليّة. فهو يلمس الحقيقة بالسليقة، ولذا فهو جوهريّ لا يستند على المظهر بل يعتمد على المخبر. ولا يؤخذ بالأشكال والأقوال بل بالأعمال والأفعال. فعنده المتوفِّر هو الجوهر. وعليه يستثمر الموجود إلى أبعد حدّ، ويستبعد المفقود حسماً للأخذ والردّ، على مبدأ: اشتغل بالمقصقص حتّى يأتيك الطيّار. وهذا ما يجعله يميل إلى العلوم والأعمال الحيويّة ذات الفائدة الواقعيّة. ولأنّ اللقلق جدوائي غير عبثي فإنه يهتمّ بالمعاني أكثر من المباني، فلا يصفّ الكلام بالهذر الفارغ والثرثرة المسلّية والعلك وطقّ الحنك بل يستفيد من سلاسة لسانه، وطلاقته وبلاغته ليصوغ الكلام صياغة واضحة مقنعة مباشرة، بلا لتٍّ وعجن ولا لفٍّ ودوران، كلاماً فيه الزبدة لا الخضّ والوردة لا العِضّ، وهذا ما يجعله ينجح في الخطابة والمحاماة والشعر والغناء. واللقلق طبيعيّ. ينفر من المظهرة والمنظرة والمنفخة والشنفخة، والتزيُّف بمستوى غير مستواه، والتبرُّج والتزين لإخفاء العيوب والتبيّن، والتظاهر بالعلم وادّعاء الفهم، والتباهي للتعالي على الأقران والخلان والجيران، والتقرّب للتكسُّب، والتزلّف والاسترحام لتيسير المهام. إنّه ذو طبيعة بسيطة منبسطة باسطة فروحه مرحة ونفسه منشرحة. وذو طبع حارّ نديّ. وذو مزاج رائق قلّما يتعكّر، وطريّ قلما يتصلّب، ولذا لا يُعذِّب ولا يتعذّب ولا يعقِّد ولا يتعقّد بل يشدِّد ولا يتشدّد. فالمشاكل التي يحلّها غيره بالشدّة والحدّة، والتهديد والوعيد والعنف يحلّها هو باللطف والعطف واللين للتليين والتعقّل للإقناع والتقبّل، ولذا يعالج كلّ المشاكل ويغلب كلّ الصعاب بسياسة: »الما بجي معك تعا معو«، فيجابه الغضب بالهدوء، والخشونة بالليونة، والقوّة بالمروّة، والسطوة بالنخوة. فاللقلق شاطر في امتصاص الصدمات، ماهر في تنفيث الضغوط، إنّه ذو شخصيّة مرنة بالإجمال. يعرف كيف يسيطر على المواقف في كافّة الأحوال. وذو إرادة مطّاطيّة مهما تنشدّ وترتخي لا تنقطع. وذو حزم شمعيّ مهما يلين أو يقسو لا يفرط. أمّا عزمه فذو ناخب يوزع طاقاته حسب

حاجاته من الألحّ إلى المُلِّح. على مبدأ: الأهمّ قبل المهم. وهذا ما يغذّي أفكاره فيزيد ابتكاره. فاللقلق ذو نظرة ابتكارية يصفُن فيرى الحلول الضروريّة، كما يرى الوسائل الواقعيّة لترجمة الابداعات النظريّة إلى إبداعات عمليّة. إنّه يحوِّل الخيال إلى واقع والضارّ إلى نافع، ولذا ينجح في الفنون الجميلة ويحقِّق الأمور المستحيلة، كما أنّه موسيقي ومغنِّي وراقص بالفطرة التي تتفوّق أحياناً على أهل الخبرة، وعلاوةً على كلّ هذا اللقلق مفطور مفطوم على القيام بالواجب، لا يؤخره عن الالتزام بالدوام والنظام لا حبيب ولا صاحب، ولا يمنعه عن الفرض لا غرض ولا مرض. ويكمل تكوين جسم اللقلق فيصبح أهلاً للزواج في سن الثامنة عشرة، واللقلقة حلوة القسمات، جذّابة الملامح، مريحة التقاطيع، في وجهها سيماء البِشر والتفاؤل والمرح وعدم التخاذل، والرضى والتغاضي والتساهل، وحتّى التنازل لترضية العيال وتمشية الحال. إنّها رقيقة برصانة ورشيقة برزانة، تتملعن ولا تترخصن، ومهما حلّقت في سماء الخيال تظلّ واقفة على أرض الواقع، تتأمّل القريب والبعيد وتستمتع بالقديم والجديد. إنّها نشيطة بلا عبطة تنشر البهجة والغبطة. وإرادتها قويّة على السعادة الجماعيّة. إنها ثابتة ولو على رجل واحدة. وتسعى دائماً إلى أن تكون ذات فائدة. فلا تتقهقر أمام المصاعب ولا تحبطها المتاعب. بل تمزج الشدّة باللين وتعين وتستعين وتتعاون ولا تتهاون وتدبّر أمورها وأمور من حولها بلا رعونة ولا خشونة ولا اهوجاج ولا اعوجاج. فعندها المسكنة أمّ الشيطنة والتلكّؤ أبو الهوجنة والقدوة الصالحة ابلغ المواعظ، ولذا تحافظ على حالها وزخرفة بيتها وشبرقة عيالها بكلّ دقّة مهما كانت المشقّة. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ السادسة عشرة، إذن اللقلق طبيعيّ إلى أبعد حدّ، ربيعيّ يجلب الخضرة والنضرة والودّ، طلقُ المحيّا يعمل ولا يعيى، سلس اللسان كثير العرفان عديم النكران، ذكي حتّى لتقول أنه نبي أو ولي، منقظ مخلّص لشدَّة ما هو وفي ومخلص، وذو فطنة تقطع دابر الفتنة، وتنهي الشقاق وتحلّ الوفاق، ذو نظرة ثاقبة ناقبة، تحسب العواقب لتخلو من المصائب، يميل إلى السمو والتسامي والرقي والارتقاء بنفسه وبمن حوله إلى ذروة الهناء بالاكتفاء، إنه ينفر من الشكوى والتذمّر ويُبعد عن التأثّر بالخيال الذي يزيد الأثقال ويقلب العيش إلى محال ويأخذ بالخيال الذي يخفِّف الأحمال ويجعل العيش سهل المنال. فيستثمر إمكانات الواقع ويسخِّرها ليصل إلى أعلى المواقع. ودمت راقياً راضياً، يا أخي اللقلق! ودمتِ ناعمةً داعمةً، يا أختي أمُّ خديج!

زياح الروح المَرِحَة

النصف الأوّل من حزيران، يؤثر على مواليد الساعة العاشرة، ويشبه من هم في عمر السابعة والثلاثين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثّر بالعمر الذي هو فيه.

الروح المرحة تتقمّص الديك

الديك شهم أبيّ فخور معجب بنفسه مزهو بمظهره متكبر متغطرس ولذا يختال في مشيته أنوفاً عزيزاً كريماً. فهو رسول الشمس يصيح معلناً انبلاج الضوء فينبِّه العناصر والكائنات إلى وجوب القيام ونبذ المنام للاستفادة من مزايا الشمس والتمتع بالنور والحرارة. ولمّا أنّ الضوء حرّ وينتشر في كلّ الاتّجاهات فالديك يعتبر نفسه ابن الداية وما عليه مخبّاية حرّ التجوال إلى أبعد مجال وحرّ التصرُّف حتّى التطرّف ويعطي لنفسه الصلاحيّة المطلقة في فتح كلّ الأمكنة المغلقة ودخول كلّ المناطق المحرَّمة والمكرَّمة بلا إذن ولا دستور فهو رسول النور وما عليه ممنوع ولا محظور ولا عليه محجوب ولا مستور. وحيث أنّ الديك حسن المخبر والمظهر فهو حسن الطالع خيِّر وفأل خير يتمتّع بستّ فضائل: الفضيلة المدنيّة، فعرفه تاج على رأسه يعطيه صفة الملوكيّة بكلّ ما تحمله من لباقة ولياقة وإحساس وإيناس وعقل وعدل ونضارة وحضارة.. إلخ. والفضيلة العسكرية، فمنقاره وأظافره وخفّة وسرعة حركته تعطيه صفة المقاتل الصنديد الصلب العنيد، والفضيلة الدينية، فحرصه الدؤوب على إعلان الفجر بدقّة وتنبيه الكائنات برقّة تعطيه صفة الرسول الأمين على إيصال رسالة سيّدته الشمس، وفضيلة الشجاعة، فهو أبيّ أنوف غيور وجريء مقدام جسور يدافع ببسالة عن

مملكته ورعاياه، وفضيلة الطيبة، فهو يحنو على دجاجاته وأفراخه ويشاطرهم أرزاقه، وفضيلة الأمانة، فهو ثقة في سلوكه كفيل ضمين بأداء وظيفته، وعلى يقين من إتمام واجبه ولذا يبعث الأمن. فالديك منقذ يصيح فيخلّص الكائنات من ظلم الظلام وعتوّ العتمة وجور الديجور ويعلن نهاية ويل الليل وبداية عدل النهار بشروق الشمس التي تُطلع نورها على الأبرار والأشرار وتنشر دفأها على الصالحين والطالحين. وعليه فالديك نبي كوني ينبئ أن الحياة يقظة واليقظة أمل والأمل عمل والعمل عبادة والعبادة رحمة لا ذبيحة، ونفوس ذات مشاعر لا طقوس وشعائر والرحمة ولادة جديدة مع مطلع كل شمس وكلّ وليد جديد بحاجة إلى رعاية وحماية والرعاية مراقبة والحماية حراسة وعليه فالديك محارب مراقب وحارس مدافع يرتقي أعلى مكان ليرصد وينبِّه ويحذِّر ويُنذر ولا يهاجم إلا ليُدافع ويردّ عنه العدوان لا ليعتدي إنّه الحامي المحامي عن الحياة والداعي إلى عدم هدر الأوقات وإلى تقديم الواجبات على المسرّات وعنده أكبر مسرَّة أن يكون لك دور فعّال يفيد أو يمتع من حولك وعنده لا يرتبط الواجب بالتعب والانزعاج واللهو بالراحة والابتهاج فالواجب والمتعة لا يتعارضان إذ يمكننا أن نعمل ونبتهج ونلهو وننزعج، وكثيرون لا يدركون هذا التوازن في حياة الديك فيتهمونه بالخلط بين الواجب والمتعة ويصمونه بالشهوانية المفرطة والمتناقضة لأنّه يعتبر الواجب متعة والمتعة واجباً. ولذا يصنفونه مع الشياطين والأرواح الشريرة. والحال أن الديك مصلح باسل ينزل إلى الجحيم فيعاشر الأشرار ويسايرهم ليصلحهم فيحملهم ويصعد بهم إلى السطح، ثمّ يقوّي إرادتهم ليختاروا الخير وبعدئذ يحملهم ويُعليهم درج القداسة إلى النعيم. وهذا كلّه دون أن يبوح بسرهم. فالديك كاتم أسرار وبئر بلا قرار. وكتمانه هذا يدفع البعض إلى اتّهامه بالغموض وبالتالي إلى الارتياب به والشك فيه. ولكنّ الديك زئبقي يجيد التملّص من المآزق والتخلّص من الأزمات. ويقطع الشكّ باليقين والريبة بالبراهين ويعلِّم أن الإنسان في مأمن ما دام قلبه لسرّه مدفن. فإذا سارَرْتَ صديقك فسيفشي صديقك سرّك إلى صديقه وصديقه إلى صديقه وهكذا دواليك إلى من قد يضرّك بمعرفة سرك والديك متزن يخصّص النهار للعمل والليل للراحة فلا يحبّ السهر، وعنده النجاح يحتاج إلى صحو النهار لا إلى سهر الليالي. والديك يلتذّ بالأحلام ولذا ينام ليحلم ولكنّ الأحلام لا تغرّه. فهو واقعيّ لا يجرفه الخيال بل تنطلق روحه من واقع إلى واقع لتحلّ في

بشر. وهكذا الديك ذو عقل مطلق في دماغ مطلق، ولذا فهو وافر الأفكار طافر الابتكار, وذو ذكاء بركاني متقد متحد بنزعة نزقة إلى اللهو والتسلية عن طريق الهزء والسخرية، ولذا يميّع المواقف ليموّه الحقائق. فتفكيره خيالي وتقديراته اتّفاقية وقراراته هوائية. ولذا لا يظهر ذكاؤه لمن حوله إلاّ في حالات استثنائية. فذكاؤه الناري الانفجاري التجاري يدفعه إلى المطالعة والبحث والترجمة والتأليف، كما يدفعه إلى انتقاد الأخطاء وإظهار العيوب ومعارضة الظلم ومحاسبة الفساد، ولذا يتعرّض كثيراً للنقار في النقاش والعراك للإدراك والخصام لتصحيح الأحكام. والديك ذو روح شروح ونفس انبساطية تُفرط في الانشراح وفي طلب الارتياح. ولذا فهو ذو خفّة وهوى يحبّ الغِوَى والسهر والسمر والقعقعة والجعجعة والشرب والطرب وأن يكون له قسط من كلّ أنواع البسط. ولذا غالباً ما يفقد هيبته ويحطّ من مقامه بسبب كثرة كلامه ومغالاته في التمثيل والمزاح الثقيل. على أن الديك يستعيد مهابته ورصانته ورزانته ومكانته عند اللزوم وقت الاقتضاء. والديك ذو طبع حارّ رطب ومزاج رائق وقاس. فهو شديد الإحساس مرهف الشعور لا يرى من الحياة إلاّ جانبها النفساني. ولذا يتعرض غالباً للخضوع للهوى. فيحبّ نعيم العيش والمسرّات والملذّات، وخاصّة مخالطة الإناث، فيرافق الفتيات ويصاحب النساء إلى حدّ الطيش والالتهاء. والديك بيتوتيّ عائليّ، لا يجد تمام انشراحه وكمال ارتياحه إلاّ في داره مع ذويه وزوّاره. ولذا لا يحبّ الأماكن العامّة ولا معاشرة الغرباء، وبالتالي يميل إلى الاقتصاد فلا يميل إلى الإفراط في الاستهلاك والتبذير لئلا يقع في التفريط ويصل إلى اليوم العسير. والديك ذو قلب نقيّ وفؤاد نديّ وحضور عذب يفرج الكرب. وعواطفه صادقة في حينها وحسب مضامينها، فالديك يفرّق بين صلة الحبّ والعلاقات الغراميّة الشهويَّة. والديك استعراضي بهلواني، ولذا يحب الشعر الملحمي المعاصر والأدب الفروسي الحديث حيث يظهر البطل فارساً في غمار الحياة اليومية المدنيّة التي خلت من روح الفروسية. كما يحب الديك عرض عضلاته الفنّيّة أمام الجماهير في المنتديات والمؤتمرات.. إلخ. على أنّ هذه الاستعراضية وهذا الخضوع للهوى لا يُفقدان الديك اتزانه ولا توازنه لأنهما غير ناجمين عن غرور فارغ أو طبع رديء. فبعد قسط من الحياة العامرة بالملذات تتجلّى صميميّة الديك وتنجلي حميّته وحقيقته الحميمة فيُبرز ثباته ويُثبت بروزه ويكمل تكوين جسم الديك فيصبح أهلاً

للزواج في سنّ السابعة عشرة والدجاجة حسناء ذات عينين غازلتين تنمّان عن شدة الذكاء. فهي نجيبة لبيبة يقظة نبيهة قوّتها في ضعفها تستسلم لتستلم، وتخضع وقد تخنع لتستحكم فتتحكّم. فتتمسكن لتتمكّن وتنعم لتتنعّم. إنها أنيسة وحسّاسة، تستخدم الأناسة وشدّة الإحساس لتسيطر على الناس. تُظهر التأثّر في الأوّل وتظلّ تتمظهر حتّى تتحوّل فيصير لها التأثير في الأخير. وتستعمل سلاح الحبّ فتغزو القلب وتحتلّ العقل. إنها هوائية. إن هبّت ملأت كلّ الثقوب وإذا انضغطت انفجرت. وحين يغلقون عليها المنافذ تلبس حرارة المكان وروائح الحاضرين فتدخل أجوافهم وتتكثّف في بواطنهم حتّى تضيّق خلقهم فيُطلقوها. فتنفلت أثيراً قابلاً ناقلاً لكلّ الألوان والأصوات والروائح والطعوم إنها سريعة الخاطر لا تهاب المخاطر. شجاعة غير مضياعة، جسورة تركب الخطورة، وغندورة غنوج ولجوج تترك الغني لتعلق بالأغنى، وتعيف الهني لتلحق بالأهنى، إنها ذات وجه باسم ومخرز ناعم. إنها ماهرة في إخفاء بواطنها وشاطرة في إبراز مفاتنها. وتعرف ما يجب أن تعمله لتحقّق ما تأمله، ولذا تصل إلى ما تريد بكل تأكيد. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سن الخامسة عشرة. إذاً الديك حلو يحب العلو، ونقي يعشق الرقي، وفكاهي ساخر سريع الخاطر، وذو تعليقات لاذعة ولا تنطلي عليه الوعود الخادعة. فلا يؤمن بالتعابير المنمّقة ولا بالأساليب المُزوَّقة ولا بالكياسة ولا بالسياسة، ولذا يشكّ الناس في ذكائه فلا يساندونه في مساعيه لإحقاق الحقوق والابتعاد عن العقوق ورأب الصدوع والشقوق. وهذا ما يجعله يغتاظ ويدفعه إلى الاستيقاظ للإيقاظ فيشتدّ ذكاؤه ويحتدّ إباؤه. فيهجر التمييع وبالتالي التضييع ويعمد إلى الانشراح والارتياح بضنك العمل بدل الضحك والهزل. ودمت صدّاحاً قدّاحاً، يا أخي الديك! ودمتِ فيّاضة بيّاضة، يا أختي الدجاجة!

زياح الروح الأريحيّة

النصف الثاني من حزيران، يؤثّر على مواليد الساعة الحاديّة عشرة، ويشبه من هم في عمر الحادية والأربعين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الأريحيّة تتقمّص الغزال

الغزال دموي حيوي، نشيط عبيط، مرح سرح، قلق نزق، فهيم حميم، جميل نبيل، لطيف ظريف، مليح صبوح، بهيّ شهي، فوّاح سوّاح، خوّيف ولّيف، سريع هريع، حادّ البصر نفّاذ النظر، ناري العقل هوائي القلب، ولذا يعيش في صراع دائم. فإذا أزكت فكره أنسام المشاعر صار فيلسوفاً عبقرياً، نظامياً مثابراً. وإذا أطفأت تفكيره عواصف العواطف صار فنّاناً رائعاً، فوضوياً هيوياتياً، وإذا توازن منطقه وإحساسه صار قائداً فذّاً، يحكم بالحق والحزم واللطف. وإذا استهلك ذهنه رياح مشاعره وأحاسيسه صار مثالياً خيالياً، متزمتاً متعنتاً، لا مبالياً بالمظهر مهتماً بالجوهر فابتعد عن الواقع وعالم الماديات وتاه في التصورات وعالم الروحانيات. وقد يتعب من هذا الصراع المستمر فيستهتر ليستقر. ويصير كلّ شيء عنده صحيحاً وكلّ شيء مباح على أمل أن يرتاح، وهكذا يتحرر من كل الروابط حتى من ذاته فيدمر ذاته باستنفاذ طاقاته في ملذاته. وهكذا يقع فريسة سهلة بين

مخالب وبراثن غرائزه البهيمية فيغيم بصره ويتلبّد ذهنه وتنشلّ حركته في حومة احتدام زوابع أهوائه المُتفلّتة المتسلطة ومزاجه المائج الهائج ونزواته العاصفة القاصفة. إذن الغزال عجينة مرنة قابلةً للتقولب تتخذ شكل القالب الذي تنصبّ فيه. فهو يمثّل المادة الأولية البدائية للطبيعة التي لم تتمايز بعد، إمّا بسبب الرقابة الأخلاقية، أو الخوف، أو عدم توفّر الظروف المناسبة، أو توقّف في النمو ناتج عن قصور في الغدد أو عن مرض وراثي، أو بقاء الطفولة بعد سنّ البلوغ، أو شعور بالنقص وإحساس بالدونية وعليه فالغزال صنيعة الذين يربونه أو يرعونه. فإن صبّوه في قالب مستقيم استقام وإن صبّوه في قالب معوجّ اعوّج، وهذه القابلية المطلقة للتأثر تجعله عرضة للاستغلال الجنسي والمادي ومن قبل الجميع، ولكن بتناوب زمني وتفاوت مصلحي. يبدأ بأن يستغله أهله الأقربون والأبعدون، ثم يستغلّه أصدقاؤه أو رؤساؤه أو زملاؤه أو رفاقه. وهكذا يضيع بين القوالب، فيتوسّم في كل شخص حبيباً أو صاحب. وفي عملية بحث لا معقول ظاهر وخفي عن زوج مأمول قادر وفي يقع الغزال فريسة وحوش بثياب الغزلان، وحوش يلعبون بالعواطف ويتاجرون بالمشاعر فيتبنّاهم ويصير عشيقاً وأباً أو عشيقةً وأماً ويُرضِيعهم حتى دمه مطمئناً إلى أنهم يحبّونه ويحمونه، وسيتزوجونه، ولكنّهم يمتصّون خيره ويرمونه إلى غيره. وكأنما قدر الغزال أن يكون مأكولاً مذموماً، مسلوباً مسبوباً، منهوباً مكبوباً، والواضح أن أنوثة الغزلان تغلب ذكورتهم، فلدى الغزال استعداد فطري للتخنّث، ولدى الغزالة فيض أنوثة طافح طارح وجامح جانح. ففي الغزالة امرأة وهي عذراء وفيها عذراء وهي امرأة. ولذا تبدأ نشاطها الجنسي في سنّ مبكرة جداً، وقد تفضّ بكارتها بيدها عن جهل وعفواً. أو عن علم وقصداً، إذ تشعر أن عذريّتها تعرقل حريتها، فتعمد إلى افتعال مواقف تؤدي إلى اغتصابها أو زوال غشائها. وهنا تصير

الغزالة فريسة تبحث عمّن يفترسها أليفاً كان أم وحشاً. ولذا يتهمونها بالميوعة والخلاعة والتحلّل والانحلال: فهي عازبة تعيش كمتزوجة ومتزوجة تعيش كعازبة. إنها زوجة تعيش كعشيقة وعشيقة تعيش كزوجة وكم من حليلة تستميت لتصير خليلة وكم من خليلة تستقتل لتصير حليلة! لكنّ أكثر الناس لا يعلمون، ولذا لا يرحمون، فيهينون وهم أولى بأن يهانوا ويدينون وهم أوْلى بأن يدانوا. فالواقع أن الغزالة أنثى طبيعية في ظلّ أوضاع طبيعيّة: وديعة مطيعة، وهي بنت تحت جناحَي والدين طبيعيين، رضية هنية وهي زوجة في كنف زوج طبيعي، وكاملة متكاملة وهي أم في حضنها أولاد طبيعيون إنما حين تخرج الظروف عن المألوف ويشذّ الرعاة عن الطبيعة والعادة فطبيعي أن تشذّ الرعية أيها السيدات والسادة. إذن تتجلّى في الغزالة أنوثة فائقة الطبيعة خارقة العادات تحوّلها إلى حجر فلسفي يحوّل الوحش إلى إنسان. فجمالها الأخّاذ النفّاذ يجلب ويجذب الوحش, وسرعتها المريعة المنيعة تسحره وتسكره. وأنوثتها الطاغية اللاغية، الممدودة غير المحدودة ولا المعهودة تقنعه وتمنعه عن افتراسها وتدفعه إلى حمايتها ليُديم تمتعه بمفاتنها. وإذ يفقد السيطرة على نفسه فيركبها تحمله بسرعة السهم إلى الواقع الذي يقضي على الوهم، إلى لذة عظمى أسمى من لذة قتلها وأكلها. وهنا بلا أي مشاعر حب تروِّض الغريزة السلسة الملسة الوحش الشكس الشرس فيأنسها ويألفها، وينقلب من فارسها إلى حارسها. ينقلب من بهيمة إلى بشر. وهكذا تعلِّم الغزالة كيف يغلب الضعف القوة. ويتغلّب اللطف على العنف وتنتصر السلاسة على الشراسة. إنها جدلية خيالية تتجسد واقعاً ملموساً محسوساً في سلوك الغزالة الذي يُبرز مدى الصبر والمشقة اللذين يجب أن نتحمّلهما لنبلغ الوداعة المطواعة التي تقهر العدوانية المستبدة. ونصل إلى خفايا هذه الروح العذبة التي تصفِّي الأرواح العكرة. ونملك هذه الرقة الذكية وهذه

النعومة الفهيمة وهذه اللطافة الداهية التي بلا أيّة عواطف حب ترقّق الغليظ وتنعّم الخشن وتلطِّف العنيف وتحلّ في الحجر فيتحوّل إلى بشر. وهكذا الغزال ذو عقل كبير في دماغ كبير، وذو إحساس كبير في قلب كبير، ولذا فهو تقني بديع مع ذوق رفيع. وذو ذكاء عبقري وشعور نشّاب لهّاب، ولذا فعواطفه وتفكيره جيّاشان، وتقديراته متعادلة وبالتالي عادلة. فهو أذكى الأذكياء، وعلى المحكّ يظهر ذكاؤه بجلاء. وهو أكثر الحسَّاسين إحساساً، لا تعرف أحاسيسه غموضاً ولا التباساً. وهذان الفيضان العبقري والشعوري المتنافسان على الدوام يجعلان الغزال في صراع باطني مستمر بين عقله وقلبه. فإذا تغلَّب قلبه على عقله انقلب إلى غزال عاطفي، وإذا تغلَّب عقله على قلبه انقلب إلى غزال عقلاني. وإذا تعادلت كفّتا قلبه وعقله انقلب إلى غزال متَّزن. أما إذا أطلق العنان لعقله وقلبه معاً فإنه ينقلب إلى غزال مختَّل مجنون. والغزال العاطفي يستسلم لأحاسيسه وينقاد لمشاعره، فتتأجّج غرائزه ويغرق في اللهو والمسرات والتسلية والملذات. ويتبع الأهواء والنزوات إلى حدّ الفسق والفجور ويسدر في المعاصي والشرور إلى حدّ الإجرام دفاعاً عن الحرام. أما الغزال العقلاني فنوعان: عمليّ ونظريّ. فالغزال العقلانيّ العمليّ، فتملكه روح المعرفة والعمل، ولذا ينذر حياته للفلسفة أو للعلم. فيسير على مبدأ واحد، لا يحيد عنه مهما لقي منه، إنّه ذو ثبات حتى الممات. إنّه عقل في مادّة وملاك في جسد، ولذا يعيش غريباً بين إخوانه البشر. وحيث أنّه قنوع إلى حد الزهد ولا يهتمّ بمظهره أو مأكله أو مشربه، بل يتفانى في بذل الجهد طلباً إلى العلم من المهد إلى اللحد، فإنّه يتعرّض للاستهزاء والاحتقار من الصغار والكبار، مما يدفعه إلى أن يهجر الجميع رغم تعلّقه بأهله وبيته تخلّصاً من الانتقادات وأنواع السخريات. ورغم روحه الشروح ونفسه النفيسة وطبعه الهادئ غير الهازئ ومزاجه الرائق اللائق. فإنّه يتعرّض إلى عراك وخصام مع

سائر الناس العاديين الذين مهما كانوا أذكياء يتعذّر بل يستحيل غالباً عليهم الوقوف على عقليّة هذا الغزال الفذّ. كما يتعرّض أحياناً إلى اضطهادات قصوى زعماً من المُضطهدين له أنّ هذا الشاذ عن سائر الناس إنما هو مراءٍ منافق لا عالم عامل. وغالباً ما تأتي هذه الاضطهادات من ذوي السلطة لا من عامة الناس. لذلك يتعرّض إلى اعتقال وتعذيب وسجن. بل إلى انتقامات لا داعي لها تغدر بحياته إلاّ أنّه، لمّا كان هدف هذا الفذ غير مادي، فليس باستطاعة قوى مادية أن تقمعه، ولا إرادة بشرية أن تكسره أو تزعزعه، ولا خصوم مهما كانوا جبّارين أو بطّاشين أن ينتصروا عليه، ولا حِيَل أدهى الماكرين أن تخدعه. لأنه ذو مبدأ مدعوم بمنطق سليم، منطق يضع الإنسان مقياساً للعالم، ولذا يسعى إلى إسعاد الإنسان مادّياً ومعنوياً في كل زمان ومكان والغزال العقلاني النظري لشدّة تمسّكه بالمبادئ النظرية ينسى الاختبارات العمليّة، فيغفل عنها ويهملها ويزيغ وراء نظريات غريبة تشطّ عن الواقع فلا تطبَّق عملياً، وربما عَنِدَ وتجبّر برأيه إلاّ أنّ عناده ليس صادراً عن سوء نية، بل عن انخطاف نحو المبدأ، وبالتالي، عن تغافل فقط. ولأنّه ذو قلب نقيّ تقيّ فهو مخلص تماماً، ولذا يرجع عن غيّه وتماديه إذا شعر بغلطه. وأمّا الغزال المتَّزن فنبيه نزيه، مستقيم القول والفعل، مستديم العهد والجهد، سويّ سخيّ، جديّ ودِّي، هني رضي، عامل عادل، إذا اشتط عقله كبحه، وإذا اشتط قلبه ردعه، يبرع في كل الأشغال ويبدع في كل الأعمال، ويتكيّف مع كل الأحوال. حيثما يضع يده ينجح، فيعطي القدوة الحسنة ولا ينصح. إنه دمعة لها لمعة. صاف خال من الحسد أو الحقد أو الغلّ، ولذا يحبّه ويرغبه الكل. وعنده الحل الناجع المستند إلى الواقع. ألا إنّه حقاً الغزال الرائع ولا شيء معه ضائع. ويأتي حديثنا إلى الغزال المختَّل، فهذا يشتطّ في الشعور إلى حد التهوّر والتهوير فعواطفه عواصف، ويشتطّ في التفكير إلى حدّ التعكّر

والتعكير. فأفكاره أعاصير، ولذا يحيد عن الواقع إلى حدّ الزوغان دون أن يحسّ مطلقاً بهذا الحيدان وهذا يبرع بالآداب والفنون فيبدع بالشكل والمضمون. فهو ذو جنون إبداعي وأثر إمتاعي. ويكمل تكوين جسم الغزال فيصبح أهلاً للزواج في سن السادسة عشرة، والغزالة فتّانة فتّاكة، أخّاذة إلى القلب نفّاذة. تتسنبل وتتغربل في مشيتها، وتنبض وتنفض في وقفتها فلا تربض ولا تربص بل تفتل وتتفتّل، وتبرم وتتبرّم. وتدور وتندار حتّى تزيِّغ الأبصار لكثرة ما تنتشب وتنثني وتنتصب وتنحني. مائلة مائسة تجوس وتنوس. هارجة مارجة تدخل وتخرج وتكرج وتدرج طالعة نازلة تغسِّل أو تعزِّل أو تغسل. إنها برغي برّام ولولب فتّال. ودوّيخة ودوّامة تُلبك وتُلبِّك وتحبُك وتُشبِّك. إنها مفرطة الحساسيّة إلى حدّ الزيزانية. وهوائية تحبّ أن تسرح من مطرح إلى مطرح. سريعة التأثر ولا يهمها أن تؤثِّر. كثيرة التأخُّر ولا تبالي بأن تؤخِّر. حبّابة شبّابة كسَّابة وهّابة. غنّاجة إلى حدّ اللجاجة. إنها سحر حلال ولذا يليق بها الدلال. إنها صريحة إلى حدّ الغشمنة فما في قلبها على فمها، ولذا فهي سهلة الانخداع سريعة الانصياع تنقاد لأخفّ المشاعر وتنساق بأقل الأحاسيس، فتُؤخَذ بالعواطف. فتندفع وتركب العواصف إلى حد التهوّر والتدهور، ولذا يتّهمونها بأنها رخوة وقليلة النخوة. تحب الانصراف إلى المسرات وتهوى الانغماس في الملذات. وتعشق التكاسل والحياة الهنيّة، لذا تتهافت على العلاقات الغراميّة التي تؤمِّن لها الراحة والرفاهية. وهذا ما يجعلها أنانية تتكالب على ابتزاز واستغلال وتسخير الغير لخدمتها طمعاً في عشرتها، فتصير صعبة العشرة ومنفِّرة تبعث على الطفر والطفش. والحال أنها قادرة على تحقيق أعظم الإنجازات إذا توفَّرت لها الإمكانات ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سن الرابعة عشرة، إذاً الغزال إمّا جاهل يُتخِتِخه العشق ويحفزه رجاؤه في النوال والوصال إلى التعقّل، فيتعلّم

ويُعلمِم الخرافات. أو شاعر يُلهْوِجه الهوى ويدفعه خوفه من الفقدان والحرمان إلى التسرّع فيُعَقلِن الأحاسيس ويُمنطِق المشاعر ويُفلسِف العواطف. أو فيلسوف يُهجوِله الغرام ويجرّه خجله من البوح والتصريح إلى التعجّل فيؤحسس العقل ويُمشعِر المنطق ويُعطفِن الفلسفة. أو عالم تُكركِبَه الصبابة وتدعوه الشهوة إلى التهوّر فيتجاهل ويُخرفن العلوم وبالخلاصة الغزال إما روح برّية. لا ترضى بديلاً عن العيش عدياً وعدواً في الأراضي البعليّة هياماً بالحرية والاستقلالية في البراري والصحاري، رغم ما فيها من تعب ومشقّة وضنك وشظف وإما روح داجنة تستمرئ العيش سقياً في الأراضي الزراعية تستعذب العبودية والتبعية لأنها تؤمِّن الدعة والرخاء والرفاهية. ودمت فذّاً لذيذاً، يا أخي الغزال! ودمتِ مُبهرة مزهرةً يا أختي الغزالة!

زياح الروح العالية

النصف الأول من تموز، يؤثر على مواليد الساعة الثانية عشرة، ويشبه من هم في عمر الخامسة والأربعين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح العالية تتقمّص النسر

النسر ابن الشمس ملكة الكون العظمى، ولذا فهو الوحيد المسموح له التحديق فيها دون أن تحترق عيناه. والنسر وليّ عهد الكون أمير السماء يحكم الفضاء والذي يسيطر على الجوّ يسود على البرّ والبحر، ولذا فالنسر يظلِّل الآلهة والأرباب ويحميهم. ويرفرف فوق الأبطال والعظماء ليحفظهم. والنسر ملك الطوائر السماوية والأرضية: يرأس الملائكة ذوي الأرواح المحرِّرة ويتزعّم الطيور ذوي الأرواح الحرّة. ولذا فهو حرّ بلا حدود ولا قيود، ومحرِّر لا يلين ولا يستكين، ولا يرضى بغير حرّيّته وحرِّية الجميع كينونة ولا صيرورة والنسر ملك نيِّر خيِّر وسيع اليمن والبركة سريع الذهن والحركة، لبيب أريب نجيب أديب، لبق عبق بالأبهة والفخامة، رائق لائق فائق العزم والحزم والصرامة، نبيه نزيه، ظريف طريف شريف، طاهر باهر، واع راعٍ، حاذق ذوّاق، بارع هارع إلى الأغذية المقوّية، نفّاع نزّاع إلى القمم العالية. ذو بأس لا يعرف اليأس ولا يتلكّأ وعلى

نفسه يتوكّأ، ويعمل ولا يكسل، ولا يحيد عن أهدافه القريبة والبعيدة مهما كانت ظروفه تعيسة أم سعيدة يغيّر مجرى الرياح كما يشتهي ليركبها إلى النجاح، ولذا فهو يمثِّل الأبوَّة الكاملة المتكاملة. إنّه الأب الحرّ المحرِّر. الأب القوي المقوِّي، الأب المعطاء الذي يؤمِّن لأفراخه كل أنواع الغذاء والذي يدفعهم ويرفعهم من العالي إلى الأعلى، ويظلّ يربِّيهم ويُرَقِّيهم حتى يبلغوا ذروة ذرى المعالي ويظل يكترث ويبالي حتى يستقِلُّوا ويستدلُّوا ويملكوا حرّية الاختيار ويمسكوا بناصية القرار في كل مجال فيؤول إليهم المال في كل منال، إذ ذاك ينعم بالاستقرار مطمئناً آمناً ضامناً صلاحيتهم للاستمرار بكل قدارة وجدارة، ويواظب النسر على تلقّي أنوار المعرفة من منابعها الأصلية مباشرة، ولذا يرتوي على الدوام ويتجدد بانتظام. فينبثق من إنجاز إلى إنجاز ومن إعجاز إلى إعجاز، ويجدِّد فيبعث الهمم من قمم إلى قمم ويحيي الارتقاء المتنامي في مفاصل الارتخاء المترامي. ويتبوّأ النسر بين الكائنات مكانة الشمس في الكون، إنّه نقطة محورية تنطلق منها الجهات الستّ: اليمين واليسار، الفوق والتحت، الأمام والوراء. وتمتد منه الأبعاد الأربع: الطول والعرض، والعمق والارتفاع. فهامته الواصلة إلى أوج الخيال وقائمتاه اللتان تجثمان على قعر الواقع تجعل من جسمه محور العالم العامودي. وجناحاه الممدودان إلى أقصى النقيضَين تجعلان منه محور العالم الأفقي. وذاكرته الممدودة إلى أقصى الماضي ونظراته الممدودة إلى أقصى المستقبل تعطيه البعد الفراغيّ. إذن النسر محور عالم فراغي لا مستو، يشبه عرنوس الذرة الصفراء في وقفته والشمس الناشرة أشعّتها في طيرانه، ولذا فالنسر محوري ولولب حركة، يمسك بكلّ الخيوط ويحرِّكها وفقما يلزم ويجب لا حسبما يهوى ويريد. وهذا ما يجعله موضوعياً لا ذاتياً، وهذه المحورية الموضوعية هي أساس ثقة الآخرين به واحترامهم له. فالنسر

نقطة ارتكاز متَّزن ومتوازن. ولذا يقيم الاتّزان والتوازن بين القوى: فيه تتوازن القطبيّة السالبة والموجبة، وتتعادل الذكورة والأنوثة، وتتزاوج البداوة والحضارة، ولذا فكلما حاولت جهة أن تتعدّى على جهة قمعها وألزمها حدود موقعها، وهكذا فالنسر ميزان لا يختلّ ولا يسمح بالاختلال. وعليه فالنسر عادل عدالة سماوية وأرضية يعمل على ألاّ يموت الصقر وألا يفنى الحمام في الجو وعلى ألا يموت الذئب وألا تفنى الأغنام في البر. إذ لا غنى للكون عن النقيضين ليعمر. فالطائر لا يطير بجناح واحد والسائر لا يسير على قدم واحدة. ولا بدّ من صراع الضدين ليبقى الأقوى من كل ضد. وهذا التوازن الطبيعي يوصل النسر إلى الاتّزان الشخصي، الجسدي والنفسي، المادي والروحي. فيتقدم رغم كل المصاعب والمتاعب ويعلّمنا بسلوكه أن نتقبّل الحزن مثلما نتقبل الفرح فعربة الحياة تسير على دولابَين: دولاب الألم ودولاب اللذة. ومن هذا الاتّزان تنبع فعالية النسر الذي يملك الفعاليتَين النظرية والعملية. ويحظى بقوى القول والفعل الثلاثة والتي تقابلها ثلاثة: إنّه بكلمة يُوحِد وبكلمة يُلغي، بكلمة يُفهِّم وبكلمة يُبهِّم، بكلمة يبلي وبكلمة يُعزِّي. وعند النسر فعل بلا قول خير من قول بلا فعل والعمل على الدوام أبلغ من كل كلام. ولمّا أنّ النسر قوي يقوِّي وشجاع يشجِّع وفطن يفطِّن، فإنه وثيق الصلة بالموضوع الذي يعالجه، وبارع بنظره الثاقب في إيجاد العناصر المناسبة والملاءمة بينها وحشد طاقاتها لبلوغ الأرب. وهنا يتبدّى النسر بصورة الموحِّد للأعداد والمعدِّد للواحد وبصورة المدرِّب والموجِّه والمعلِّم والمسبِّب والمحرّك والباعث والمصلح والطليعي، وبصورة الوصي على الكائنات القاصرة يرعاها لتصير قادرة أو يحميها ويقيها لأن لها الحقّ في أن تعيش رغم عجزها، وهنا نرى النسر جاثماً على ذروة الشجرة الكونية صاحياً صاغياً يحرسها ويحرص على أن يحفظها من الآفات، وعلى أن يداوي

أي غصين أو بريعم أو وريقة أصابته علّة، أو محلّقاً بسحر، إن نهاراً أو ليلاً، ولذا يرفع النفوس الهابطة من الحضيض إلى القمم. فيحمل الوحوش الضارية والحيَّات السامة، فيحوّل ضراوتها إلى طراوة وسمومها إلى ترياق، كما يحلِّق بالنفوس العالية فيسمو بها من القمم إلى مفاوز السماوات الفسيحة والنسر ذو نخوة ومروءة يغيث الملهوفين ويسعف المنكوبين ويُنجد المصابين ويهدي الحيرانين وينقذ المخدوعين ويخلِّص المتورّطين وينصر الضعفاء ضد الأقوياء. إنّه رسول يرفع دعاوى وشكاوى الأرض إلى السماء، ويُنزل عدالة السماء إلى الأرض ويحمل روح المغدور لتنغِّص عيشة من غدره، والنسر طبيب يداوي المرضى والمعلولين ويشفي العقيرين والعقيمين. وعلى هذا فالنسر مندِّد بالتكبّر والتجبّر وبالعنجهية والعجرفة. فهو فأل خير ولكن إذا بالغ في الاعتداد بمزاياه صار شؤماً وشرّاً. وهو جلاّب سعد ولكن إذا غالى في الإلحاح على تفخيمه وتعظيمه صار جلاّب نحس. وهو ذو نفس كبيرة يتعب في مرادها جسده، ولكن إذا عماه نجاحه عن دوافعه الراقية وأضلّه تفوّقه عن أهدافه السامية عصفت به الأهواء الهوجاء وصار لعبة في يد الرياح العاتية فطاش في كل مطاش وطغى وبغى وانقلب إلى بطّاش يرهب الجميع بإرادته الحديدية وقواه التدميرية. وراح يحشر الصالح والطالح في زاوية لا مهرب منها، ويلتهمهم بافتراس بحجّة الاحتراس. ويا ويلتاه حين ينقلب الحامي إلى حرامي: سالب ناهب غاصب، والمحرّر إلى مستعبد والديمقراطي إلى مستبدّ! يا ويلتاه! حين تبدأ القوة العظمى ذات السلطة المطلقة بالاحتلال والاذلال والتحقير بدلاً من الاعزاز والتحرير فترتع وتتمتع بالرفاه والدعة وترمي وتصمي ما عداها بالهوان والضعة بدل أن تحيطهم بالرفعة والمنعة! ولكن أما في تفكير النسر بتعديد رؤوسه ليصير برأسَين أو ثلاثة أو أكثر، أما في سعيه أن يصير ملك الملوك بداية نهايته؟ إن

كثرت الديوك ضاع الفجر، وإن كثرت الأيادي احترق الطبيخ، وإن كثرت الرؤوس ضاق الجسم بالنفوس فانفجر وانتثر فاندثر ألا خير لك يا عزيزي النسر أن تبقى برأسٍ واحد لتحافظ على كيانك المارد وتُطلق روحك من روحك لتحلّ في بشر. وهكذا النسر ذو عقل جبّار يشقّ الشعرة في دماغ جبّار كامل بالفطرة، وذو ذكاء عبقريّ جوهريّ فلتة من فلتات الدهر وخيلة من خيلات العصر، ولذا فتفكيره خلاّق خلاّب. إبداعي إشعاعي، سريع الافتكار بديع الابتكار، لا يجارى ولا يبارى في الاشتراع والاختراع والابتداع، وتقديراته استنتاجية استنباطية اشتقاقية استباقية. وقراراته بنيوية وتنظيمية. فهو إنشائي تنفيذي يسعى إلى الكمال بالاكتمال ويطلب المعالي في كل مجال والعظمة في كلّ حال، ولذا يميل إلى كل ما هو عظيم ضخم جبّار نادر غريب مُبتكَر فريد في نوعه. فاختراعاته مدهشة مذهلة، ومشاريعه ضخمة فخمة، وتصاميمه لائقة فائقة. إنّه في كل شيء خارق العادة: إن في الإفادة أو في الاستفادة. وإن في الإمتاع أو في الاستمتاع. إنّه إبداع الإبداع الذي ما له أي حدّ ولذا يسعى إليه المجد. والنسر ذو روح عالية ونفس كبيرة. وطبع حارّ بليل، ومزاج متراكب متضارب في الظاهر، متلائم متناسب في الباطن. فهو وديع ومتواضع وأريحي ومتعجرف ومتغطرس وعنجهي معاً، وهو حذر محترس محتاط متخوِّف وشجاع جريء جسور مقدام معاً. وهو رخو غليظ بليد متأمِّر وحازم لطيف نشيط وخدوم معاً. ومع أنّه ذو علم غزير وخبرة كبيرة واضطلاع واسع وثقافة عالية، فإنه يتظاهر أحياناً بمعرفة ما لا يعرفه. وهذه المفارقة في شخصيته ترجع إلى سببين: ذكاؤه الذي بلا حد وسعيه إلى حرّية بلا حدّ، ولذا يجب التعامل مع النسر بذوق وفهم ومودَّة. فالنسر لا يأتي أبداً بالجفاصة بل بالأناسة. والنسر أقصوي في كل شيء. فلا توسّط عنده بل له الصدر دون العالمين أو القبر. إذ لا يحدّه حدّ ولا

يردّه ردّ وإنّما يشدّ ويمدّ، ويجدّ ويكدّ، ويسدّ ولا ينسدّ، ويهدّ ولا ينهدّ. فلا يندّه ندّ ولا يبدّه بدّ. وعواطفه شهّابة لهّابة، وهادرة قادرة. فإن أحببته تفانى في حبّك إلى أقصى حدّ. وإن أعرضت عنه نجقك وسنَحك إلى أقصى حد. وإن أراد أجاد رميك عليه وأخذك منك إليه، ولذا يتهافت الجنس الآخر عليه ويتسارع إليه، ويشغف به، ويستسلم له وعند النسر للشرف المقام الأوّل وعنه لا يتحوّل، إنه أبي إباء الأنبياء، وفيّ وفاء الأولياء، نزيه عفيف، مستقيم نظيف، لا يُخلف وعداً ولا يخون عهداً. وكلمته شرفه يحفظها مهما كانت النتائج، فالنسر لا يخدع مهما انخدع، لا عن ضعف بل عن قدرة واستيعاب، ولذا يظلّ حتى يعيد الخادعين إلى جادّة الصواب. والنسر مريح لأنه صريح، لا يواري ولا يماري ولا يجاري ولا يداري، ولا يرائي ولا يرابي ولا يحابي، إنّه واضح كعين الشمس وكمقلة القمر ويكمل تكوين جسم النسر فيصبح أهلاً للزواج في السادسة عشرة من عمره. والنسرة جميلة مهركلة، وطيِّبة حقود ومغبطة حسود، وحسّاسة متنحسة، ومدركة واعية مهملة لا مبالية، ومشتهية مستحية، وهيّابة وثّابة، وخوّافة طوّافة، وخجولة جريئة، ومذعورة جسورة، ورخوة متصلّبة، ومرتّبة مكركبة، وعنيدة مسايرة، ومنيعة مبادرة، ومتمسِّكة متخلِّية، وجدِّية متسلِّية، وثابتة متزعزعة، ومتَّزنة متضعضعة، وظلوم رحوم، ونفوذ كتوم. إنها أنثى مستفحلة حتى لتظنّها مسترجلة وما هي كذلك، بل هي تسلك أرجل المسالك لأنها ترفض التمييز العنصري بين الجنسَين وتعتبر الإنسان واحداً في إثنين، ولذا تزاول كلّ وظائف ومهن الرجال وتسعى مثلهم إلى المعالي وإلى الكمال وإلى العظمة، والعظمة تسعى إليها، إنها حُرَّة مستقلَّة مستقرئة مستدلَّة، ومستنتجة منتجة. ويمكن الاعتماد لا الاتّكال عليها. صراحتها جارحة وأعمالها ناجحة. محبوبة ومهيوبة، مخلصة ومتملِّصة، إنها نعمة منتقمة ونقمة منعمة. إنها حُرّة تسعبد ومهلكة

تستنجد. إنها كريمة إلى حد التبذير ومقتصدة إلى حد التقتير. إنها راقية تتسافل وسامية تتسافه. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في الرابعة عشرة من عمرها. إذاً النسر متعدِّد المواهب ومتذوّق ومتجدِّد القوى ومتفوّق. يحلِّق في المطلق ولو انحشر في حيّزٍ مغلق يسعى إلى تجميع القوى لخير البشرية فإذا عجز السوى عن إدراك غايته الإنسانية فنعتوه بالفردية والأنانية والمصلحة الشخصية، استوعب قصورهم الفكري وتخلّفهم الحضاري وعقليتهم القشريّة غير الجوهريّة. وتابع رقيّه في سماوات المدنيّة وواصل سموّه في الفضاءات الكونيّة ناشراً الحريّة والتقدّم والتطوّر والازدهار والرخاء والرفاهيّة. ودمت راعياً واعياً، يا أخي النسر! ودمتِ ساعيةً سامية، يا أختي القشعمانة!

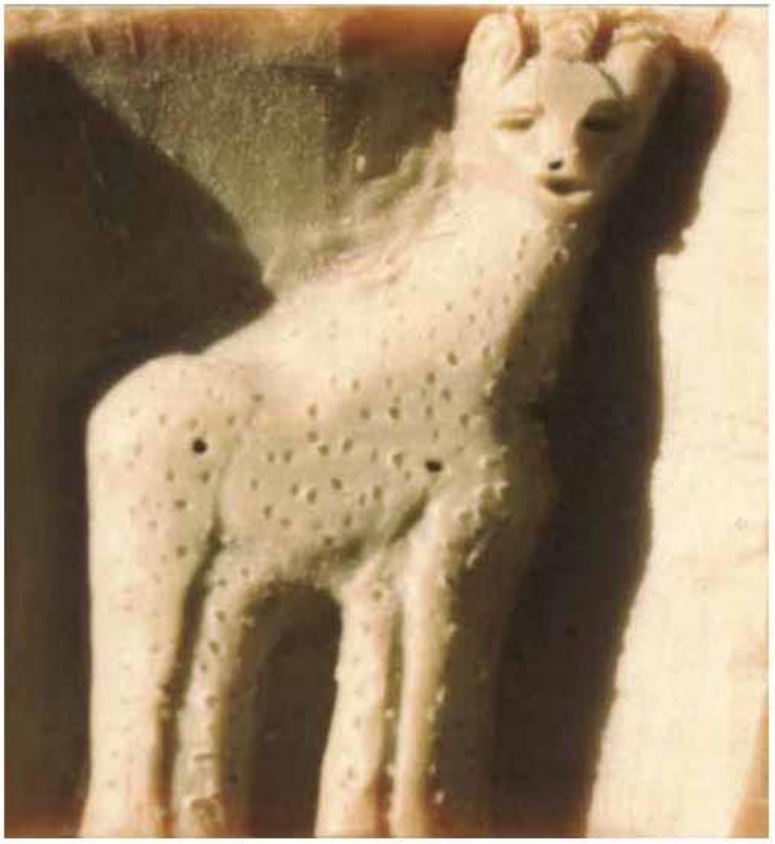

زياح الروح المتطوّرة

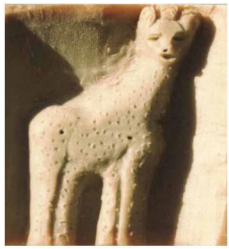

النصف الثاني من تمّوز، يؤثر على مواليد، الساعة الثالثة عشرة، ويشبه من هم في عمر الخمسين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح المتطوّرة تتقمّص الزراف

الزراف شجر حيّ حرّ يتنقل، قوي الرأس كالثور، مجترّ صبور ذو نَفَس طويل كالجمل، جموح حرون كالحصان الأصيل، جريء كالنمر، طموح كالمعز، وديع كالخروف، جميل رقيق كالغزال، وتتجلّى في الزراف قوّة المقاومة السلمية القادرة بالتروّي والتأنّي أن تتكيّف مع كل الظروف وتتأقلم مع أي واقع كان. فترتقي إلى مستوى التحدّيات وتحوّل كلّ العوائق المعاكسة العاملة على إيقافها إلى دوافع مساعدة لاستمرارها ومساندة لِتطوُّرِها. ويشوب هذه المقاومة السلمية أحياناً بعض الفجاجة والفظاظة، وربما بعض التوحش أحياناً. ولكن الذين يعرفون الزراف تماماً يستحسنون منه هذه الوحشية الطافرة النافرة لأنهم يعرفون أنها ضرورية للحفاظ على الكرامة وإجبار المعتدِين على أن يلزموا حدودهم. وتتجسّد في الزراف الرغبة في التقدُّم للوصول إلى الرقيّ الجوهريّ، ولذا يجدّ ويكدّ بنشاط لا يفتر وبهمّة لا تبرد ليبلغ القمّة. فيواظب على تحصيل العلم ويثابر على العمل ليقهر الألم ويحقِّق الأمل. وهذا ما يجعل البعض يحبّون الزراف لنفسه السامية وهمّته العالية. والبعض الآخر يكرهونه لأنه أنجز ما عجزوا عن إنجازه. فسبقهم وتفوّق عليهم، فأشعرهم بالنقص والدونية. والزراف يغار على الحرّية ولذا يحرص على حرّيته ويحترم حرّية الآخرين.

والزراف غير دبلوماسي ينفر من السلوك المشين والتصرّف المهين. فلا يعضّ على الطاولة ويسكت بل يبصق الحصوة ويبقّ بالحقّ. والزراف ذو حركات جذّابة ودلال ورشاقة، يعشق النظافة والأناقة والصدق والصداقة ويكره القذارة والحقارة والنفاق والصفاقة. فإذا تكالبت عليه الوساخة والبياخة، والزيف والحيف، والسفالة والنذالة، يصيبه العصاب والاكتئاب، فيتكاسل ويحتجب، ويميل إلى الشرّ والعدوانية، وإلى النزعات التدميرية الذاتية. والزراف ذو ذوق حرّيف مضفور من ذكاء عبقري وشعور جوهري، ولذا يبحث دائماً عن الجديد والمتطوّر. فيتّهمه التقليديون بالتخريب ويضطهده الناس العاديون الذين يتعذّر بل يستحيل عليهم الارتقاء إلى مستوى تفكيره أو الغوص إلى عمق مشاعره كما يحاربه المجدِّدون الذين يرون فيه خصماً لا يبارى ومنافساً لا يجارى، ولكن الزراف يتابع تطوّره ليحقق تصوّره ويظلّ يخترع ويبتدع لا ليماشي عصره فقط بل ليسبق زمانه حتى تفيض روحه فتجِّل في بشر. وهكذا الزراف ذو عقل متصلِّب القشرة مرن اللّبّ في دماغ ساكن السطح متحرِّك الأعماق. وذو ذكاء تحريضي لا يظهر إلا عند استثارته، ولذا فتفكيره متفاوت يتراوح بين أقصى الغباء وأقصى العبقرية، وتقديراته عفوية تصيب القصد، وقراراته انتقائية ارتقائية. فهو يوازن بين الخيال والواقع، فيهوى الحكايات الخرافية كما يهوى الحكايات الواقعية، ويوازن أيضاً بين النظري والعمليّ فيسرع في خلق وتخطيط المشاريع ويبرع في تنفيذها وإنجازها. وأيضاً يوازن بين المادي والروحي. فينظّم عيشه بحيث ينعم بالرفاهية المادية دون أن يغفل النواحي المعنوية. وهذا التوازن بين الملذات الحسّية والملذات النفسية يجعله يميل إلى الغناء العاطفي والطرب الغرامي والفنون الدنيوية مثلما يميل إلى التراتيل الدينية والترانيم الروحية والفنون السماوية. والزراف عالي الروح عزيز النفس شديد البأس رصين رزين، يخفي رغباته وحاجاته وميوله، ولذا ينتقد بقسوة الدنيئين والمائعين والصائعين والمجلوقين وكلّ الذين يرخصون أنفسهم والزراف ذو عاطفة جياشة عاصفة، عاطفة ملتهبة ملهبة جارفة إنه ذو إحساس بلا مقياس، ولذا يتطرَّف في حبه وفي بغضه، فهو شديد التعلّق بمن يحب حتى أنه يستميت في الدفاع عنه. أمّا إذا شكّ في إخلاص من يحبهم فإنه يبغضهم أضعاف ما كان يحبهم. والزراف ذو طبع حارّ يابس وذو مزاج تكيُّفي، ولذا فهو عنيد وذو

إصرار أكيد، لا يصدّه أحد عما يحب أو يبغض. إنّه ذو إرادة ثابتة وعزيمة لافتة. فإذا بدا له قصد ضحّى وبذل في سبيله كلّ قواه وثابر وثبت حتّى النهاية. ويكمل تكوين جسم الزراف فيصبح أهلاً للزواج في السادسة عشرة من عمره. والزرافة جميلة اصيلة نبيلة حليلة كانت أم خليلة. إنها جذّابة المنظر حسنة المخبر لطيفة المعشر تستأنس وتتجانس وتستألف وتتعاطف وتفهم فتتفاهم فتنسجم وتتلاءم وتتفاعل ولا تتشاكل وتتعاون ولا تتهاون. إنها نقيّة القلب تحتمل الغُلب وتحفظ الودّ في القرب والبعد إنها سليمة الطوية صافية النية شفّافة السريرة حتى لتحسبها غريرة أو غشيمة، وهي خبيرة عظيمة. إنها ذات نخوة ومروءة رؤوم خدوم مسعفة، مشبعة بالميل إلى رعاية أحبابها والعناية بهم وإرضائهم مهما كلّف الأمر. إنها طيّوبة وحبوبة. وحبها نيران ممدودة وغير محدودة، تنير وتدفئ الأحباب والأصدقاء وتبرق فتحرق الحاقدين والحاسدين والأعداء. إنها ذات سلوك متناقض إنما غير متعارض. فهي تارة بسيطة هادئة نشيطة لطيفة قانعة ودود. وتارة معقَّدة نزقة كسولة عنيفة حسود حقود، ولذا تنتابها هبّات انفجار دون سابق إنذار ولكنّها سرعان ما تهمد وتهدأ، ومرحلة جديدة تبدأ. فما هذا الانفجار المفاجئ إلا مؤشّر على طفرة في مسيرة تطوُّرها المستمرّ. وهذا السلوك المزدوج الذي يدفع بالزرافة إلى التقلّب بين أقصى التنظيم والترتيب والتنسيق وأقصى الفوضى والكركبة والطرطرة، ينقل الزرافة من طور أدنى إلى طور أعلى، في جدلية مستمِرَّة تغلقها على ذاتها لتطلقها من ذاتها. فتتدرّج في الارتقاء الباطني لا الظاهري وتبلغ السمو الجوهري لا العَرَضي. وعلى هذا تبدو الزرافة وديعة مطيعة وراضيّة بحالها، ومثابرة على ما هي عليه في الظاهر. ولكنّها في الباطن غضوب مُتمرِّدة، تصبو إلى التقدّم وتسعى إلى السير في الطليعة، وتهفو إلى قيادة مَنْ هم أكثر منها قدرة وموهبة وخبرة، ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في الرابعة عشرة من عمرها. إذن الزراف نفس تشرئبّ إلى الكمال فيشرئبّ عنقها لتقتات بالحق والخير والجمال، ولذا يرمي الزراف إلى أهداف عظيمة نابعة من مبادئ نبيلة، يقضي عمره، ويستبسل في الدفاع عنها بحيث لا يقدر أحد أن يحرفه عن مبادئها السامية أو يمنعه عن أهدافها الراقية، فهو ذو إرادة فولاذية لا تنحني وعزيمة جبّارة لا تنثني. ودمت متنوِّراً متطوِّراً، يا أخي الزراف! ودمتِ صامدة

صاعدة، يا أختي الزرافة!

زياح الروح الفهلويّة

النصف الأوّل من آب، يؤثر على مواليد الساعة الرابعة عشرة، ويشبه من هم في عمر الرابعة والخمسين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الفهلويّة تتقمّص النعام

النعام تركيبة عجيبة غريبة من الجمل والطير. فالجمل يجذبه إلى الدنيا والطير يجذبه إلى العُليا. وهذا التجاذب في مخبره، علاوة على عدم التناسب في مظهره، يدعوه بل يحثّه على البحث والسعي إلى التناسق والتوافق للوصول إلى اللياقة والحصول على اللباقة وبالتالي العياقة. وإذ يعجز عن الموازنة والتنسيق بين طبيعتَيْه المتعارضتين ويُخفِق في المعادلة والتوفيق بين جهتيه المتناقضتين يعمد إلى الحرجلة في سلوكه متعرِّجاً في ارتفاع وانخفاض. فيزن بموازين مختلفة حسب مصلحته مدّعياً العدل لا لأنه ظالم بل لأنه جاهل أو متجاهل للحقائق الأساسيّة. فعند النعام العدل فكرة نظريّة غير عمليّة قد تنطبق على الظاهر لا على الباطن لأنّ ناموس الطبيعة يعتمد على تباين العناصر وتنوّع الكائنات، وبالتالي فإنّ تفاوت المقاييس يوجب تعدّد المعايير. وعليه فالإنصاف مستحيل والانحياز ضروريّ لأنّ الحياد وهم. وبالنتيجة العدل حلم. والواقع أنّ الاستقامة طريق مسدود ولا بدّ من الانحراف لمتابعة المسير. لا بدّ من الالتواء المتكرّر، أيّ لا بدّ من التعرّج لتجاوز العقبات والاستمرار. فإذا كان لريش النعام طول واحد فأصابعنا ما لها نفس الطول، ولذا فمن الظلم تطبيق قانون المساواة على عناصر متفاوتة وغير متساوية. بل من العدل تطبيق قانون المساواة على المتساوين وقانون التفاوت على المتفاوتين. وعليه يكون عدل

السلطة في أن تظلم أناساً على حساب أناس لأنّ الدنيا في الأساس على ناس وناس. إذن الدستور العادل لا يعتمد على المساواة بل على التفاوت. فقياس البيض على الباذنجان ظلم للإثنين. وصحيح أنّ قانون حساب مساحة الدائرة واحد في كل الدوائر لأنّه مجرّد ولكنّ مساحات الدوائر متعدِّدة في الواقع. والدستور العادل يعتمد على المحسوس لا على المجرَّد. ولذا فالسلطة العادلة لا تعتبر كلّ الناس سواسية أمام القانون. ولا تضع دستوراً واحداً لكلّ المواطنين. بل تميِّز الفروق بين المواطنين وتسنّ القوانين بحسب هذه الفروق. فتضع دستوراً لكلّ مواطن. وحيث أنّ هذا مستحيل فعلى الحاكم العادل أن يقولِب القانون حسب حالة كلّ مواطن. وفكرة السلطة الشطّاطة المطّاطة هذه تدفع النعام إلى أن يستقتل للانخراط في السلطة على مبدأ توسيع الدوائر الذي يشبه حركة الموجات التصاعديّة التي يحدثها إلقاء حجر في الماء. فهو يدخل أصغر دائرة للسلطة حتّى إذا أحكم إغلاق هذه الدائرة الصغرى عمد إلى توسيعها أوسع فأوسع إلى أن تأخذ سعتها الأعظميّة الكبرى. فيكون قد أحكم سيطرته التامّة. ويصير يتحكّم على هواه بميّزات هذه السلطة من جاه وجهجهون وصلاحيّات وامتيازات.. إلخ. ويتابع النعام سياسة القفز من فوق الأساطيح والزحف من تحت الأقبية والتسرّب من ثقوب وشقوق الأبواب والنوافذ. فهو هوائيٌ، تسوقه رياح المصلحة الفرديّة، ولذا يظلّ يوارب ويماري ويرائي ويرابي ويحابي، ويسلت على اللسّ اللسّ، ويعمل من تحت لتحت، ليُعرقل مسيرة الآخرين ويسبقهم ويفوقهم. وهو انبطاحيّ انشطاحي، مهووس برفع البلطة بحيث يقبل أن يصير أداة في يد السلطة فيُعيرها ريشه لتستخدمه مروحة تكشّ بها الذباب عنها، ما دام يستفيد منها. ويواصل النعام مشيته المتعرِّجة إلى أن يحقّق ذاته بالحرجلة ويبلغ مكانةً تسند ظهره بمتانة فيترك الأساليب الملتوية ويتزمَّت في تطبيق الأنظمة المستوية. ولا يعود يقبل أيّ هفوة صادرةٍ عنه أو عن غيره إلى أن تنطلق روحه فتحلّ في بشر. وهكذا النعام ذو عقلٍ متحرِّك في دماغ ساكن، ولذا شاعت عنه الغباوة وقيل على عقله غشاوة والحال أنّ النعام غير غبيّ وإنّما يتغابى ليغضّوا الطرف عن مناوراته ويتغاضوا عن تجاوزاته فيسهل عليه اغتنام الفرص. على مبدأ »اجدبها لتجلبها« و»اسلبها لتحلبها« و»اسكبها لتغلبها«. فهو ذو ذكاء احتيالي ولذا فتفكيره وصولي وتقديراته ذاتية أنانية وقراراته احترازيّة أو انتهازية، ينفذِّها بفهلوية فيحقّق أهدافه المرحليّة عن قدارة التوائية ودناءة. لا عن جدارة أو أهليّة أو كفاءة. كما شاع أنّ النعام نجمه خفيف: كثير الوهم

سيء الفهم، بطيء الاستيعاب والاكتساب، سريع الإجفال يخفي رأسه تحت الرمال، أو تحت جناحَيه فيهرب منه إليه، ولذا يرفض الحقائق والوقائع، وتراه دائماً كالضائع. وأنّه قليل التفكير: دائم الافتقار إلى الأفكار، عديم الابتكار، ولذا يعمد إلى التعكير ويسعى إلى الاحتكار، ممّا يبعث على الإزدراء والاحتقار. والحال أنّ النعام غير جبان وإنّما يتجابن ويُداهن ويُهادن ليُهيمن. فيتذلّل ليتسلّل، ويتخوّف ليُخيف، ويعكِّر ليصطاد، ولا تعوزه الأفكار التحايلية والابتكارات الخداعية. فعند النعام الغاية تبرِّر الواسطة. كما شاع أنّ النعام دائم التوتّر والتذمّر، ضعيف العصب قويّ الغضب، شديد النفور سرعان ما يغلي ويثور ويفور، ويطول ويقصر وبالسمّ يقطر، ويجعجع ويبعبع، والحال أنّ النعام هادئ قويّ الأعصاب يفتعل الغضب بهدف الإغضاب. وحتّى لا يظنّ الناس أنّه جبان رعديد فيستوطئون حيطه فإنه يبالغ في التهديد والوعيد. ويموّه مكره الواضح بعنفه الفاضح. فيتهجَّم ويتقحّم ليفطرهم قبل أن يتغدّوه. الحال أنّ النعام يُبغض الدهاء والنفاق والخداع، ولكنّه يستعملها كوسائل دفاع ليمنع عن نفسه الانخداع. فهو يخدع لئلاّ ينخدع ويصدع لئلا ينصدع، ولذا يتلهّف على تلقّط الأقاويل والأخبار ويُشغف بسماع الشائعات والأسرار، يتلقّفها ويختزنها ليبني على أساسها خُطَطه وهذا ما يجعله سرج نسوان: يتكالب على مجالس الإناث وعلى الاختلاط بهنَّ في كلّ حين وكلّ آن، ولذا فهو بيتوتيّ لا يرتاد الحدائق والفنادق والمطاعم والمقاهي والملاهي، لأنّ البيوت تؤمِّن له اتّصالاً أكبر وإطّلاعاً أوفر على الخفايا والخبايا، فالنساء مستودع أسرار الرجال، والنعام ذو روح انطوائية انزوائية في نفس مزوح شروح، وذو طبع حارّ جافّ، ومزاج انقلابيّ، ولذا يخضع الناس لاختباراتٍ متعدِّدة قبل أن يُرافقهم أو يصادقهم. ويا ويلهم إذا قصّروا أو أخطؤوا معه: لأنّ النعام شديد الانتقام وعنده استعداد للإجرام من كثرة الاحتدام: فهو أنيس في الظاهر وحش في الباطن، يتلاطف ويتظارف ليخفي جلافته وغلاظته. وهذا الازدواج في المزاج يدفع النعام إلى التطرّف. فلا تكاد تراه يُفرِط في الهزل والانبساط والانشراح والمزاح حتّى تراه يفرط في الجدّ والانقباض واللوم والعتاب والعدوانية. إنه سنبلة تنفجر فجأة قنبلة، وقنفذ شائك ينقلب فجأة إلى هرّ وديع. وغالباً ما يداري تطرّفه في الحنق إلى حدّ الحمق بتطرّفه في المزاح إلى حدّ الثقالة على مبدأ: »بين الضحك والأمزاح تشتفي الأرواح«. في حين أنّه لا يتقبّل دعابات الآخرين. ويصدّ مزاحهم البريء لأنه يذهب بهيبتهم ويقلّل من احترام الناس له. وبذا

فالنعام نصائح يفرّق وعليه لا يُطبّق، وينهى عن خُلُق ويأتي مثله فيسمح لنفسه بما لا يسمح به لغيره. وهذه التجاوزات الفظيعة الناجمة عن التناقض في الطبيعة تؤدّي إلى نتائج مريعة. فتدفع النعام إلى الاضطراب والاصطخاب وبالتالي إلى الإغضاب. فالاحتدام يقود إلى الاختصام ومن ثمّ إلى الاصطدام، فيصير النعام نافراً منفِّراً وعفراً معفِّراً وغيوراً غيرةً مرضيّة: يُحكم الطوق حول نساء وبنات العيلة، ويرصد حركاتهن وسكناتهنّ، ويملي عليهنّ أقوالهنّ وأفعالهنّ. وفي نفس الوقت لا يتورّع عن دفعهنّ إلى الرذائل، إذا رأى في ابتذالهنّ وإسفافهنّ خدمة لمصالحه هذا والنعام مقتصد إلى حدّ التقتير، وعنده التدبير حتّى في مياه البير، ولذا لا يهتمّ بالنظافة ولا بالأناقة. ويبرّر تجردمه وعدم تهندمه بأنّه يهتمّ بالمعنى لا بالمبنى، ويعوّل على المخبر لا على المظهر. ويكمل تكوين جسم النعام فيصبح أهلاً للزواج في سنّ السابعة عشرة. والنعامة ناعمة، منتظمة التقاطيع والتفاريع، مقبولة وبالحنان مجبولة، أنيسة، لطيفة، نفيسة، ظريفة. فهي زوجة رضيّة وفيّة مقتصدِة وعلى نفسها معتمدة، وربّة بيتٍ مدبِّرة ناجحة، وأمّ صالحة. ولكنّها مع الوقت تملّ من الأعمال المنزلية فتتماهل في تأديتها، وتميل إلى الأعمال الوظيفية لتُجدِّد حيويتها. إنها تسعى إلى الاتّزان وتعمل كلّ شيء بميزان. فلا تجعل الدين قيداً يكبِّل الملذات الحسية والدنيويّة. ولا تجعل الحسّ سدّاً يعيق الملذات الروحية والسماوية. فتستفيد من أقصى ما يسمح به الدين ومن أقصى ما تسمح به الدنيا. دون أن تطغى المادِّيات على الروحانيات أو الروحانيات على المادِّيات. ولكنها دائماً على كفّ عفريت أو على فوهة بركان. يطير طائرها إذا انخذلت أو انخدعت، إذ ذاك يعصف بها الغضب فتجد كيانها قد انقلب. فتنسى كلّ الملايح وتذكر كل القبايح. وتتخبثن وتمكر وتتشيطن وتنكر، وتنقلب ليونتها إلى قساوة وطلاوتها إلى ضراوة. وأهمّ ما يميّزها تحيّزها لأصلها. فمهما يفقدها غضبها عقلها تظلّ على تعلّقها ببيتها وعيلتها وأهلها. فهي وافية الوفاء، خالصة الإخلاص لذويها والأصدقاء وأخيار الناس. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ الخامسة عشرة. إذن النعام لوحة عاكسة تتفاوت قيمتها بتفاوت قيم ما تعكسه. فهو يعرف أنّه قمر باهت بارد ولذا يلوب على شمس تنعكس عليه فيشعّ بالضوء ويشيع الدفء. فإذا التقى بشمسه المنشودة نصبّها معبودة ودَبِقَ وعَلِقَ ولَصِقَ بها دون انفكاك. فإذا قيَّض الزمان له شمساً أنوَر وأحرّ انفكّ عن شمسه السابقة واندكّ بشمسه اللاحقة. هذا إذا توفَّرت له الإمكانات لمثل هذه التبديلات. ولذا فالنعام

محفوظ معزوز عند أهله لأنّه يعرف مصلحته، ويعمل لخيره ولو على حساب غيره. ومهموز ملموز ملفوظ عند الغير لأنّه يمنع عنهم الخير، ليستأثر به لنفسه الأنانيّة عن طريق تصرّفاته الفهلويّة. ودمت هادئاً هانئاً، يا أخي الظليم! ودمتِ راجحةً ناجحة، يا أختي النعامة!

زياح الروح النورانيّة

النصف الثاني من آب، يؤثر على مواليد الساعة الخامسة عشرة، ويشابه من هم في عمر الثامنة والخمسين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح النورانيّة تتقمّص الطاووس

يجسّد الطاووس الصفات التي تجذب الجنس الآخر وأهمّها: الأناسة والكياسة. فهو جميل جزيل، بديع وديع، رصين رزين حزين، زاهٍ لاهٍ، بهيّ شهيّ. كما يجسّد الشكّ المقلق النابع من حرص الحبيب على محبوبه. ولذا يسعى دائماً إلى الحفاظ على السعادة الغراميّة بتقوية الجاذب الجنسي بين الحبيبَين. وهذه القدرة الحيويّة على تغذية الحياة الجنسيّة تجعل من الطاووس دليلاً معصوماً من الضلال وبالتّالي من التضليل يقود إلى التعاطف الشعوريّ والانسجام الفكريّ والتعاون المهنيّ ليوصل إلى التجانس الجنسيّ. والطاووس سماويّ نورانيّ: فهو شمس في النهار وقمر في الليل ولكنّهما شمس وقمر يتكوّن واحدهما من ذكر وأنثى متجامعَين في وصال دائم. ولذا فالطاووس يدعو إلى الاتّحاد الجنسيّ نهاراً وليلاً، شتاءً وربيعاً وصيفاً وخريفاً. وما تراقص ضوء القمر ليلاً وانتشار نور الشمس نهاراً إلاّ إشعاعٌ جنسي منبثق من رعشة الطاووس والطاووسة في ذروة عناقهما الجنسيّ. ولذا فالطاووس مثير للحواس ومنبِّه للمشاعر ومحرِّض للأحاسيس وباعث للأخيلة الجنسية، يدفع إلى الاندغام الجنسي على الدوام ممَّا دعا إلى الاعتقاد بأنّ بيضته تفقس عن توأم: ذكر وأنثى دوماً. وهكذا فالطاووس نور الحركة وحركة النور، ضوء التراقص وتراقص الضوء، فهو يرقص وهو يجامع ويجامع وهو يرقص، وفي النهاية يموت وهو

يجامع ويجامع وهو يموت. ويتّهم بعضهم الطاووس بالغرور والزهو والخيلاء والغلواء وبالتّالي بالتفاهة والسفاهة، ومن ثمّ بالابتذال والانحلال. والحال أنّ الطاووس ملك الأناقة، فهو رشيق رقيق، شبق لبق، لايقٌ وعايق. يعلِّم أن المظهر جلاّب، يزيد الحسن الخلاّب، والعين تميل إلى كلّ جميل وسحر الهيئة يمنح الهيبة وروعة الهندام تُغري على الغرام. كما أن الطاووس نبيل أصيل كريم الأخلاق يكره الطلاق. يفرض عليه نبله وأصله الوفا في الحبّ والإخلاص في العشق، ولذا فهو زوج مثالي. والطاووس أيضاً بريء وجريء بلا بذاءة ولا دناءة، يعمل على تنحية الخجل والوجل، وعلى تخليص الغرام والهيام من حبائل الحلال والحرام. ويرى أنّ الحياء نوع من الرياء، ومقاومة الطبيعة مساومة فظيعة ونتائجها مريعة. ولذا يؤمن بأن لا حياء في الأهواء والخجل دجل، ولا غضاضة ولا مضاضة في إشباع الغرائز، إذ بين الحبيبَين كلّ شيء جائز، وبين الوليفَين ما من حواجز، فما المانع من تحقيق الدوافع ما دامت عامرة بالمنافع؟ ومن هذا الإيمان بحقّ الإنسان في التمتّع والإمتاع إلى حدّ التشبّع والإشباع تبرز حصافة الطاووس بتأمين الحصانة للمحبّين. وعلى هذا يدعو إلى الشكّ بنوايا الحسودين والحقودين والريبة من منّاعي الخير شنّاعي الغير والحذر من كلّ ما يعكِّر صفو الأحباب والاحتياط ضدّ كلّ طارئ قد يُخلخل أساس العلاقات الغراميّة. وفي هذا المجال تتجلّى في الطاووس القدرة على تحويل السمّ إلى ترياق خدمة للعشق وللعشّاق. إذ يُقال أن ألوانه المتعدِّدة والمتجدِّدة تستقي بهاءها ونقاءها من سموم الحيّات التي يبلعها فيحوّلها إلى أصبغة زاهية تمدّ ريشه بالنضارة والرونق. كما تزوّد نفسه بطاقة شمسيّة قمريّة سحريّة إلهيّة قادرة على تحويل العلاقات الجسديّة الأمدية إلى علاقات روحيّة أبديّة. وهذه القدرة الفارقة الخارقة على تحويل الشرّ إلى خير والضرر إلى نفع، جعلت من الطاووس رسول محبّة وسلام، يجهد ليُبعد الحروب ويحوّل الشحناء والبغضاء إلى وداد ونقاء والخصام إلى وئام، ويكافح وينافح ليؤمّن النجاح والازدهار والرخاء والرفاهيّة للعالمين أجمعين. فهو ينشر ذيله كما تنشر الشمس نورها في النهار على المظلومين والظالمين، وكما يُرسل القمر ضوءه في الليل على الصالحين والطالحين. وهكذا تتجلّى في الطاووس الروح الرفيعة المنيعة على الفساد، الرصينة الحصينة ضد الإفساد، الروح المصفِّية المنقّية التي تصهر كلّ العناصر في بوتقة واحدة فتطهّرها من الشرور لتصبَّها في قنوات الخير الصرف، لتمتزج في وحدة كونيّة ضد الأخطار التي تهدِّد البشرية. ولذا فالطاووس

قائد علميّ علمانيّ، يلغي ازدواجيّة الروح والجسد والآلهة والبشر في أحادية الجوهر الإنسانيّ الكامل الشامل التّامّ العامّ. فذيله المزدان بكلّ الألوان لا يدلّ على الكون فقط بل على كلّ الأكوان. وهو بسرعة نشره وطيّه لذيله يُرينا هشاشة كلّ مظاهر التعبير عن الحقائق المتعدِّدة والمتعارضة، وضرورة لمّها وضمّها في حقيقة واحدة جامعة مانعة، كلّيّة، تؤلِّف بين الأجزاء المختلفة كما يرينا أن العمر زائل يعبر بطيّة ذيل. ولذا علينا أن نعيش لنبقى بما نُبقيه بعد موتنا من خير عميم. وعلى هذا ينفث الطاووس روحه حبّاً لتحلّ في بشر. وهكذا الطاووس ذو عقل شكّاك في دماغ حسّاس، وذو ذكاء متربّص، ولذا يرتاب في كل الأمور ويشكّ في كلّ المبادئ، ممّا يعرّضه أحياناً للاكتئاب والسوداوية. فتفكيره انتقاديّ وتقديراته احتماليّة وقراراته معلَّقة ورهينة بظروفها. فهو لا يحكم إلا إذا تثبّت من صحّة حكمه باليقين العلمي النوراني والعلم نور، ولذا فهو يسخر من التخمين الجهلي العتماني، ومن الإيمان على العمياني، والجهل عتمة وعمى. وهذه السخرية النقديّة وهذا النقد الساخر تسبغان عليه فكاهية فريدة في الحديث وبراعة فائقة في وصف الوقائع والأشياء، وصفاً شيّقاً يُلهي الحمار عن عليقه. حتّى أنّه إذا وصف البراز شهّى على أكله. فهو سلس اللسان ذو بلاغة وحُسن بيان، يقرص بلا أصابع ويخز بلا شوكة، يحقن بلا إبرة ويلدغ بلا زنَّافة، ويقلب السامعين على قفاهم من الضحك في حين يبقى جدّيّاً رصيناً رزيناً، لا يفترّ ثغره إلا عن بسمة خيلاء فالإضحاك يعطيه شعوراً بالاستعلاء والطاووس ذو روح منشرحة غير منطرحة، وذو نفس منبسطة غير منضبطة، يخلط الهزل بالجدّ والودّ بالصدّ، بحيث تختلط عليك الأمور فتعجز عن أن تميّز حقيقة أحاسيسه وجوهر مشاعره وطبيعة عواصفه، ولذا ينجح في التجارة لأن قوّته في أحناكه، يخلط الهبلنة بالملعنة ويدولبك بحكيه، فيقنعك بأن ما ينفعه ينفعك وأن مصلحتك من مصلحته، فيمشِّي عليك ما يريد تمشيته وينجِّي عنك ما يريد تنحيته، وأنت رضيان فرحان ومقتنع بأنّك المنتفع وهذا ما سمّاه الناس التنفيعة. وهي سياسة تعتمد خلط المواضيع لإنجاز المشاريع. والطاووس ذو طبع حرّاق شرّاق، وذو مزاج معتدل ناشف طريّ، يسيِّر رغبته على قدر طاقته، فيعمل ما دام قادراً لا ما دام محتاجاً، ولذا فهو سخِّيب صرِّيف، يوجد دائماً الموارد المالية التي تؤمِّن له البحبوحة اللازمة لتحقيق ميوله في الججّ والرخّ والفخفخة: فيسكن البيوت الفخمة ويركب السيَّارات الضخمة، ويشرب ألذّ المشاريب ويأكل أطيب المآكل، ويتضمّخ بأفخر العطور، ويلبس أزهى

الثياب، ويسعد المرأة التي في حضنه والأولاد الذين في كنفه، فمال الدنيا للدنيا. فاصرف ما في الجيب يأتِكَ ما في الغيب. فالمال انوجد لينصرف وزد عملك لتزيد دخلك، فتقدر أن تُبحتِر خيرٌ من أن تقتِّر لتوفِّر. فالأفضل أن نعيش أثرياء ونموت فقراء من أن نعيش فقراء ونموت أثرياء، وانْعَوْعِمُوا فإنّ القيامة ستقوم. وقليلة قلّلوها كثيرة كثِّروها. فما من أحد سيأخذ معه شيئاً إلى اللحد. والأحسن أن يتمتّع ذووكم بخيراتكم في حياتكم من أن يرثوكم ويتلعّنوا عليكم بعد مماتكم وهذه الأريحيَّة تُعطي الطاووس جاذبية جنسية، تجعله محطّ أنظار ومعقل آمال الجنس الآخر، ويكمل تكوين جسم الطاووس فيصبح أهلاً للزواج في سنّ الثامنة عشرة. والطاووسة ساحرة، باهرة الجمال بلا جدال، مزخرفة التقاطيع، متناسقة التفاريع، ذات جاذبية سحرية وإثارة بركانية، في حيائها دعوة للغزل، وفي خجلها تحريض على نبذ الوجل. إنّها جوهرة نفيسة، فهي أنيسة تُطلق بأناستها كلّ الأحاسيس الحبيسة، تذوب لطفاً وتذيب وتجوب عطفاً وتجيب، تتَّضع فترتفع. وتقتنع لتُقنع، وفي تواضعها أُبَّهة الآلهة وعزّة الأنبياء وكرامة الأولياء وأصالة النبلاء ومجد العظماء. إنها امرأة ذات إخلاص من الرأس إلى الأساس، وأُمّ حانية متفانية، بانية بيتها، مدبِّرة غير مقصِّرة: تلتُّ خبزها بزيتها وترفع من عشائها لغدائها حتّى لا يشمت بها أعداؤها، وأعداؤها كثيرون: فمن نساء غيورات منها يكدن لها المكائد وينصبن لها المصائد. إلى رجال يتهافتون على وصالها، ويظنّون أنّ سحرها الآخّاذ النفّاذ يدلّ على رخاوة وطراوة تؤكِّد سهولة نوالها. ولكنّها تصون ولا تخون إلاّ إذا عصفت بها الظروف وجرفتها إلى حدّ الجنون، فإحساسها كبير بالمسؤولية، ولذا تميل إلى الوظائف المريحة التي لا تعيقها عن واجباتها العائلية. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ السادسة عشرة. إذن الطاووس فلوسٌ وناموس. وما هو بدرويش يلبس أبهى وأزهى ريش، بل عالم يخاف أن يطيش ويحبّ أن يعيش. فيشكّ ويرتاب ليستخلص النتائج من الأسباب. ويمشي على ضوّ بلا ليت وكيت ولولا ولو. إنّه مظهر ومخبر تنجذب إليه إعجاباً بمظهره فيزداد إعجابك لدى اطّلاعك على مخبره. إنّه المضمون الجميل ذو الشكل الجميل، والإناء الحلو ذو المحتوى الحلو الذي يعمل بهدي العلم ليصل إلى أعلى علوّ. ودمتَ بهيّاً شهياً، يا أخي الطاووس! ودمتِ ساطعةً رائعةً، يا أختي الطاووسة!

زياح الروح المتشنِّجة

النصف الأوّل من أيلول، يؤثر على مواليد الساعة السادسة عشرة، ويشبه من هم في عمر الثانية والستّين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح المتشنِّجة تتقمّص الذئب

الذئب قوي سوي، متين مكين، حادّ حارّ، حامٍ دامٍ، مضطرم محتدم، نشيط سليط، محترس مفترس، شرس شكس، عنيد عنيف، آسر كاسر، برّي لا يألف، وحش لا يأنس، همجي مهما تحضّر ولذا يجسِّد النار الحرّة. وحيث أن الذئب على يقين من أنّه يستحيل أنّ ينضبط أو يتقيّد فإنه يتوحَّد ويتوحَّش خوفاً من أن يستهلك غيره وهكذا يستهلك نفسه فيحرق ذاته لئلاّ يحرق سواه. يحسّ الذئب دائماً بالخطر ولذا يهاجم فوراً ليفطر الآخرين قبل أن يتغدّوه. إنّه يشعر بأنّ الكلّ يضطهدونه ويستهدفونه ويهدّدون كيانه لعجزهم عن أن يسيطروا عليه. ولذا يتحوَّل إلى بطل محارب يُضارب ويُحاسب ويُرافع ويُدافع عن أصله الحرّ فينقلب إلى سَلَفيّ يُقدِّس أجداده الذئاب ويمارس أعرافهم وتقاليدهم وعاداتهم كطقوس دينية إلهية منزلة، يُكَفِّر من يحيد عنها. ولذا يظهر الذئب والذئبة بمظهر العجائز قلباً وقالباً حتّى وهم في ريعان الصبا والشباب. فالذئب يهتمّ بأن يكون الشكل انعكاساً للمضمون وعليه فصورة الأولاد والأحفاد يجب أن تُطابق جوهر الآباء والأجداد، والابن المخلص يحرص على إرث أبيه، ويسعى إلى استثمار هذا الإرث وتنميته وتجديده لا إلى تبذيره وتعميته وتبديده. وهنا يتحوّل الذئب إلى حارس أمين على كنوز الأسلاف يحميها ويقيها من عبث الأخلاف ومن هذا الجيل العاقّ المستهتِر بالأصول والضارب عرض

الحائط بقيَم الأوّلين ومبادئ الأقدمين. كما يتحوّل إلى فلاّح يزرع بزور الماضي المجيد التليد ويرعاها لتنبت وتزهر وتثمر حاضراً أمجد وأتلت. فتراه يبذل قواه ويُسخِّر طاقاته ويستنفذ قدراته ويصرف وقته في الجمعيّات السلفيّة والنوادي الرجعيّة على أمل إحياء الغابر الزاهر. وإذ يكتشف الذئب أنّ حربه ضدّ الزمن خاسرة، وأن دولاب الزمن يدور ويدوسه، وأنّ الزمن وحش أقوى منه يعضّه بأنيابه، فإنه ينقلب إلى محاربة التطوّر. والمعاصرة والحداثة من الداخل فينتسب إلى الجمعيّات التقدّميّة ليقاوم التقدّم بالتقدّم، ويتردّد على النوادي العصريّة ليحدّ من الطليعيّة بالطليعيّة. وهناك يبدأ بإعارة أذنيه وعينيه وجلده للحملان. ويبتلع الأفكار الجديدة ثم يتقيَّؤها ليؤكِّد للناس استحالة هضمها. وفي هذا المجال يلجأ إلى استخدام أقوى أسلحته ألا وهو: النار الجنسيّة. والذئبة أفتح وأفتك وأمكر وأمهر من الذئب في الجنس لأنّها أشبق وألبق. فأوّلاً: تلد الذئبة ناضجةً فنُمارس أوّل ما تفتح عينيها على الحياة أنشطة جنسيّة مكثّفة ومختلفة. فالغريزة الجنسيّة عندها أقوى من باقي الغرائز ولذا تُسخِّر غريزة الطعام والشراب وحتّى غريزة الأمومة لتصل إلى الرضى الجنسيّ الذي لا يقف عند حدّ إشباع الحاجة بل يتعدّاه إلى آفاق المتعة اللامحدودة. وثانيها أنّ الذئب فظّ غليظ، جلف عنيف، وحش يطحش طحشاً، في حين أنّ الذئبة تغدو بمشاعر الأمومة التي تُغدقها رؤوفة رؤومة، لطيفة ظريفة، رقيقة شفيقة، ذات حنان وحشيّ ووحشيّة حنونة. ولمّا أنّ نار الذئبة الشهويَّة دالبةٌ لا تنطفئ وفالتة لا تنضبط. وشبقها بَغِرٌ لا يرتوي فكثيراً ما تنزوي الذئبة وتنطوي، وتعتزل وتعتكف، لِتَغْتَقِل وتلجم لهيبها خشيةً على حبيبها أو وليفها فتحرق لظاها بشظاها، أمّا إذا اندفعت وشعرت أنّها بنارها لسعت، أو قد تلسع، فإنّها تمتنع وتمنع، وتتأفَّف وتتعفّف لتنفي عنها شبهة الشهوة، وتتقوقع لتُضمر نارها فتتحوّل إلى صواعق إمّا تتحرّر من حين إلى حين فتصعق سواها وإمّا تبقى حبيسة فتصعق ذاتها. والذئب نزق ضيّق الخُلق، يغضب حتّى الحُنق، ويتصرّف بحمق إن ساواه أحدٌ في الوحشيّة، فكيف إذا تفوّق عليه في الضراوة؟ ولذا فمن الحكمة مداراة سفاهته ومُداهنته، ومداواة حماقته ومهادانته لإطلاقه في مواجهة بقيّة الوحوش، فإمّا يقضي عليهم وبذا ننتفع بوحشيّته، وإمّا يقضون عليه وبذا ننتهي من وحشيّته وبذا نكون قد سخّرنا الوحشيّة في محاربة الوحشيّة، على أنّ إبادة الوحشيّة مستحيلة. فبعض الوحوش يمكن ترويضهم وبالتّالي الاستفادة منهم، وبعضهم عصيٌّ على الترويض وما علينا بالتّالي سوى تفاديهم أو تخفيف أضرارهم أو احتمال

أذاهم. والذئب من النوع المستحيل ترويضه. ولذا يمثِّل أقوى القوى في النفس، ألا وهي قوّة الرغبة في البقاء قوّة الصراع الدائم للاستمرار والدفاع المستميت عن الوجود، قوّة الحياة المسلَّحة بالقساوة والضراوة والتأهّب والتوثّب لردع وقمع ومنع كلّ من يحاول الاجتراء عليها أو الاقتراب منها، قوّة الروح التي لا تترك الجسد، إلاّ لتحلَّ في جسد. وهكذا الذئب ذو عقل كبير في دماغ كبير، ولذا فهو ذكي أكثر من اللزوم يحوم بفطنة ليشوم الفتنة. ويظلّ حتّى يحوّل المبهم إلى مفهوم، وحيث أنّ سوء الظنّ من حُسن الفِطَن فإنّه دائم التوجُّس والتهجُّس إلى حدّ الوسوسة والوَنوَنة، وبالتالي دائم التحفّز والتوَفُّز، ممّا يجعله دائم التهيّج، متقلِّص الأعصاب، على درجة عالية من التشنُّج، وخائفاً من الاغتصاب ممّا يمنع أعضاءه عن الانبساط، ولذا يحبّ الاختلاط لا الانفراد. ويحبّ الانتقاد فتفكيره سلبيّ، وتقديراته تخوُّفيّة زلزالية، وقراراته احترازية وقائية. فهو يميل إلى الهجوم لأنّه خير وسائل الدفاع. ويردّ كلّ مهاجم بمهاجمة أقسى وأشدّ وأقوى وأحدّ، بعد أن يكون قد درس طبيعة مهاجمه من كلّ الوجوه. وهذا ما يجعله ذو أساليب فريدة في ردّ العدوان عنه، وهميّاً كان أم حقيقيّاً، وذو وسائل عديدة في قمع قوى القوى، وعلاوةً على أنه لطّاش بطّاش عند الضرورة على مبدأ: »خود اللبطة القويّة من الدابّة المجويَّة«. فهو مستعدّ للاستشهاد دفاعاً عن حقوقه ومبادئه وعوائده. والذئب شغِّيل نظاميّ مرتَّب، يحذق تصريف أموره ويُحسن خدمة الغير، ويواظب على الدوام بانتظام مهما كانت المتاعب والمصاعب. فالذئب بحقّ بطل إنتاج وشهيد الواجب. والذئب ذو روح منشرحة في نفسٍ منقبضة. وذو طبع فاتر هائج ملجوم أو هادئ منخوز، وذو مزاج غائم غير ماطر وصاحٍ غير مُشمس ولذا يميل إلى الجدال والنقاش والمُماحكة. ولمّا أنه متشنِّج فإنّه يظلّ يورد الحُجَّة بعد الحجة ليثبت صحّة رأيه وصواب حكمه إن بحقّ وإن دون حقّ. فلا تنكسر له شوكة إلاّ بشوكة أقوى وأقسى. على أنّ أحاديثه مسلِّية رغم ما فيها من ذاتية وشدّة وحدّة، وأحياناً جلافة، ولا تخلو من طرافة وثقافة، رغم مطالبته بحقوقه بإلحاح مفترس ولجاجة لا تحترس. والذئب أصولي لا يعمل أو يقول إلاّ المعقول والمقبول حسب الأصول. فيلزم حدوده ويدرس ردوده. فلا يتدخّل في شؤون أحد حتّى لا يتدخّل أحد في شؤونه. ويحفظ لسانه، فلا يقول كلمة أكبر منه ولا أصغر منه. ويرفض أن ينقل أحد قولاً أو خبراً عنه. والذئب على الرسميّ جداً، يحرص على أمنه وعِرْضه وسمعة بيته وعياله. فيمشي ويتطلّع إلى خلفه ليحمي ظهره ويحفظ خطّ الرجعة، فعلى

كلام الناس ما له نجعة، ولذا يودّ مَنْ يودّه ولكن في نطاق الحدود الرسميّة، فلا يرفع الكلفة ولا يُكثر الخلطة. فكثرة الخلطة ورطة، ورفع الكلفة، يفضّي القفّة ويقلّل اللهفة، والخشبشة عربشة وعربدة وخرمشة. والذئب غيور على مصالحه، مستقِلّ في كلّ حياته وقائم بذاته، يسيِّر شؤونه بيده ويضبط أموره بمفرده. بحيث تكون الدوافع منه والنتائج إليه، ذاك أنّه يأنف أن يكون لأحد فضل عليه: فعنده المنيّة ولا المنّيّة. ويكمل تكوين جسمه فيصبح أهلاً للزواج في سنّ الثامنة عشرة. والذئبة عُجْبَةٌ: آسرة الجمال، وافرة الكمال، ظالمة الدلال، حارمة الوصال، أصيلة نبيلة، ذات كرامة وشهامة، وذات قلب رقيق شفوق حنون، وإحساس أصفى وأنقى من دمع العيون، شديدة التأثّر بالغة التأثير، تنفر من التأخّر وتعذر التأخير، سليمة الطويّة صافية النيّة. لا تضمر غيّاً ولا حسداً ولا تحمل غِلاً ولا حقداً. تأبى الرخصنة والمُضاحكة وتهوى الملعنة والمماحكة وتقبل الممازحة البريئة والمصارحة الجريئة. فهي مغناجة جذّابة ومهياجة جلاّبة، تستجلب الإعجاب بلا إغراء وتستجذب الإسهاب في المديح وتستعذب الإطناب في الإطراء. ولكنّها تجفل من التقرّب وتتمغوش من التودّد خشية التحرّش والتمدمد. على مبدأ »فردنالو وشّنا قام مدّ إيدو على عشّنا«. لأنها تقدّس عِرضَها وتعتبره حُرمة لا تُباح ولا تُتاح إلاّ بالحلال، ولذا تتحفَّظ في صلاتها وتتقيّد في علاقاتها حتّى لا تفسح المجال للنفوس الضعيفة بالتمادي والتعدّي على عفّتها. فكرامتها سريعة الانخداش. وهي لا تريد أن تُروِّح بهجة الزواج ولا أن تضيّع رهجة الامتزاج في ليلة العرس. ثمّ إنّ العفاف واجب حتّى ليلة الزفاف. والنفس أمّارة بالسوء، ولذا على الفتاة أن تحتاط ضدّ الأخطار. وأن تحفظ حالها »لرجّالها«، أحسن من أن تخجل من حالها أمام »رجّالها« وتقول: يا ليت الذي جرى ما صار! فالحشمة واجبة وجيبة وقلّة الحياء عائبة معيبة، وتجلب المصيبة بعد المصيبة، وهذا ما يجعل الذئبة حبيبة طاهرة وزوجة ماهرة، تبرع في ردّ الشرور عنها وعن عيالها. وتُبدِع في حفظ أسرار بيتها: فهي ربّة أسرة صالحة وناجحة، موهوبة في تربية الأولاد وفي تنمية روح الوداد بين أهليها وذويها، كما أنّها فنّانة في التدبير، ولكن إذا تبحبحت فقد تميل إلى التبذير. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ السادسة عشرة. إذن الذئب وحدانيّ حقّاني، لا يصدِّق أيَّ أمر بسهولة ما لم يحقِّق ويدقِّق فيه بكلّ وسيلة معقولة، فيُماحك ولا يُضاحِك ويكشِّر عن أنيابه ليردع الطامعين به أو بأحبابه. وعنده الوحدة خير من رفيق السوء، ولذا يميل إلى الهدوء،

فيتجنّب الصخب والجلبة، ولا يدخل في أيّة لعبة لئلاّ يصير لعبة، كما أنّه متواضع يزن نفسه بميزان أقلّ من الواقع. ولأنّه لا يحبّ أن يبوء بالفشل ولا أن ينوء بما حمل فرغباته دائماً أقلّ من قدراته، لا بل أحياناً أقلّ من حاجاته. كأنّ في روحه مَيْلاً إلى ترويض نفسه بإماتة ميوله وتّوجيهها إلى التسامي بالتصاغرٍ والتقشّف والزهد والنسك. ودمتَ ذكيّاً أبيّاً، يا أخي الذئب! ودمتِ شهمةً ملهمةً، يا أختي الذئبة!

زياح الروح الغطرسيّة

النصف الثاني من أيلول،، يؤثر على مواليد الساعة السابعة عشرة، ويشبه من هم في عمر السادسة والستّين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الغطرسيّة تتقمّص الدبّ

الدبّ قادر قاهر جبّار صبّار نافذ نافِر مؤثِّر مُؤَطِّر عنيف عنيد شديد مقنِع مخضع خطير مرير ضرّار شرّار هتّاك فتّاك هلاّك قاسٍ عاصٍ فجّ فظّ طاغٍ باغٍ خَشِن رَعِن ثقيل بخيل بطيء بذيء متطرِّف متعجرف متغطرس مفترس. ولذا يمثّل العقلية العسكرية ومنطق القوّة وحب القيادة والسيادة والسعيّ إلى السيطرة والهيمنة. إمّا بمحاربة رجال الدين والقضاء على الشرائع السماويّة لأنّها تعارض وتحدّ من سلطته الدنيويّة، وإمّا بالتحالف مع الهيئات الدينيّة وتسخيرها في تعزيز سلطته وترسيخ هيمنته عن طريق تفسير الشرائع الإلهيّة بما يدعم ويخدم حكمه المطلق ليصير حاكماً بأمره بأمرٍ من الآلهة. ويجسّد الدبّ العقل الجامد الخامد الرامد، العقل اليابس الحابس الكابس، العقل الناشف الراسف في أغلال التعنّد والتعنّت والتزمّت. فنظرته وحدها السديدة ورأيه وحده الصحيح وحكمه وحده الصائب. ولذا فإرادته سقف وكلمته سيف وطلباته أوامر وعليه يعمد إلى الترغيب والترعيب والإخافة للإضعاف والإذلال والإخضاع والإخناع. فهو لا يعرف غير الالتحام والاقتحام والاختراق والافتراق واللطش والبطش، ويا ويلاه إن تخالفه أو تعصاه! فهو جبل الزبل الذي ينطبق على الوديان فيطمرها، وسَيْلُ الويل الذي يغمر الأراضي فيجرفها

والدبّ منظِّرٌ ومنظِّم جارمٌ صارِم، يرعى ويسعى أن يهندم ويُهندس العالم على كيفه وبقوّة سيفه ليضبط كلّ شيء ويربط كلّ شيء به وبمصالحه. والدبّ أنانيّ يخدش بل يبخش مشاعر الغير ويجرح بل يذبح أحاسيس الآخرين ويفرض نفسه على الكلّ ويندّد ويهدّد مَنْ لا يتحدّد بأفكاره ويلتزم بآرائه وينفِّذ مشاريعه. إنّه خسيس إبليس يُبخِس ويُرخِص قيمَ الآخرين ونذل حقير يستهتر بكلّ المعايير وقميء ودنيء ذو نفس قاطعة وروح قامعة قالعة. ومعفِّر لا يوفِّر ولذا فهو منفِّر ومُطفِّر ومُكفِّر ومُكرب ومُكركِب ومُشمئِز ومُقزِّز. وهكذا تتجلّى في الدبّ صفات الإنسان الحجريّ، صفات البشر الوحوش الذين كانوا يعيشون على الصيد والتصيّد والاصطياد قبل أن يستأنسوا ويصيروا بشراً أناساً: رعياناً وفلاّحين وصنّاعاً مُتحضِّرين. ولذا يصحّ الاعتقاد أنّ الدبّ جدّنا نحن البشر، وأنّ صفاته الوحشيّة باطنة تحت ظاهرنا المتحضِّر، إنّه الجانب الخطر الكامن في لا شعورنا والذي قد يطفر في أيّ لحظة ويطفح ويطفو على سطح شخصيتنا فيُلغي حناننا وطراوتنا وثقافتنا المكتسبة ويعيد قساوتنا وضراوتنا وسخافتنا الفطريّة. ومع كلّ مكتسباتنا المدنيّة فلا مريّة في أنّنا كلّنا دبب يغلبنا طيشنا في ساعةٍ من ساعات عيشنا، فنصير الضحايا والجناة معاً. وهنا تبرز ازدواجية الدبّ في كينونته مجرماً وصيرورته ضحيّة. وهذه الازدواجيّة تجعله هيولى قابلة للصورة السلبيّة أو الإيجابية، فنحن نقدر أن نجذب الدبّ بالعسل ونروِّضه ونُعلِّمه الرقص رغم صلادته وبلادته الطبيعية. على ألاّ يغيب عنّا احتمال ارتداده إلى سلوكه السابق قبل الترويض. فالدبّ حريص على أن يبقى كما هو ويعرف أنّه مهما تطبّع بطباع الأُنس فسيعود إلى طبعه الوحشيّ. ولذا يفرّ إلى الكهوف والمغاور أو إلى الأدغال والغابات ليُمارس طبيعته ويعيش على حرّيته حتّى يقضي نحبه فتنطلق روحه لتحلّ في بشر. وهكذا الدبّ ذو عقل متصلِّب في دماغ مُسْتَرْخٍ وذو ذكاء سلبيّ يعمد مباشرة إلى تكذيب الوقائع وصياغتها على هواه وبمقتضى مبتغاه. وذو فطنة موجَّهة إلى الفتنة. إنّه ذو عقليّة صداميّة انقلابيّة وذو منطق عسكريّ يعاكس المنطق المدنيّ. فتفكيره جامد وذو بُعد واحد يتسمّر ويتحجّر عند نقطة في فكرة، ولا يتعدّاها إلى نقطة أخرى. وتقديراته اختلاقيّة إلى حدّ التلفيقيّة، وقراراته تعسُّفيَّة. فهو مُستعِدّ للغدر والهدر، والإفك والسفك والهتك والفتك في كلّ لحظة ولأفلّ لفظة وأدنى هنّة وأتفه هفوة. والدبّ مستقلّ تماماً في كلّ شيء، وعقله لوحده: عقله إرادته يفرضها فرضاً، حبّاً أم بغضاً، فلا مبدأ له عدا إرادته وما بدا له،

ولذا لا يعمل إلاّ ما في عقله ولا ينفّذ إلاّ رأيه. والدبّ ذو روح متكبّرة في نفس متجبّرة. وهذا الجبروت يقلبه إلى طاغوت لأنّه يفرض ذوقه السمج ودعاباته السخيفة ونكاته البايخة ولهوه الجريء وملاطفاته الغليظة وتودُّده البغيض وتقرّبه المنفِّر وغزله القاسي ومزاحه الثقيل فلا يبقى على القوم إلا الرحيل. كما أنّه يفرض على من يحبَّها أن تحبَّه وتهواه وتستميت لتلقاه. وإلاّ أذاقها الويل والثبور وأذابها بالأضرار والشرور وأفقدها كلّ وسيلة وجعل حياتها مستحيلة. فهو سلطوي المشاعر ومصلحي العواطف: كثيراً ما ينقض عهده ويخلّ بالوفاء، إذا عرض له مَنْ أو ما يزيد غلواءه غلواء. فإذا بدا أنّه يُراعي الودّ ويحفظ المحبّة ويصون العشرة، فما ذاك عن إحساس صادق أو شعور فائق، بل عن إعجاب بالذات ومباهاة بالإخلاص. والدبّ ذو طبع بركانيّ انفجاري غرّاق بالحمم حرّاق للأفراد والأمم. وذو مزاج محتقن، ولذا فهو نزق ضيّق الخلق يغضب بسبب وبلا سبب. ويتسافه ويتسافل ويتراذل. فيحتقر الجميع ويتسلّط عليهم بحقّ وبلا حقّ ويطلع بالعالي ولا يُبالي بل يخاطب الكلّ آمراً ناهياً بلهجة السيادة والقيادة، وكأنّه شمس والآخرون ظلّ وبيده الربط والحلّ، رغم سوء فهمه وقصور إدراكه ورداءة خلقه وخلوّه من أيّة مأثرة أو مفخرة. والدبّ يابس الرأس لا ينكسر حتّى ولا بالفأس. ينحصر في تزمُّته وينحشر في تعنُّته، فيقارع ويشارِع على الخطأ ويجادل ويُماقل على الغلط، ولذا فمعاشرته صعبة ومسايرته عسيرة. فإذا كانت مداراة السفيه زكاة العِرْض فأيضاً الذي يُداري على الدوام يموت بأوخم الأسقام. والدبّ لبخة سبخة، يقعد فيلبِّد وينام فيلبِّخ بعين مقرورة مهما دعت الضرورة. ولكنّه ذو حزم وعزم عند ألزم اللزوم. فإذا اضطّرته حاجة صحا وبذل لقضائها كلّ قواه وثابر وثبت حتّى إشباعها. وهذا التقاعس والتناعس والاتّكال والتواكل يدفع الدبّ إلى مناصرة الأقوياء والأغنياء، على مبدأ: صُف مع القوي ضعيفاً كنتَ أم قوي«، ومبدأ »الغني مثل أبلوج السكّر كيفما لحستَهُ حَلَوتَ«. وذلك ليفوز على خصومه وينجح في أعماله ويتمكّن من تصريف أموره فيخدم لينخدم. ويكمل تكوين جسمه فيصبح أهلاً للزواج في العشرين من عمره. والدبّة وسيمة جسيمة عفيَّة علية عتيّة عصيّة عنيّة، تحبّ الإمارة وتهوى الإغارة وتُحسن الإدارة وتُسخِّر الإثارة لتسيطر بمهارة على الظروف. فتشدّ اللحاف إلى طرفها وتحقّق هدفها، إنّها متعلِّمة متكلِّمة متكتِّمة على خيرها بشطارة ومتحكِّمة بغيرها بقدارة. إنّها حادّة جادّة ردّادة صدّادة شدّادة مدّادة عدّادة نسّابة بدّادة كبّادة هدّادة سبّابة. تُغضب وتَغضَب وتُتعِب ولا تَتَعب،

فتقلِق الراحة وتغلِق المساحة. وتقطع حبل الوئام والسلام وتمدّ شِباك الخصام والصدام. إنّها عنود حرود حرون حروب، لا تهدأ ولا تكنّ ولا تسكن ولا تركن إلاّ إذا مشّت كلمتها ونفّذت رأيها. فوصلت إلى مطلوبها وحصلت على مرادها. إنّها لا تعمل إلاّ ما في عقلها حتّى ولو انفقأ مقلها. فلا تُؤمَن ولا تُضمَن إلاّ إذا تزوجت مَنْ عينها عليه وفكرها فيه. وفي هذه الحالة تنتهي الاستحالة، فتخدم زوجها وترعاه على هواها لا على هواه. وعن مباهاة بالخدمة لا عن عاطفة صادقة محتدمة. وهنا تبرع وتُبدع في السيطرة والاستحكام والهيمنة وفرض الأحكام. فتزيد الشروط والضغوط وتمنح وتمنع حتّى يقتنع زوجها فيقنع. فيستحسِن خدمتها كيفما كانت ولا يستهجن رعايتها مهما صارت. وبالتالي تصير ربّة بيت صالحة على طلاحها لأنها ألزمت مَنْ حولها القبول بها على علاّتها. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في الثامنة عشرة من عمرها. إذن الدّبّ قوّة بلا مروّة وسطوة بلا نخوة، فلا عنده طموح ولا يبول على يد مجروح، يزن مروّته بالمثقال ويشتغل لكفاية الحال. فرغبته لا تتعدّى حاجته. وعنده شاي وكعكة أطيب من خروف ودعكة. إنه أنانيّ يحب حاله وراحة باله وبالتالي يحب راحته فيبذِّر طاقته بالهدر والهذر والكسل والخمول والبلادة ولو وصموه ونعتوه بالبلاهة. على مبدأ: »اعمل العمل مَيْشوم فلا يطلب أحد منك أن تقوم«. وإنه قدرة متعامية متطارشة، لا يرى أو يسمع إلاّ حاله ولا يعمل إلا ما يخطر على باله. ولذا يقول البعض عنه إنّه: »سمج دبج لبج، يبجبج ليعصلج ويلهوج ليلعبج. وإنه خجق مجق يعربق الأمور ويطربق الدنيا، ويحرق الحارة ليشعل سيكارة«، ويقول آخرون: »يا بختِه! إنه قدّ وقته وقدّ حاله وغيره ومُحِقّ في ألاّ يسأل إلاّ عن حاله وخيره«. فشريعة الطبيعة تمشي على منطق القوّة لا على منطق المروّة. والبقاء للأقوى وللأقسى، لا للأضعف والألطف. والجدارة من القدارة والحياة يلزمها شطارة فحلال على الشاطر. وأغلب الناس لهم ثُلثا الخاطر في أن يسودوا ويقودوا. إنّ الحقيقة فظيعة ومريعة ولكنّها نافعة وناجعة، فكلّ الكائنات أنانيّون ولكنّ أكثر الناس يموّهون. ودمتَ سعيداً مساعداً، يا أخي الدّبّ! ودمتِ صاحيةً صافيةً، يا أختي الدبّة!

زياح الروح الأسطوريّة

النصف الأوّل من تشرين الأوّل، يؤثر على مواليد الساعة الثامنة عشرة، ويشبه من هم في عمر السبعين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثّر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الأسطوريّة تتقمّص الفيل

الفيل مطيّة الملوك السماويين والأرضيين. يقودهم ليوصلوا رعاياهم وشعوبهم إلى السلام المشرِّف ليعيشوا في وئام بين بعضهم ومع جيرانهم. ويعلّمهم أن يعملوا على التنميّة حتّى يحلّ الازدهار ويعمّ الرخاء والرفاهيّة، فيبيتوا مع مواطنيهم قريري العيون هانئيها. وعلى هذا تتجلّى في الفيل الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الملك ليكون طاقة محرّكة قوية التأثير شديدة الفعاليّة أهلاً للسلطة قادراً على الحكم صالحاً للسيادة والقيادة وجديراً بالنفوذ، ومحقِّقاً طموحات شعبه وأوّل هذه الصفات: العقل، فعقل الفيل جوهرة يشعّ بالفطرة السليمة القويمة ويتوهّج بالإحساس الرهيف الشفيف ويبرق بالفكر الخيّر النيّر ويلمع بالنشاط الدائم الدؤوب. ولذا فالفيل معتدل الغرائز صادق العواطف منطقيّ التفكير حسن التقدير صائب التقرير عمليّ التنفيذ. فهو يحب النظام وبالتالي التنظيم. وثانيها: الثبات: فالفيل جبل لا تهزّه الريح وصخرة لا تُزعزعها الأمواج بل تصقلها: فهو متين مكين صلب صلد مُستقِرّ مستمِرّ، يداوم ويقاوم كلّ التبدّلات والتحوّلات، ويظلّ متوازناً رغم كلّ ما يبلبل أو يُخلخل أو يُقلقِل. ولذا يثبت في الاعتزام ويكبت ما يمسّ ضوابط أو روابط الالتزام. ويرسخ على المضبوط فلا يرضخ للضغوط. وبذا يتربّع على مركز السيطرة فيسود على العوالم الثلاث: عالمه الخاص والعالم الذي فوقه والعالم

الذي تحته وهكذا يمشي قادراً على المناورة في كافة الاتّجاهات دون أن يتعثّر، وثالثها: النظرة الشاملة الكاملة الممتدّة من قبل البداية. فالبداية إلى النهاية فما بعد النهاية. والراصدة أصغر صغائر وأكبر كبائر العناصر. ولذا فالفيل ذو إدراك عامّ تامّ، إدراك عائم قائم على أنّ التغيّر هو جوهر هذا الوجود المتناقض المتعارض المختلف ظاهريّاً والمتكامل المتناغم المؤتلف باطنياً. وعليه فما الأحداث إلاّ مظاهر عابرة لحقائق متبدّلة في عالم متحوّل. ولذا فكلّ الاحتمالات ممكنة وكلّ الإمكانات محتملة وما على الإنسان لينجح سوى أن يراقب الأحداث ليستنتج الفرصة المناسبة ويغتنمها فيؤثّر في الأحداث التالية، وهكذا تصبّ التبدّلات والتحوّلات والتغيّرات في طاحونه وتُدير مصالحه في الاتّجاه المراد الوصول إليه، أو الحصول عليه. وهنا يعلّمنا الفيل أن التركيز على ثوابت محدَّدة لا ينجح إلاّ بالمثابرة على نظام يستند على نواميس كون متحرّك ومحرِّك، وقوانين عالم متغيّر ومغيِّر متطوِّر ومطوِّر. ورابعها: القبول الإيجابي بالابتعاد عن الرفض القاطع والأخذ بالموافقة المعلّقة والمتعلِّقة بحيثيَّات الظروف ومجرياتها، إنّه التمنُّع عن التحتيم للتمتّع بحرّيّة التصرّف وهذا نابع من الاقتناع بأنّ رضاك بأن تكون أداة الفعل يجعلك فاعلاً. ولذا فالدخول في الحركة بركة لأنّ التحرّك بحركة غيرك يمكِّنك من تحريكه من الداخل وشيئاً فشيئاً تسيطِّر على الحركة فتُحرِّك المُحرِّك بحركتك مستفيداً من حركتك بحركته. وهذه رقصة الفيل وفيها يصير الراقص مرقِّصاً لا يقع لوقوفه على دعائم أربعة: السلطة العسكريّة والمدنيّة والروحيّة والشعبيّة. ورغم هذه الدعائم الراسخة المُرَسِّخة فإنّ الفيل لا يغفو ولا يغفل بل يظلّ يقظاً حذراً متنبّهاً فالضربة قد تجيء في أيّة لحظة ومن أيٍّ كان حتّى من أقرب المُقرَّبين. فالقريب أقدر على الإيذاء من الغريب، وخامسها الانفتاح على كافّة الثقافات: فكما أن الفيل جاهز لكلّ الاحتمالات، فإنّه أيضاً ناهز لكلّ الحضارات. ولذا يفتح قلبه باللطف والتلطّف ويفتح ذهنه للتعرّف على كلّ جديد ومفيد أينما كان مصدره فالجوهرة قد تأتيك من أقذر الأيدي وعلى لسع النحل ألاّ يمنعك من التحلّي بالعسل. ولذا فالفيل يبحث وينقِّب ولا يبرهن قبل أن يجرِّب. وهكذا يستعيض عن الأطلح بالطالح ويستبدل الصالح بالأصلح. فهناك دائماً أفضل، والأعقل يأخذ بالأكمل لأنّ الظروف الجديدة تخلق أناساً جدداً وبالتالي مواقف جديدة ثمّ إنّ اللاحق لا يلغي السابق بل يكمِّله ويتمِّمه. وسادسها: الانفعال الموزون الباعث على الفعل المضمون، فالفيل يتجنَّب الغضب فلا يحنق ولا يحمق، ويبتعد عن الهياج والتصرّف حسب المزاج فينصرف عن الطيش والتهوّر ولذا لا ينحرف ولا ينجرف بل يظلّ يشكّ

ويرتاب ويخمّن في نفسه حتّى يتأكّد ويتيقّن من نفسه إذ ذاك يثور لوجود ما يستحقّ الثورة ولا يلجأ إلى العنف إلاّ حين لا يعود يُجدي اللطف خصوصاً مع الذين طمعوا في رحابة صدره فراحوا يعملون على غدره. وهكذا فالفيل ذو عقل باطنيّ وذكاء غامض وفكر سرّيّ وفطنة خفيّة ممّا يجعله صحيح التخطيط صحيح التنفيذ. كما أنّه ذو حياء وإباء عفيف النفس طاهر الذيل فلا يقرب أنثاه طيلة فترة الحَبَل ولا يقرب غيرها طيلة العمر. ولذا يحاسب ويُعاقب الخونة. وينتقم للمخلصين، ويبقى لا يهتك حرمة ولا يقترف ما يشين حتى تفيض روحه لتحلّ في بشر. وهكذا الفيل ذو عقل خرافيّ في دماغ علميّ وبالتالي ذو عقليّة انسجاميّة ولذا يناغِم بين المُتآلِف والنافر. فنراه تارةً نشازاً بين متوافقين وطوراً متوافقاً بين ناشزين. كأنّه ضابط الأوزان العامل على اتّزان كفَّتَيْ الميزان، وذو ذكاء استنتاديّ نوّاس: يعتمد فكرة فيصوّرها ويطوّرها أو يعتمد صورة فيردّها إلى فكرة، ولذا فتفكيره مركزيّ مقعَّر مُحدَّب يجمع المنتشر في بؤرة ويعاوِد نشرهُ منها. وتقديراته محوريّة مستوية وفراغيّة. وقراراته بنيويّة ثابتة وتنظيميّة متبدِّلة. فهو يعرف أن العِلم مفيد ولكن غير مُمتِع بينما الخرافة مُمتعة ومُسلّية ولكن زهيدة النفع قليلة الفائدة. ولذا يحاول أن يصيغ العلوم صياغة خرافيّة ويُقولب الخرافات في قوالب علميّة فيحقِّق للناس توقهم إلى المفيد والممتع معاً والمسلِّي والنافع في نفس الوقت. وعليه يستخدم الشعوذة لتسهيل الصعب ويستعمل الزعبرة لتيسير العسير ويُسخِّر الذكاء لرفع الغشاء عن ذوي الغباء. فيبعث فيهم وفيه لذّة عقليّة لا تُضاهى: ألا وهي لذّة التعلّم من جهتهم ولذّة التعليم من جهته. وهنا ينبري البعض فيتّهمون الفيل بتحقيق الأطماع عن طريق الغشّ والخداع، لأنّه يعلِّم الأجيال الجديدة الكذب والنفاق والتلفيق والترّهات والخزعبلات والأضاليل، ويُرسِّخ في الأجيال القديمة التعلّق بالغيبيّات والسحر والدجل ممّا يؤدّي إلى انتشار الأفكار الملتويَة وزعزعة المبادئ السويّة. ولكنّ الفيل يظلّ يُصرّ على أنّ أسطرة العلم وعلمنة الأسطورة ترتقي بالمنحدرين والقابعين في قاع الجهل والبُهم إلى قمم الفهم والعلم. والفيل ذو روح مركّبة غير معقّدة في نفس بسيطة غير سهلة. فمرّة يكون إحساسه عميقاً ولكنّه يعبّر بسطحية ومرة يكون شعوره عابراً ولكنّه يعبِّر عنه بثبات ورسوخ وتكون عاطفته جارفة فيظنّها خاطفة وتكون هائفة فيظنّها عاصفة. على أنّه صادق وصدوق على الدوام يشدّه الحلال دوماً وأبداً لا يستهويه الحرام. والفيل ذو طبع حارّ الباطن بارد الظاهر، صائن غير غادر وغير ماجن بل طاهر. وذو مزاج طريّ اللّبّ يابس القشرة عامر غامر بالحبّ ولطيف وظريف العشرة. إنّه كتوم حسّاس إلى حدّ

الاحتباس ولا التباس في أنّه كثير التأثُّر وقليل التأمُّر، ذو قلب وديع آمن وغضب وجيع كامن. وفي الأساس عنده حماس ولكنّه يتبدّل من ساعة إلى ساعة حسب القناعة. فإذا أزعج انزعج وإذا انزعج أو خاف أن يزعج ينطوي وينزوي ويسكت ويصمت. فيربط العقدة وتأخذه الجمدة وتطول أو تقصر المدّة حسب شدة الشحنة وحدّة الفتنة. وبعد كلّ انصراف أو اعتكاف يبرز منه انعطاف إلى التهدئة والتهنئة والسلاسة والأناسة والكياسة. ويميل الفيل إلى اللذة العقليّة والبهجة النفسية أكثر من المتعة الحسّيّة والغبطة المادّيّة. ولذا يحبّ الاطّلاع، فهو واسع ومتعدّد الثقافات وينفر من الميوعة والصياعة والسخافات ويبحث عن الجوهريّ وكلّ ما هو عبقريّ، ليستمتع ويُمتع به. كما يميّز بين المفيد له والمفيد لغيره. ولذا عنده استمتاع باتّخاذ القرارات بالإجماع. فهو حرّ مرّ حدّ لا يستعبد ولا يستبدّ بل دينه وديدنه ردّ الظلم بالعلم. ومدّ العدل بالعقل والقضاء على الحرب بالحبّ وإقامة السلام بالوئام. ويكمل تكوين جسم الفيل فيصبح أهلاً للزواج في الحادية والعشرين من عمره. والفيلة ضخمة فخمة عظيمة قويّة العزيمة والشكيمة عليمة بفنون البسط والانبساط منقسمة النشاط بين الواجب واللهو. وتميل إلى العُجب والزهو. وتبرع في الأعمال اليدوية وتبدع في الفنون النسويّة. وتهوى الجاذبيّة السحريّة، ولذا تتعاطى وبإفراط مع الخرافات والاعتقادات الشعبيّة والرسميّة الدينيّة والمدنيّة: فمن فتح الفأل إلى الضرب بالرمل، ومن التنجيم إلى التفليك. إلى التبريج إلى التبصير، ومن قراءة الفنجان إلى قراءة الكفّ والأفكار والنضرة، ومن الربط إلى فكّ الرصد وردّ الحسد بالفضاضة والرصاصة والعِراطة، ومن التنويم المغناطيسي إلى مناجاة الأرواح بالصحن الدوّار والقفّة الهزّازة والطاولة الدقّاقة إلى ما هنالك من إيمان بقدرات خارقة وقوى فائقة تستهوي البسطاء والمعقَّدين على السواء. وقد تجمع ثروة بالزعبرة. وتصير امرأة فذّة في الشعوذة، وتصبح من السيّدات المرموقات بالخزعبلات. وقد يختلّ توازنها العقلي في بحثها الفظيع المريع عن الطريق السريع لكشف المحجوب ومعرفة الغيوب والاستحواذ على القلوب وتحقيق المطلوب. فتصير حسودة حقودة، تنقم وتنتقم، وتسيء الظنون إلى حدّ الجنون. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في التاسعة عشرة من عمرها. إذن الفيل جميل كميل، رأس وإحساس، قلب وعقل، يحبّ الشغل فرغباته تتعدّى حاجاته بل تتخطّى قدراته، لذا يحسّ بالتقصير على الدوام وبأنّه ما أنجز ما على عاتقه من مهام. وأحياناً يحسّ بالنقص ويشعر بالدونيّة فتنتابه بعض السوداوية لأنّه مظلوم وملوم. ومأكول ومذموم، ويقوم بأكثر من اللزوم. ولكنّ مَنْ حوله لا يقدِّرون ويأكلون وينكرون ولا يحسبون له حساباً فكفاه

أتعاباً. ولكنّه سرعان ما يثوب إلى اتّزانه فتذوب أحزانه وأشجانه. ويعود إلى سابق عهده وعميق ودّه. إنّه »أبو الهمايم« وجلاّب »الغنايم«، إنّه حمّال الأسيّة وجبل المحامل. وأكّال الهموم وحلاّل المشاكل، فضيل شغّيل تعّيب كسّيب وهّيب، كريم النفس واليد، كظيم الشرّ والصدّ، كتيم السرّ والودّ، أريحيّ بحبحيّ، يوسِّع على مَنْ حوله ولا يضيِّق. وحديثه شيّق. إنّه راوية بديع وحكواتي فظيع. وفنّان في الحبك والسرد، قليل النقد، كثير التشجيع، ومن حوله التفاؤل يُشيع ويحبّه الجميع، لأنّه يُلصِق بمَنْ يشجعهم السجايا الحميدة وينزع عنهم الخصال الذميمة. وهذا ما يجعله ملجأ الخائبين وقبْلة الفاشلين يبعث فيهم النخوة والمروّة ويستمدّون منه القوّة والدوّة. ودمتَ فاضلاً مفضَّلاً، يا أخي الفيل! ودمتِ قوية مقوية، يا أختي الفيلة!

النصف الثاني من تشرين الأوّل، يؤثر على مواليد الساعة التاسعة عشرة، ويشبه من هم في عمر الخامسة والسبعين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح المادّيّة تتقمّص الجمل

الجمل وديع ولذا متّهم بالوضاعة، ومطيع ولذا متّهم بالانقياد وقنوع ولذا متّهم بالامتثال، ومتحفِّظ ولذا متّهم بالتنازل وصبور ولذا متّهم بالاستسلام. وعليه فمن المعتقد أنّ الجمل يمثِّل الطبع الأبله الجبان الخاضع الخانع المستكين للذلّ الراضي بالهوان الساكت عن الباطل المتخلّي عن حقوقه الذي يجعل رقبته مداساً من الذلّ لا من الرحمة. والحال أنّ الجمل سفينة الصحراء ينقلنا عبر العمر القاحل من واحة إلى واحة ليوصلنا إلى المراعي الخصيبة والحياة الرحيبة. إنّه عربة الشوق مضنّاغ الشوك قطّاع البوادي الذي يحملنا من القفار إلى الحواضر والمدن الزاهرة ولذا فالجمل رفيق المسافات البعيدة رفيق الرحلات الصعبة المتعبة. يتجشّم الأهوال والمخاطر ليودعنا في أحضان الغد الناضر. ويجسِّد الجمل الحبّ الأخوي فهو قادر على التعرّف على إخوته وأخواته مهما طال زمان البعاد حتّى ولو كان قد فارقهم وليداً. ولذا يقولون أنّ الجمل لا ينخّ ولا ينيخ إلاّ حين تقول له: أخّ أو إيخ. ويتجلّى في الجمل الحياء فلا يُخالط أنثاه إلاّ تحت خباء. كما يتجلّى في الجمل الحزن الأسطوري على فقدان الأحبّة والأثر الدائم لغيابهم فموت الحبيب يثقب قلبه ثقباً لا يندمل. وهذا الحزن الباطنيّ المموَّه ببسمة ظاهريّة جعل من ضحكة الجمل، ذات الشفتين المنفرجتين

على مضض، رمزاً للفرح الكئيب أو للكآبة الدفينة تحت ابتسامة هي جرح ينزف. كما جعل من الجمل وجه نحس وشؤم خاصّة بهيئته التي تشبه شجرة تتساقط أوراقها وتُذكّر بالخريف فصل احتضار الأرض وشيخوخة الكائنات. على أنّ قدرة الجمل على الاجترار تجعله رمزاً للمقاومة والاصرار والتحدّي والتصدّي والصمود اللامحدود والصلابة والصلادة والمتانة والمكانة. ولذا فهو ناسك زاهد متقشّف يحتمل شظف العيش ويقهر الظروف القاهرة ويكتفي بالكفاف ويتدبَّر بالموجود ولا يتحسَّر على المفقود لأنّه يعرف ربّه وبالتالي يعرف دربه فلا يحيد ويُجيد أن يستفيد من الإمكانات المتاحة لبلوغ الغايات الموصلة إلى الراحة دون أن تُغريه أيّة واحة ليقيم فيها وينسى مهمّته الأصليّة في إيصال القافلة إلى الحضارة والمدنيّة. وهذه القدرة على الاجترار تُساعد أفكاره على الاختمار، فتستوي مشاعره وتغتني خواطره فينضج قلقه ويُثمر بالاهتياج الدافع إلى سدّ الاحتياج بعيداً عن تقلّبات المزاج وبذا يملك الإيجابيّة فيسير بالقافلة غير عابئ بنباح الكلاب. وهذه العقليّة الإيجابيّة تضخّه بالقوى المتفاعلة التي تمنح نشاطه فعّاليّة يتخطّى بها كلّ المتاعب والمصاعب وهكذا يتجاوز العثرات والعقبات وكلّما تجاوز أكثر كلّما قوي أكثر. ولذا نراه يكافح الشدائد ويصارع المحن ويناضل ضدّ التخاذل والتماهل والتساهل والتجاهل وينتزع قوّة البقاء والاستمرار من صراعه مع الركود والجمود والوقوف الذي يعني الفناء. وهنا تتبدّى في الجمل طبيعة شجرة الخريف الجامدة الصامدة العارية الجارية فيها تيّارات المياه المختزنة، المياه التي تتحوّل بالاجترار إلى نَسْغٍ يُحضّر نهضة الطبيعة من جديد ويبشّر بعودة الازدهار. وهنا تتوضّح صورة الجمل الكئيب باطنيّاً الضاحك ظاهريّاً على أنّها صورة جهاد النفس في الخفاء لتحويل الطاقات السلبيّة المختزنة إلى طاقات إيجابيّة متّزنة تجرف العبثيّة والعدميّة وتحوّل المميت إلى محيي. تماماً مثلما تتجمّع المياه الجوفيّة لتنفجر ينابيع فوّارة وآباراً ارتوازية. إذن فقدرة الجمل على الاختزان والاجترار تشكّل صراعاً جدليّاً بين القوى الباطنية الغامضة القاسية المتسلّطة الظالمة الفوضويّة المدمّرة الهاجمة كقدر محتوم يؤدّي إلى قوّة منظَّمة تمكّننا من الهيمنة على القدر بنفي حتميته وجعله بيدنا وطوع بناننا. وهكذا يصير مصيرنا ملكنا نختاره فيتحوّل الباطن إلى ظاهر والغامض إلى واضح والقاسي إلى حنون والمتسلّط إلى خادم والظالم إلى عادل والفوضوي إلى نظامي والمدمِّر إلى معمِّر والهاجم إلى مؤازر والقدر المحتوم إلى قدر مختار. وهذا ما يجعل

الجمل أغنية خصب في صحراء جدباء وترتيلة زهد في مدينة باذخة. ذاك أنّه في عصر اختلط فيه الغثّ بالثمين وضاع فيه التمييز بين الجذور والزهور واللباب والقشور، عصرٍ يحترم الخونة ويحتقر الأوفياء. عصر يقدِّس المظاهر ويدنِّس الجواهر لا يبقى أمام العاقل سوى أن يزرع خلجات نفسه المتلوّية بين العوائق ويبذر انتفاضات روحه المنسربة بين العراقيل ليظلّ كما هو وليحافظ على مخزون الخير في باطنه. هذا الخير الذي يكافح لينمو. ومع ذلك يتضاءل أكثر فأكثر أمام الشرور المغرية في هذا الوجود القلق بين صلاح مُتعِس محزن وطلاح مسعد مبهج وهذا المظهر البركاني للجمل بسنام أو سنامين، يحوّل الجمل إلى طير ذي أجنحة خفيّة لا تمتدّ إلاّ في الصحاري الجرداء والأراضي اليابسة والحقول القاحلة، أجنحة تحلّق بروحه فوق اليباس والقحط والمحط والجفاف والقحل والمحل لتحلّ في بشر. وهكذا الجمل ذو عقل ساكن في دماغ متحرّك وبالتّالي ذو عقلية خيالية في طبيعة واقعية. وذو ذكاء ظاهري تشبيهي وتصويري غير تصوّريّ، لا يستبطن ولا يستنبط وأصلاً وفعلاً لا يستنتج فتفكيره حِسّيّ وتقديراته ماديّة وقراراته فرديّة أو قبائلية أو عشائرية. فهو ذو منطق ذاتي رجراج وبالتالي ذو مواقف زئبقية تستند إلى مبادئ خاصة. فما له مبدأ عام. والأدهى والأوهى أنّه لا يريد أن يكون له مبدأ عام لأنّه لا يرى جهله وبالتالي لا يقرّ به ولا يعرف خطأه وبالتالي لا يعترف به. فكيف تجبِّر ما لا تراه مكسوراً وتصلِّح ما لا تعرفه معطّلاً؟ فالجمل رافض الوعي والسعي ورافس الدراية والهداية يرى عيوبه محاسن ومفاتن وذنوبه صواباً وثواباً فيرفض أن يرى حدبته لئلاّ يقع فتنكسر رقبته. ويبقى سادراً في غيِّه هادراً في عَيِّه، يتَّهم كلّ الآخرين بالضلال، واهماً أنّه على هدى مهما منه بدا. ويبالغ في مغالطته ذاته فيصم الكلّ بالاعوجاج مؤمناً أنّه الوحيد على السراط المستقيم والنهج القويم. والجمل يُسبق المتعة الحسِّيّة والنشوة الجسديّة على اللذّة العقليّة والبهجة النفسيّة فيهتمّ بتأمين عيشه الماديّ في الأوّل وبالأساس. ويترك تأمين غذائه الروحيّ إلى الأخير وعلى الفضلة. لأنّ ذوقه غير رقيق بل سميك. لا يتذوّق إلاّ المحسوس. ويعتبر المعقول سخافة وحماقة وجنوناً لا يليق بكائن ذي جسم مادّي. ولذا لا يتبتّل بل يتبتّك ويتهتّك وهو يتسمّع إلى الطرب الغراميّ ويتفرّج على الرقص الشهواني. ويتضمّخ بالعطور المثيرة ويرتدي الثياب المغرية ويتناول الأغذية المهيِّجة ويختزنها ليجترَّها. فالجمل ماضويّ يتلذّذ بالتذكّر ويمزج كل ذكرى برغبة فيصطهج بالفكر. وتهيِّجه الأخيلة فيتمتّع وكأنّه قد فعل. فالجمل شاطح

الخيال يأخذه الحال فيغيب عن الوجدان ويطوطحه السرحان فيزيغ كالضائع ويغفل عن الواقع فيُضيّع المواقع ويميّع المواقف ليموّه على نفسه ويزيد في بأسه. فيركب رأسه ويُغالط نفسه ويكذب على ذاته ليُطمئن باله ويقنع حاله بأنّه على حقّ مبين وعلى يقين ما بعده يقين. والجمل ذو روح ضعيفة في نفس قويّة. وذو طبع بارد الباطن حارّ الظاهر. وذو مزاج صلب اللبّ جافّ القشرة، لا يطرى ولا يلين ولا يسكن ولا يستكين إلاّ بالمؤثرات الحسّيّة والمنبِّهات الغريزية. فالمرأة عنده أداة للشهوة وآلة للإنجاب. والأولاد أدوات لتيسير العيش: فهم خدّام صغاراً ومصادر رزق شباباً وعكاكيز شيخوخة كباراً. وأمّا المشاعر والأحاسيس والعواطف فما هي إلا وسائل لتسويغ الملذّات الحسّيّة ووسائط لتنشيط المتعة الغريزية. وهذا ما يجعل الجمل بديعاً وسريعاً في خلق وتنفيذ المشاريع التي تزيد عيشه المادّيّ رخاءً ودعة ورفاهية. كما يجعله يميل إلى الراحة وإنجاب الأولاد ورميهم في طول وعرض البلاد، دون تعهّدهم بالرعاية والعناية والتنشئة والتهيئة، على مبدأ: »الأرض تُربِّي، والحياة تُعلِّم«: وذلك ليطلعوا قدّ وقتهم ويُريحوا أهاليهم. وهذه الراحة تدفع الجمل إلى التكاسل والتواني عن القيام بمشاريع تستلزم تعباً جسديّاً خارقاً وجهداً عقليّاً فائقاً ودرساً عميقاً دقيقاً. وحيث أنّ الجمل يقدِّم المفاهيم المادّيّة على المبادئ المعنويّة فإنّه يتخاذل وينقض عهوده ويخلف وعوده ويلحس كلمة الشرف إذا تعارضت أو تعاكست مع مصالحه الماليّة. ولذا يناصر دائماً الأقوياء والأغنياء مهما كانت مبادئهم خسيسة ويتجنّب الضعفاء والفقراء مهما كانت مبادئهم سامية. فيتناقض إذ يعلن أمراً ويبطن نقيضه. ويزدوج إذ يزعم نصرة الحقوق، ضعيفة كانت أم قوية، بينما يلتزم بنصرة القوّة ظالمة كانت أم عادلة، والأنكى والأنبى أنّه لا يشعر بتناقضه ولا بازدواجه. بل يبرِّر بمنطقه الأعوج اعوجاجه ويؤكّد أنّه على منتهى عقيماً والحوار سقيماً. فالجمل ظاهري لا يستوعب الحقائق الباطنية ولا يتفّهمها. ولذا لا يتقبّلها بل يهملها ويزدريها ويحتقرها. ويعتبر الباطنيّين والروحانيين مختلّي الشعور، لأنّهم يدافعون عن أوهام غير محسوسة ويضحّون بكلّ شيء حتّى بحياتهم من أجل أفكار محضة ومبادئ مثالية غير طبيعية ولا واقعية، وبالتالي غير بشرية ولا إنسانية بل سماوية لا يقدر عليها سوى الآلهة. والجمل وحش برّي يحب الانفلات مع إناثه وذريته والتنقّل والترحّل في البرّيّة بكلّ حرّيّة. ولذا لا يخضع لقانون عام ولا ينخرط في

أيّ نظام. فلا يُخلص أو يحرص على أيّة سلطة مدنيّة كانت أم دينية أرضيّة كانت أم سماويّة إلا بمقدار ما تخدم مصالحه المادّيّة الخاصّة، وتؤمِّن له الفائدة المعيشيّة والمنفعة الحياتيّة والرفاهيّة الجسديّة والسلامة البدنيّة. فتراه لا يؤمن بالأديان التوحيديّة أو التعدّديّة إلاّ لأنّها ستؤمِّن له في النهاية النهائية السعادة الأبديّة. فينتشي جسماً ونفساً ويغتبط جسداً وروحاً. والجمل ذو عزّة مرضيَّة، يُعاني من تورّم في الأنا ولذا يعتزّ بجهله وتفاهته ويفخر بغضبه وسفاهته ويتباهى بغرائزه وشهواته ويتمنفخ بعيوبه وذنوبه ويتشنفخ بسطحيته وسخافته فتراه يرتاد ويندمج ويذوب ويتلاحم ويمتزج. ويبتهج بالأنشطة الظاهريّة والمعاني السطحيّة والمباني المنظومة الموزونة أو المُقفَّاة أو المسجَّعة ويعتبرها بدعة البدائع وروعة الروائع بينما يكتئب ويتثاءب ويخبو ويكبو وينبو وينفر. فيهجر الأنشطة الصميمية والمعاني العميقة والمباني الباطنيّة والموسيقى الداخلية والهندسة الفكريّة وحيوية الوحدة العضوية. ويعتبرها زعبرات وخزعبلات ومنامات لا تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً ولا تُريح كليلاً ولا تعزّ ذليلاً ولا تُهدي ضليلاً ولا تصلح دليلاً. بل هي كلام وأضغاث أحلام لا تُسمن ولا تُغني من جوع. فذات الجمل هي الموضوع وعند الجمل المحسوس مقبول وبالتالي مسموح. وأمّا المعقول فمرذول وبالتالي ممنوع، ويكمل تكوين جسم الجمل فيصبح أهلاً للزواج في سن الثانية والعشرين. والناقة طاقة ولياقة وباقة لباقة وعياقة رشيقة على ضخامتها رقيقة على خشونتها غنّاجة على دباجتها حرّاجة على سذاجتها جذّابة على برودتها نشّابة على بلادتها شغوفة بالتبرّج والتفرّج على التهريج لهوفة على التمهرج والتبهرج والتهييج جامحة الدلال مجنَّحة الخيال بارعة التصوير بديعة التعبير. كثيفة الوداد كثيرة الانتقاد قليلة المجاملة قاسية المعاملة تحتدّ فتشتدّ في اللوم والتعيير والعتب والتعييب. تقذع في التقريع والتقطيع والتشنيع والتشليع. فتتوتّر لشدّة ما توتِّر. فيعتريها الاكتئاب وانهيار الأعصاب فتميل إلى الإعطاب والتعذيب. ويستفحل فيها التعصبّ والتعصيب فتنحرّ وتنجرّ إلى الفجور والشرور. ودائماً تظنّ أنها محقَّة. وهي صبورة وقديرة على تحمّل المشقَّة. وتتميّز بالدقّة ولذا تُحذق الأشغال اليدويّة وتبرع في الأعمال المنزليّة وتبرز في الفنون النسويّة. وتعشق التناسل وتكثير الذرّيّة. فتحتجب عن الحياة الاجتماعية لتتفرّع للأمور العائلية. وحيث أنّها ميّالة إلى التكاسل فإنّها تحسد ميسورات الحال. وتتمنّى أن تصير غنيّة، لأنّ الغنى قوّة يحقّق المنى ويجلب الهنا والمال يؤمِّن راحة البدن وراحة البال. وعليه فغالباً ما تدّعي

الثروة لتنال حظوة فتكذب وتصدِّق أكاذيبها. فتذهب ضحيّة ألاعيبها إذ تزن نفسها أكثر ممّا هي وقد تتديّن لتتزيّن أو تتبيّن فتنغِّص حياة أسرتها بمفاهيم نابية ومظاهر واهية وهي لاهية ساهية وغير واعية ناسية أو متناسية النتائج القاسية. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ العشرين. إذن الجمل إمّا عمل بلا أمل ماديّ واقعيّ، يمشي الحيط الحيط ويقول يا ربّ السترة. ويدبِّر حاله وعياله بما يحصّل من أجرة على مبدأ: »أعطنا خبزنا كفاة يومنا«. همّه سدّ حاجاته الأساسية فإذا توفرت يفكّر بالكمالية. وإما أمل بلا عمل ماديّ خيالي، حالم واهم، واهٍ ساهٍ يرسم مشاريع مستحيلة، ويضع يديه ورجليه في الماء البارد، ينعب ويندب انعدام الوسيلة على مبدأ: »العين بصيرة واليد قصيرة«، ويبقى قوّالاً غير فعّال. وإمّا لا أمل ولا عمل، طفيلي صايع ضايع يعيش على الهامش ويضطر إلى الفواحش، فينفخ للطابخين طمعاً بمكسب من الكاسبين على مبدأ: »الذي يأخذ أمّي أسمّيه عمّي«. وإمّا أمل وعمل، مادّي عمليّ، صبور جبور يكافح طول العمر ويغالب صروف الدهر ليصير على مستوى العصر، فيصمِّم مشاريع ممكنة ويتحدّى العراقيل المزمنة لينجز أيّ شيء على مبدأ: »تفو أحسن من لا شيء«. وبالإجمال الجمال سريعو الغضب بلا موجب وسريعو الرضى بلا مبرِّر. يتحمّسون بلا مبدأ ويفترون بلا منطق. تحفزهم حاجتهم وتثبطهم كفايتهم. ولذا ما لهم نظام مُستقِرّ ولا تقدّم مُستمرّ همّهم المادّة وطمعهم وجشعهم بالرفاهية الماديّة يشدّهم فيشقّهم، فيهيمون في الخيال ويبنون قصوراً في الهواء وعلى الرمال. ويهتّمون بأمور عَرَضيّة وثانوية عديدة. والحاجة إلى جوهرية وأساسية واحدة وحيدة، ودمتَ صبوراً جبوراً، يا أخي الجمل! ودمتِ متجلّية متعلّية، يا أختي الناقّة!

زياح الروح الحماسيّة

النصف الأوّل من تشرين الثاني، يؤثر على مواليد الساعة العشرون، ويشبه من هم في عمر التاسعة والسبعين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الحماسيّة تتقمّص السبع

السبع عاهل الغابة، قويّ خبير، عليّ قدير، جبّار جزّار،ذو حول وطول لا يرتدّ له فعل أو قول، ذو سلطة مطلقة وعقليّة مغلقة، همّه هيمنته ودينه وديدنه أن يطبِّق شريعة الغاب وأن يكون لحكمه الاستتباب. ولذا يتصلّف ويتطرّف إلى الحدّ الأقصى فيلطش ويبطش بمَنْ يخالف أو يعصى. ويتّصف السبع بمزايا وعيوب تلازم مقامه الملكي، فهو يُجسِّد الطاقة القصوى والقوّة العظمى والسلطة العليا والنفوذ التام والصلاحيات العامّة، وهذا يزيد من صلفه وبأسه فيتيه عُجباً بنفسه، فينبهر باقتداره وينعمي بأنواره. فيفعل ما يشتهي وهكذا ينتهي إلى عاهل عاطل أو كاهن مشعوذ أو سيّد مستحوذ أو مدير عنجهي أو مسؤول سفيه أو شاعر فاجر أو فنّان فلتان أو أب طاغية أو أُمٌ خاصية. وكلّهم يظلم ويجور ويستبدّ برعاياه ويتسلّط عليهم متقنِّعاً متصنِّعاً بأنّه يقيهم ويحميهم. ولذا فالسبع جذّاب بمقدار ما هو منفِّر: يخضع ويخنع له الضعفاء عن رهبة لا عن رغبة، وينصاع له الجبناء عن انضباع لا عن اقتناع، ويُداريه العقلاء اتّقاء طحشه وبطشه. وينجذب إليه المتزلِّفون ويتمسّحون بأعتابه طمعاً في أن يكون لهم نصيب في أطيابه، ويتملّقه الانتهازيون والوصوليّون ليبلغوا في خدمته غاياتهم، أمّا النبيهون والنزيهون فيقرفون منه وعنه ينصرفون، كما أنّ الشجعان

يربصون له أيّة ربصة ويتحيَّنون الفرصة ليُطبِّقوا عليه شريعته في أنّ القويّ يأكل الضعيف فيصطادوه ويضعوه فرجة في قفص أو يجندلوه ويخلِّصوا العالم من تماديه في غيّه وتعدّيه على غيره. إنّ طبيعة السبع القويّة تدفعه إلى أن يُؤلِّه نفسه لاهماً واهماً أنّ الكائنات تُؤلِّهه لاقتناعهم بأنّه يستحقّ التأليه. فما دامت قوّته لا تقهر فأفكاره بالتالي لا تقهر. وطالما أنّ جسمه قويّ فعقله بالتالي قوي. ولذا على سلطته أن تعمّ وعلى أحكامه أن تسود لا لشيء سوى لأنّه قادر على فرضها بالقوّة. وهنا يستمدّ السبع القوّة الروحيّة من قوّته الماديّة فيؤلِّه سباعاً آخرين وينصِّبهم آلهة يرعون مصالحه ويحقِّقون مآربه. وهؤلاء السباع المؤلَّهون بدورهم يعيِّنون سباعاً كرؤساء ملائكة ويُنصِّبونهم حرّاساً لسبع السباع، إله الآلهة وربّ الأرباب المحاط بالأبواب التي لا تنفتح إلاّ لتقديم الولاء والطاعة العمياء. ولذا فسبع السباع الباهر جوهر الجواهر حاكم الحكّام الأمين على الأختام عنه تصدر الأحكام والشرائع والقوانين وإليه ترجع الأمور. إنّه السبع الهصور وشعاره شريعة الدهور: على الكبير أن يأكل الصغير وعلى الغنيّ أن يبلع الفقير، وعلى المعلِّم أن يستغلّ الأجير. والحق مع القوي وللقوي الغلبة في الأوّل والأخير. ويحرص السبع على أن يحيط نفسه بهالات الإعجاب والتقدير والتعظيم والتوقير. فيجنِّد جيوشاً من المبخِّرين والمدّاحين الذين يسبِّحون بحمده ومجده. ويُجمهر حشوداً من الموالين والمؤيِّدين والمريدين الذين ينسجون حوله الخرافات ويحيكون عنه الأساطير التي تؤكِّد على أنّه الجميل الكميل البهيّ الشهيّ الفخم الضخم الرائع اللامع الساطع بلا منازع والجدير بكلّ تبجيل وإجلال، لأنّه جوهر الألوهة الحلال بلا جدال، وهنا يتبع السبع سياسة اللعب على الحبال، فيعلن للذكور أنّه الفحل الأكمل ومع قوامة الرجال على النساء، ويُصرّح للإناث أنّه نصير المرأة ومع المساواة بين الجنسَين. ويؤكِّد للوطيين والسحاقيات أنّه لا يعتبر سلوكهم شذوذاً بل واقعاً طبيعياً، ولذا يشجب إدانتهم بالخزيّ والعار، وينذِّد بنبذهم من المجتمع ويدعم حرّية الاختيار وحرّية العلاقات وأنّه مع التعدُّديَّة والشورى والديمقراطية دون المساس بالكيانات الروحية ومع الحفاظ على روح التسامح الكلّي. والحال أنّ السبع يلعب بالآخرين لعب الصغار بالدمى ويحرِّكهم كأحجار اللعب حسبما يشاء وتشاء إرادته القهرية القسرية وقوّته المطلقة المطبقة. وأخشى ما يخشاه السبع أن تبدو للعيان طبيعته المريعة الفظيعة فيكتشف أحد أنّه متبلِّط متسلِّط وغاشم غالم، عاهر داعر وحش، مطبوع على الفجور والمجون والفحش، ولذا يفتعل الرقّة ويتصنّع الحنان

ويتودّد ويتوجّد ويتلاطف ويتظارف. فيدبّر العزائم والولائم ويرعى الموائد والحفلات بمناسبات وبلا مناسبات، وما هذه إلاّ مكائد ومصائد ليحوك الدسائس ويستجلب الفرائس، ثمّ يعكّر ليصطاد ويوقعها في الأسر والانقياد فيسلبها أغلى ما لديها ويأخذ منها ويوهمها بأنّه يحسن إليها ويعطيها ويدافع عنها. وهنا تتجلّى في السبع البهيميّة التي تسحق الإنسانيّة والهمجيّة التي تمحق المدنيّة، فيتبدّى فيه النهم الذي يطمس الفهم والبطنة التي تذهب بالفطنة والشراهة التي تجلب البلاهة والشبق الذي يبطل الحذق ويجلب الحمق بالتكالب على الشهوات ومجاراة النزوات التي تبلّد الحسّ وتجمّد الذهن وتعمي العقل والقلب. فيعمد إلى الإفساد والتضليل والتحريف والتشويه وخلخلة نظام الطبيعة فينحلّ ويفسد فيفرض فساده ويبسط انحلاله على الجميع بالقوّة. وعندئذٍ غير مستبعد عن هذا السبع الحرامي الإجرام. فيفلت ويفترس ذكور الكائنات الأليفة المتحضِّرة كالغنم والمعز والأبقار والخيول.. إلخ. ليفرض الأمر الواقع على إناثها ويقنعها أن تأمن وتذعن له وتعتمد عليه وتسلِّم أمورها إليه وتقبل به فحلاً أوحد لأنّه الأقدر. والأقدر أخطر والأخطر دوماً سيطر وهكذا يطغى الجبروت على الملكوت ويبغي الطاغوت على الناسوت. وفترة بعد فترة تحلّ الطامّة الكبرى. إذ بدل أن تقتصّ الفرائس من السبع الحرامي يتحوّل المخدوعون إلى خادعين والمقنوصون إلى قنّاصين والطرائد إلى صيّادين والضحايا إلى مجرمين. وقتئذ يظهر السبع الحامي ويصارع السباع الحرامية وأشباههم فيصرعهم وأتباعهم. وهكذا تنطلق روح السبع الحامي لتنصر الحقّ وتحلّ في بشر. وهكذا السبع ذو عقل متفجّر في دماغ متحجّر وذو عقليّة منفتحة في طبيعة منغلِقة. وذو ذكاء ثاقب ناقب، فتفكيره منهجيّ وتقديراته استنباطيّة ابتداعيّة. وتطبيقاته قراريّة عمليّة فهو تقني بارع ومخترع متواضع وفق الحاجة ومقتضى الحال. ولذا يميل إلى العلوم الصعبة والمتعبة وإلى الفنون الشاقّة المرهقة. والسبع يبرمج حياته على نظام خاصّ يتقيّد به بصرامة ولا يحيد عنه إلاّ غراماً. فهو ذو حزم نادر وعزم هادر وجهاد مثابر بعناد مكابر وبجلادة لا تعرف بلادة ولا هوادة ولذا يميل إلى الرحلات الاستكشافية العلميّة والرياضة والصيد، كما يميل إلى الهندسات الصناعيّة والمغامرات التجاريّة والمخاطرات المادّية والمعنوية إلى حدّ التهوّر لإنجاز ما يبدو له إعجازاً. وبالإجمال تتكلّل أعماله دائماً بالنجاح ويجني منها ثروة وافرة ولكنّها ثروة سريعة التبدّل بسبب إسرافه ومجازفته. ولذا لا تقوم له نهضة منتظمة ثابتة زاهرة إلاّ إذا أدخل التنظيم العلمي في سلوكه العملي. والسبع

ذو روح منشرحة هاجمة في نفس منقبضة لاجمة وذو طبع بارد الباطن دافئ الظاهر. وذو مزاج قاسي اللبّ ليّن القشرة، ولذا فهو متبدِّل العشرة يغرّك بمظاهر لطفه فإذا انجررت مرمرك بكوامن عنفه. كما أنّه متبدِّل السلوك فمن طبيعته الرزانة والحشمة والعفاف، يشمئز من الرذائل وينفر من السوافل. ولكنّ فرط نشاطه يدفعه إلى تجريب كلّ غريب. فيتيه ويصير شغوفاً لغوفاً على كل ما ليس مألوفاً. فتنقلب رزانته طيشاً وحشمته خلاعة وعفّته فجارة ودعارة. وقد يتمادى في المعاصي والحرام إلى حدّ الإجرام. وهنا تنقلب شهامته وعزّته وكرامته إلى لؤم وخسَّة ونذالة تدفعه إلى إعطاب وإعطال غيره حتّى لا يبقى وحده العاطل المعطوب. والأفضل أن نمنع طلاحه من أن نحاول إصلاحه وذلك بشقّ قنوات إيجابية لتصريف طاقاته المادّية والمعنوية على مبدأ: »منع الحريق خير من إطفائه«. ويكمل تكوين جسم السبع فيصبح اهلاً للزواج في سنّ الثالثة والعشرين. والسبعة نبعة روعة وتسقي اللوعة إذ تقطع المتعة. فهي تهوى أن تمنع بعدما تمنح. إنّها حارّة كنارةٍ وحادة كغارة، مشاكسة معاكسة، غضوب عصوب، موّارة فوّارة، قلقة مقلقة، كتلة نشاط ولولب حركة، كأنّها دوماً في رباط أو معركة، شديدة الإحساس والحماس، كثيرة التطلّب والتطلّع والتقلب والتولّع، دائمة الترقّب والتعقّب، العمل بحياتها الأساس. تنظِّم أوقاتها وتعرف واجباتها. وعندها كلّ شيء بمقياس. ويابسة الرأس، تُداس ولا تُساس. وصريحة صراحة جارحة وشجاعة وَرِعَة وناجحة. ونقيّة تقيّة صالحة إذا تزوجت مَنْ تودّ إذ ذاك تخلص إلى ابعد حدّ وتُغدق عليه من قلبها الفيّاض عواطفها الرقيقة ورعايتها الدقيقة. فكأنّه في جنّة البياض أو الفردوس المفقود أو الموعود يعيش في وجود غير هذا الوجود. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ الحادية والعشرين. إذن السبع إمّا قوّة بلا مروّة وحش بشريّ، وسطوة بلا نخوة ذاتي أناني لا يعجبه إلاّ حاله فيشتكي ويتذمّر من الكلّ ويتعنجه ويتأمّر على الكلّ، ويفسد ويطلح زاعماً أنّه يصلح، ويصرّ على عاداته السيّئة حتّى لا يقرّ بتصرفاته الفجّة النيّئة. ويبالغ في الاشتطاط حتى يبلغ الانحطاط. فينسحب خيره فيخرب حاله وغيره. وإما مروّة وقوّة بطل إنساني، وسطوة ونخوة موضوعيّ غيريّ يجمِّل القبيح وينشر الخير وينصر الحقّ ويشيع الحرّية ويزرع الحبّ فيبني حاله وغيره. فرغباته تتعدّى حاجاته إلى حاجات الآخرين وتتخطّى قدراته فيُعين ويستعين. ويصنع السلام على الدوام. ودمتَ سويّاً قويّاً، يا أخي السبع! ودمتِ مُتفانية متساميةً، يا أخي اللبوة!

زياح الروح الخفيفة

النصف الثاني من تشرين الثاني، يؤثر على مواليد الساعة الواحدة والعشرون، ويشبه من هم في عمر الثالثة والثمانين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الخفيفة تتقمّص القرد

القرد رشيق ولكنّه غير رقيق ولا دقيق، فهو كثير الحركة قليل البركة ولذا يحوص ويلوص. على أنّه سريع الخاطر ومقلِّد ماهر يبرع في التزييف والتكييف ويُبدع في التحوير والتزوير ولذا يُحابي ويحاكي، ويسخر ويهزأ، ولا يكنّ ولا يهدأ، فيُضحك ويربك ويهرّج ويُهيّج ويخلط الجدّ بالهزل والصدّ بالغزل، واعياً ساعياً إلى أنّ بين قال ويقول، تنتقم العقول. وعلى هذا فللقرد طبيعة تَبلبل وتشوّش وتحيّر وبالتالي تُخيّب، ذاك أنّه ذو عقل مشتّت وتفكير مرتبك وضمير ملتبك وشعور محدّد وإحساس ملبَّد وسريرة عكرة يحسّ دائماً بأنّه نكرة. وهذا الشعور بالدونيّة يصبغ روحه بالهجوميّة، فيعرف ما له من حقوق ويجهل ما عليه من واجبات. وهذا التجاهل يدفعه إلى التماهل وبالتالي إلى التساهل، وبالنتيجة إلى التنازل وعندئذ يحسّ بالخطأ وبأنّه ما عاد طاهر الذيل فيتكاثر عليه الويل ويقع في مشكلة مصيريّة ظاهرها اجتماعي وباطنها وجداني. وإذ يبكّته ضميره يُحاسب نفسه. وبدل أن يُصلحها يُعاقب غيره بمعاقبة ذاته محاولاً تبرئة نفسه بالتنصّل من المسؤوليّة وبإلقاء الذنب على التبعيّة وعلى عدم الاستقلالية، وهنا يُجسّد القرد الغضب والنزق والفجارة وتحكمه سرعة الانفعال فيبدو سريع الاتّصال سريع الانفصال، دائم الارتباك دائب

الاشتباك، عصبيّ المزاج فوريّ الهياج، مدمناً على الشتم والسباب يثور لأتفه الأسباب، ويتجلّى فيه الحنق والحمق، والشراهة والسفاهة، والاستهتار وعدم الاستقرار، والرُّواح والسواح، والتردد والتشدّد، والحيرة والغيرة، بحيث تتحوّل الخفّة في الحركة إلى خفّة في العقل. فيقلّ الاستيعاب، ويضعف الاكتساب، في حين تكثر الشهويّة وتقوى الغرائز الحسِّيّة، فيقفز القرد من نزوة إلى نزوة كما يقفز من غصن إلى غصن، وينتقل من غريزة إلى غريزة كما ينتقل من شجرة إلى شجرة، فيسود عليه البُهم وسوء الفهم وعدم الإحساس واللامبالاة بالناس. وهنا يصوِّر القرد الكائن البهيم الذي في كلِّ وادٍ يهيم، العاجز عن التركيز وبالتّالي عاجز عن التفكير أو التقرير أو التنفيذ، الكائن الهباء الذي تلعب به أنواء الأهواء، المتمرِّد المتشرِّد، المتطلِّب المتقلِّب، المتحوّل المتجوّل، الطوَّاف الحوَّاف من نفسه وغيره. والقرد جدّنا الأوّل يسكن بواطننا ولا يتحوّل. فهو الفكاهة النابعة من النباهة، والمزاح الداعي إلى الانشراح، والظرافة الناتجة عن الثقافة وهو العفويّة والتلقائيّة والطوعيّة الذاتيّة. وهو الهوى المسيطر والنزوة المقيمة والرغبة الجامحة والعزم العابر والتصوّر الخاطئ الرافض التصحيح والتخيّل الفاسد الرافض الإصلاح والخلق الوهمي الرافض الواقع والخيال المريض الرافض العلاج، والسلوك الهجين الرافض الأصالة والخواطر الزائفة والتصرّف غير المألوف والعيش الكيفي والانفلات بالتحرّر من كلّ القيود والوعود والعهود والعقود، وبالتالي هو التبذير بلا تبرير والانحراف والإسفاف بالإسراف بلا إشراف، والغفلة المتعمدَّة والعصيان المقصود وتبديد الهموم بتبذير الطاقة في الإعوجاج المجدي المُغني عن الاستقامة العقيمة. ويمثّل جدّنا القرد الفيلسوف الساخر، معلِّم الحكمة المسعدة، والمُرشد إلى السلوك المريح المؤسَّس على أنّ المعرفة ستزٌ للمعرفة، والدراية إخفاءٌ للدراية. والعلم كتمٌ للعلم لأن التكتّم درب السلامة. ولذا نرى جدّنا الأوّل يُغلق عينَيه وأذنَيه وشفتَيه ليشير بأنّ راحة البال وهناء الحال والأمان والاطمئنان هي في قول: »ما رأيت ولا سمعتْ ولا قُلت«. وهذه هي المعرفة المفرحة المستندة إلى اللاأدرية الإيجابية المانعة للتعاسة والمانحة للسعادة، والقائمة على أنّ التكتّم يُمكِّننا من التحكّم وأنّ حجب المعرفة بكلمة لا أعرف هي كلّ العلم لا نصفه، لأنّ الكتمان أمان والإعلان فقدان. وبناءً على هذه القاعدة الذهبيّة، قد نرى القرد كاتباً يدعو إلى نبذ الروحانيات والماورائيات ويصرُّ على الأخذ بالمحسوسيّات والموجودات. أو نراه رسّاماً يوضح الظواهر ويُغمض البواطن. ورغم أنّ

القرد يؤمن بأنّ الكتمان وئام والإعلان خصام فإنّه يعلن ما يبطن ويماحك وهو يضاحك ويُناكي وهو يحاكي، ويجرح وهو يمزح فيُطلع الشرّ من تحت أظافره ويسيل لعابه لكلّ نقار أو شجار ويُبرِّر القرد هذه العدوانيّة وهذا النزوع إلى الاقتحام والالتحام وهذا التهافت على الاستفزاز والالتذاذ بالهجوم مؤكِّداً أن التحدّي والتعدّي ضروريان لإيقاظ روح التصدّي ولتقويّة النفس ومنعها من التردّي. فالشمس ما كانت لتضيء وتدفئ لو لم تحترق، والقمر ما كان ليلمع أو يسطع فيُنير لو لم يواجه ويعاكس الشمس، وعليه فعند القرد: الجدال يعلِّم الجهّال والنقاش يقوّي الفشافيش والاحتراش يُعنتر الخرافيش والمضايدة تعلِّم الضعفاء المجالدة والمعاندة والمكايدة تعلّم الغافلين الحذر والمجاهدة، لأنّ مقاتلة الجبناء تعلِّمهم المرجلة. وشيئاً فشيئاً يكتشف القرد أنّ الفنّ منقذ، وأنّ الفنون تحلّ كلّ المشاكل الخاصّة وكلّ المعاضل العامّة فتتملّكه النزعة الإصلاحية. ولذا يعمد إلى إصلاح نفسه وبالتّالي غيره عن طريق الفنون الجميلة: فيتعاطى الموسيقى أو الغناء أو التمثيل، وقد يمارس الرسم أو النحت أو التصوير، وربّما يقرض الشعر أو يكتب القصص والروايات، وغالباً ما ينكبّ على الأعمال اليدويّة. فيُنتج روائع نادرة في هذا المجال. وبذا يتحوّل من أجير مقلِّد وتابع إلى أمير مبدع وبارع يعلِّم إن الإبداع تمتُّع وإمتاع. وإبداعه هذا يتَّضِح في تأكديه على أن الإنتاج مقياس الهياج. فكلّما نشط عملكَ نشط شبقكَ وكلّما ازداد مردودك العمليّ ازداد مجهودكَ الجنسيّ. ولذا فالعمل جنس والجنس عمل. فإذا توصّلتَ إلى ابتداع مشاريع عمليّة جديدة توصلت إلى ابتداع أشكال جنسية جديدة: وعليه فالنشاط العملي يزداد طرداً مع النشاط الجنسي والعكس صحيح. وهنا يصبح لقب القرد مدحاً وفخراً لأنّه يجسِّد الفنّان البارع في مهنته، والبارع في علاقاته خاصّة مع الجنس الآخر. وهنا القرد يجسّد الفنّان الكبير معبود الجماهير، الساحر الخطير الذي يفتن الصغير والكبير بملعنته السائغة وخبثه السلس حيث يُغلِّف أغراضه الدنيئة وأهدافه الرديئة بقناع من سلوك كاريكاتيري ليجذب الأبرياء الغريرين، ويكذب على الجهلاء الغشيمين. وفي هذا خطرٌ جسيم على المأخوذين بالمظاهر الذين يضحكون لفكاهات ودعابات هذا القرد المقنَّع ليقنعهم بأضاليله، ليوقعهم في أحابيله فيطلي عليهم مقالبه ويُملي عليهم مطالبه. فما تلك الفكاهة والدعابة وذاك المزاح والانشراح والتبريج والتهريج إلاّ عدّة النصب ووسائل الاحتيال التي يستخدمها القرد فيبرع ليخدع المعمّيين بفتنته، وبالتالي يفرض عليهم حنكته ليعترفوا بأنّه إله الباه والجاه الكاسح

الفاسح النعّاظ الدائم الانتعاظ، الذي يُثمل أهل البلاهة بخمر الإضحاك والفكاهة. فيقودهم إلى الفحش والمجون والخلاعة، ليكون له في الطيّب نصيب من ذاك الانفلات الرهيب. وعلى هذا يمكن أن نصادف القرد الحاوي الغاوي في الشوارع يقطع علينا طريقنا ليُغرينا ويُغوينا بمنظره الكاريكاتيري وبسمته الزائفة كما يمكن أن نرى القرد النسناس الدسّاس في المحافل والمعارض والمقاهي والملاهي يستوقفنا بهيئته الهزلية ويدعونا لنموّل جلساته الفنّيّة. أو يحيّنا من بعيد بحركات مسرحية مفتعلة ومبتذلة، عامرة بالتصنّع، ليقنعنا بأنّه بخش الفنّ وديك القن الجوّال الجوّاب الجذّاب الجلاّب، الذي لا تفلت دجاجة ولا فرخة من شباك سحره، والمجبر المنير المشير المدير المثير الزير، الذي يدغدغ المشاعر بأظافر عواطفه المُدبَّبة فتنطرح الإناث تحت قدمَيه والعات ضارعات أن ينظر إليهن بعينَي رحمته ويلمسهن بيدَي عظمته. وبذا يتمتّع القرد بقدرة خارقة على التأثير غير المباشر وإمكانية فائقة على التحريك عن بعد، بحيث يُجرّد بفكاهته الآخرين من أسلحتهم ثمّ يمسك بخيوطهم ويجعلهم يتصرّفون كما يريد من بعيد دون أن يلحظه أحد. وهكذا يُمثِّل القرد البطل البدائي الذي يلهو بمصائر الساذجين على هواه. إنّه بطل ذو غرائز ناضجة بعقليّة طفل ولذا لا يهمّه سوى إشباع حاجاته وإرضاء نزواته. وعليه فهو قاس يقنِّع قساوته بالطلاوة والطراوة وفظّ غليظ يغلِّف سماجته بالميوعة وصلف جلف يموّه وقاحته بالمرونة والأريحية ومُتحجِّر القلب يطلي برودة أحاسيسه وبلادة مشاعره بالعواطف الجيَّاشة. علاوة على أنّه وغد خسيس، يداري نزالته وسفالته ويواري وطاوته ودناءته بإدّعائه الترفّع عن الصغائر بتخطِّي التفاهات وتجاوز العقد. ولذا يزعم بأنّه أعلى من أن يدني مستواه ليهتمّ بمثل هذه الأمور العَرَضية. هذا وإنّ حكمة القرد في إخفاء شخصيته الحقيقية تحت قناع من المظاهر التهريجية تجعل من هذا المحتال الماهر والنصّاب الشاطر لغزاً يجذب الفضوليّين ليكشفوا أغواره ويملكوا أسراره ويحذوا حذوه لينالوا ما يناله من حظوة ومكانة رغم ما فيه من استكانة ومهانة. وهؤلاء هم أشباه القرود الذين يرون في هذا المهرّج البارع بهلواناً حاذقاً، قادراً بشعوذته أن يلعب على كلّ الحبال وأن يتجاوز كلّ المطبَّات الأرضيّة والهوائيّة بالضحك على اللحى وتمشيط الذقون. ولذا يقتدون به ويقلِّدون المقلِّد فيصيروا نُسخاً مُزَيّفة عن أصل مزيَّف، وتزوير المزوَّر هذا يقيم سباق تزيّف يدهور الكائنات ويودي بهم إلى حضيض الانحطاط. ذاك أنّ كل متزيِّف يقلع الحياء ويفعل ما يشاء ليثبت أنّه الأزيف، الأكثر

تزييفاً وتزيُّفاً. وقديماً قيل: المتشيطن غلب الشيطان. على أنّ القرد قابل للتطوّر من ماهية حيوانية فلتانة إلى روح إنسانية حرَّة تنطلق لتحلّ في بشر. وهكذا القرد ذو عقل ناشط لاقط في دماغ خامل هامل. وذو عقلية صبيانية طفولية تقدّمية في طبيعة كهولية شيخوخيّة رجعيّة. وذو ذكاء تكميلي. يكفي أن يمسك رأس خيط ليحبك شبكة بلا أيَّة لبكة. فتفكيره تهويلي انعكاسي. يأخذ كلمة من فمك فيضخِّمها ويفخِّمها ويجسِّمُها ويعظِّمها، ثم يعكسها عليك وكأن الكلمة كلمته والفكرة فكرته وتقديراته استيهامية أو توهّمية تحوّل الوقائع أوهاماً، أو تخلق أوهاماً وتعتقدها وقائع. وقراراته سطحية ساذجة بريئة ولكن جريئة. فهو قاصر عن الابتداع أو الاختراع أو الاشتراع. ولكنه قادر ماهر في النقل والنشل والنسخ والمسخ والاقتداء والاحتذاء والاقتفاء والتمثّل والتمثيل والمماثلة والتشبّه والتشبيه والمشابهة والمحاكاة والمحاذاة وتقليد كل جديد. إلاّ أنّه تقليد شكلي خارجي ظاهري غير جوهري ولا داخلي ولا أساسي. وهذا العجز الفعلي عن إنجاز عمل أصلي، وهذا الافتقار إلى الابتكار يلوِّعه فيدفعه إلى احتقار كلّ العظماء وكلّ الناجحين والمتفوقين من علماء وأدباء وفنّانين ورؤساء وملوك وسياسيين، وصولاً إلى ازدراء الناس العاديين فيصير عدائياً يميل إلى الترهيب والترعيب، وفوضوياً يكره النظام والتنظيم والترتيب، وطفيلياً يتمارض ليعيش عالة بلا حسيب أو رقيب. والقرد ذو روح قويّة لطيفة في نفس ضعيفة عنيفة. وذو طبع صوّانيّ ما أن ينقدح حتّى يندلع ويشبّ ويلبّ ويهبّ ويهجّ ويهتاج ويلجّ ويلتاج. وذو مزاج رخو اللبّ ليّن القشرة ولذا فهو حنون القلب سهل العشرة، يبذل عزّته لينال حاجته ويصون حبّه قبل كرامته ويسخّر شهامته في خدمة شهوته. فأحاسيسه متقلِّبة ومشاعره انسيابيّة انسياقيّة، وعواطفه انعطافيّة ينعطف وراء من يتعاطفون معه. فيلحق من يُدارونه ويُجارونه في نزواته وأهوائه ويتعلّق بمن يحبّونه على أخطائه ويقبلونه على علاّته، كما أنّه يعتبر أمانيه وقائع ويتصرّف على هذا الأساس بكلّ حميّة وحماس. ويكمل تكوين جسم القرد فيصبح أهلاً للزواج في الرابعة والعشرين من عمره. والقردة وردة تقلع أشواكها لتُسهِّل امتلاكها. إنها قشدة سهل ابتلاعها مثل سمك بلا حسك، لدنة الأعطاف ليّنة الأطراف، رشيقة رقيقة إذا تحمّست، وتلبد وتجمد إذا فترت، شديدة التحسّس وتهوى التجسّس. وتواظب على مراقبة الناجحات البارعات والمتفوِّقات الحاذقات لتقتدي بهنّ، وإذ تعجز عن أن تحذو حذوهن تقيم مقارنة غير متوازنة بينها وبينهنّ، فتحسدهنّ وتحقد عليهنّ لأنهن أقلّ منها

وقدرن أن يصلن. فتندب حظّها العاثر وظرفها الجائر، وحتّى لا تنقم على نفسها، فيسيطر عليها يأسها، تميل إلى أن تنال حظوة باستعمال سلاح الشهوة. ولكنّ لهفتها إلى الوصول وتسرّعها في الحصول علاوة على سذاجتها الصريحة وصراحتها الساذجة تجعلها تكشف أوراقها أمام عشّاقها. فتصير سهلة الانخداع كثيرة الضياع. على أنّها غالباً ما تدرك أنّ اللجاجة لا تقضي حاجة. وأنّ سلاح الشهوة غير ذي جدوى ويؤدّي إلى الاستغلال، وأنّ الاعتماد على الغير لا يجلب الخير بل الخير في الاستقلال. وإذ تدرك تترك التطفّل فتتكفّل بذاتها وتصير عاملة ناجحة وزوجة صالحة وفية صفية نقية تقية، تعبد أسرتها وتخلص لها محبّتها. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في الثانية والعشرين من عمرها. إذن القرد إمّا صغير يتكبرن فيتمادى في تقليد الرجال ليتشبَّه بالكبار. ثم يعي فيبدأ بالسعي ويتحمّس ليؤسِّس شخصيَّته الخاصة وإمّا كبير يتصغرن فيُبالغ في التصابي ليخفي تقدّمه في السنّ بمظاهر تجعله أضحوكة للشباب، فإمّا يتخلّى عن سلوكه الهزلي ويتقبّل طبيعة عمره. وإمّا يظلّ يتولدن فيبقى مهزلة للصغير والكبير حتى يومه الأخير. ودمتَ ظريفاً طريفاً، يا أخي القرد! ودمتِ متألقةً متسلقةً، يا أختي السعدانة!

زياح الروح الحلوة

النصف الأوّل من كانون الأوّل، يؤثر على مواليد الساعة الثانية والعشرون، ويشبه من هم في عمر السابعة والثمانين، ويتفاعل مع مواليد الساعة المولود فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الحلوة تتقمّص النمر

النمر وحش الخير وخير الوحوش سحره أخّاذ وأثره نفّاذ. قادر غير غادر. وقويّ غير عتيّ. وجبّار غير جزّار. النمر وحش جميل قدر ما هو مرعب ومريح قدر ما هو متعب. إنّه سلس أكثر ممَّا هو شرس. غيور لا يجور وجسور على الشرور. وجريء يدافع عن البريء، وكبرياؤه إباؤه. فهو أنوف يغيث الملهوف وأليف قدر ما هو عنيف. لا بل طراوته تفوق ضراوته أحياناً. النمر ذكي عاقل وفيّ عادل. ولذا يصيد الأشرار ويسند الأبرار وينفِّس المغرورين وينصر المغمورين. والنمر وجداني حقّاني يحمي ولا يهدِّد ويصون ولا يبدِّد. فيشدّ أزر الأصدقاء ويردّ كيد الأعداء. إنّه باسل لا يهاب المشاكل وشجاع بلا مكر ولا خداع. فهو بطّاش غير غشّاش. ومقدام على الدوام. يبادر ولا يحاذر ويجادل ولا يجامل ويباري ولا يماري فيقنع ولا يقمع ويهجم ولا يتهجَّم فيحارب ولا يوارب ويقاوم ولا يساوم وعليه تتجلّى في النمر سطوة النخوة وجرأة المروءة وحماسة الحمية وهاجميّة الشهامة. ولذا يصيد وحوش الإفساد ويبيد عروش الفساد فيمحق الجذور الباطلة بسحقه البذور العاطلة والنمر لا يحترس من الأهوال المريرة بل يفترس القوى الشرّيرة ويستأصل شأفة الآفات الخطيرة. ذاك أنّ النمر يسيطر على نواميس الطبيعة ولا يخضع لها. إنّه قدرة الطبيعة على

الحركة الذاتية العاملة على تحريك الغير. ولذا تتبدّى في النمر قوة الإيمان بالذات المؤدِّية إلى الإيمان بالغير ولذا يخرج النمر دائماً من غابة الخطايا منتصراً وناصراً فجهوده المادّية تُزهر نهضة معنوية وجهوده المعنوية تثمر نهضة مادّية فيعمّ النفع الماديّ والمعنوي عليه وعلى من حوله. ويجسِّد النمر القوّة على توليد النور فهو يبتلع الشمس آخر النهار ثم يلفظها قمراً ونجوماً أوّل الليل. ويعود آخر الليل فيبتلع القمر والنجوم ثم يلفظها شمساً أوّل النهار. وعليه فالنمر راعي الأنوار يحرس الأحرار والأبرار ويحرص على أن تظلّ ساطعة أنوار الحرّية والبرارة ولذا يفترس النمر الغيلان التي تلتهم الهلال أو القمر أو البدر ويجندل التنانين التي تزدرد الشمس لتحجب الكنوز عن الأبطال. وبذا فالنمر بطل حقيقي ينصر الحقيقة. وتتَّضح بطولة النمر في حكمته المحرِّكة المحرِّضة الدافعة إلى القرارات والتنفيذات النافعة فهو يصحِّي الغافلين ويوقظ المستكينين ويثير لديهم المخاوف ويضع أمامهم المخاطر ليثوروا وينهضوا ويقوموا ويرفضوا التبعيّة ويعملوا ليحصلوا على الاستقلالية والاكتفاء الذاتي وحريّة تقرير المصير. ذلك أنّ التبعيّة صفة غير إنسانية يتّصف بها البهائم لا البشر. وحيث أنّ النمر فاتن يسحر البواطن وجذّاب يخلب الألباب، فإنّه يثير الميول المعنوية قدر ما يثير الغرائز الحسِّية، لا بل أن إثارة الحواس أحياناً تكون وسيلته لإثارة النفس أو أن إثارة النفس تكون وسيلته لإثارة الحواس. المهمّ عنده أن يحدث انفعالاً ينتج نهضة. ولذا فهو يلتذّ بالإنهاض المعنويّ قدر ما يلتذّ بالإنهاض المادي، لا بل كثيراً ما يفوق الانتعاظ النفسي عنده على الانتعاظ الجسدي ولذا لا يكفّ النمر عن النزاز ولا عن الاستفزاز ليهيِّج الوحوش المكبوتة في غابات النفوس وينازلها في أوج عنفوانها لينتشي بالتغلّب عليها وهي في قمّة قواها وأوج استعدادها وذروة فورانها. وفي هذا السياق يبدو النمر بلا أخلاق: يستفزّ ليستلذّ ويثور ليثير ويجور ليُجير وبالتالي ليدير فيطغى ويستبدّ ويصدّ ولا يردّ ويعمل بكلّ الوسائل على خلق المشاكل لإفشال مشاريع كلّ من لم يشاوره. ويضع العراقيل ليثبت أنّ العيش دونه مستحيل وأنّه ذو الفضل الأوّل والخير الأمثل ومَنْ لا يقرّ ويعترف بأسبقيته وأفضليته ما هو إلاّ عاقّ ومارق وناكر للجميل يستحقّ الشرّ الوبيل وعليه أن ينطمر بالجمر لأنه أغاظ النمر. وهنا يغيم وجدان النمر ولا يصفو ويغيب ضميره ويغفو فلا يعفّ ولا يعفو ويظلم ولا يرحم فيمزِّق أصحابه بمخالبه وينهش أحبابه بأنيابه ولكنّ النمر لا يلبث أن يصحو من سكرته فيدرك أنّ أنانيته قد غلبت بطولته

وأن المحرّر الحقيقي يحرّر الآخرين منه أيضاً. والمعين الحقيقي لا يلزم المعان بأيّ قيد أو شرط. وهكذا يعود إلى سابق استعراضاته البطولية وبطولاته الاستعراضية في تحدّي مانعي الخير والتصدّي لفاعلي الشرّ وتسخير سحره الحلال في المساعدة على تحقيق الآمال. فيظهر ليُبهِر ويصول ويجول ليحول دون تعدّي الأقوياء على الضعفاء. ويظل بكلّ بأس وبلا يأس يقاتل طواغيت الشقاء والبؤس ليرتقي بالناسوت إلى النعيم والهناء المقيم حتّى تفيض روحه وتحلّ في بشر. وهكذا النمر ذو عقل جوهرة خام، تنصقل وتتجوهر مع الاستعمال في دماغ شفّاف يسمح بالإرسال والاستقبال. وذو عقلية تقدميّة في طبيعة تطورية وذو ذكاء متعدِّد الوجوه. فتفكيره استقطابي متشعِّب. وتقديراته مركزيّة متفرّعة. وقراراته فجائيّة وحالية تخدم الحاضر. فهو على قناعة ثابتة بأن امتلاك الحاضر يفضي بلا شك إلى امتلاك المستقبل. ولذا يتبع السياسة الهادئة القائمة على أنّ التقدّم البطيء خير من التوقّف المستمِرّ. وأنّ كلّ مراوحة في المكان هي مرحلة تعبئة للانطلاق إلى مرحلة أكثر تقدّماً. فهو لا يؤمن بالطفرات الطبيعيّة العفويّة، بل يعمد إلى حشد العوامل التي تؤمِّن طفرة قصديّة مدروسة، تصلح لتكون قاعدة لتطوّر متواصل. وسياسة التقدّم المنهجي هذه تدفعه إلى تأمين الرخاء بعد الاكتفاء لبلوغ رفاهية حاضرة تشكّل نواة نهضة مستقبلية. فعند النمر النجاح في تنفيذ عمل صغير وبسيط يقود إلى النجاح في تنفيذ مشاريع كبيرة ومعقّدة. والنمر ذو روح عالية وقوية في نفس متواضعة وخدومة. وذو طبع نيرانيّ أنانيّ شرس في الباطن ودافئ غيْريّ سلس في الظاهر. إنّه طيب مبطَّن بخبث وخبث مبطن بطيب. وذو مزاج انفجاري فطريّ حماسيّ افتراسيّ لا ينجم عن ضغط ولا عن حذر من خطر، بل عن طبيعة جريئة بريئة تعتقد بسذاجتها أنّ المفاجأة تنفض الراس والإحساس، وأنّ الانفجار ينهض بالعقل والقلب من الأساس. وغالباً ما ينفجر النمر نتيجة عجزه عن نقل أفكاره أو إيصال مشاعره إلى الغير أو نتيجة إحساسه بأنّ الغير لا يدركون حسن مقاصده ولا يقدِّرون عظمة جهوده. فالنمر ذو عواطف صادقة ونوايا لائقة ولذا يتحسَّس جداً حين تشكِّك به أو ترتاب بدوافعه وغاياته. فلا تتحمّس له. وهذا التحسّس يدفعه إلى التلاعب بالحديث. فيبطِّن كلامه ليمرّق بعض التلطيشات على أمل أن يستفزَّك لتغتاظ فتفلت منك ألفاظ تكشف عن حقيقتك وحقيقة موقفك منه، ومدى انجرافك إليه أو انصرافك عنه، فالنمر قلبه في يده. يوجِّه عواطفه حيثما يريد وكيفما يهوى ولذا ينصرف عمّن ينحرف عنه لأنّه لا يرى

جدوى في أن تحبّ من لا يحبّك وتموت بالحسرة. ولأنّه يعرف أن يجرف أيّاً شاء في زوابع هواه وعواصف عواطفه ويكمل تكوين جسم النمر فيصبح أهلاً للزواج في سنّ الخامسة والعشرين. والنمرة آمرة آسرة، قادرة تبادر وهادرة لا تحاذر، فريزة عزيزة ترفض الخضوع أو الخنوع، وترفس الذلّ وتأنف من أن تبقى في الظلّ وتأبى إلاّ أن تكون في يدها سلطة الربط والحلّ. فهي ذات خلّ ودلّ وابتكار في لفت الأنظار. ولكنّها ذات أطوار متحولة وأدوار متبدِّلة، لا تستقرّ على حال ولا تثبت على منوال، بل تحاول وتناور وتداور ولا تشاور حسبما يساورها من هواجس أو وساوس أو ينتابها من رغبات أو نزوات. فهي طوراً نشيطة زاهية عاملة قنوعة سلسلة ودودة متواضعة، وطوراً بليدة كابية خاملة طمّاعة شكسة حقودة مغرورة. تارة شريفة عفيفة كريمة وتارة فاجرة داعرة لئيمة. تميل إلى التحرُّش بأزواج الأخريات واشتهاء ما لدى الغير من مقتنيات. فتزهو بسلب رجل من امرأته لا حبّاً به بل إثباتاً لقدرتها على انتزاع ملكية الغير، ذلك أنّها ترى فعّاليّتها في فعل الشرّ أكثر من فعل الخير، ومع الوقت قد تثبت على حال الصلاح. فتصير ربّة أسرة كريمة عظيمة إلى ابعد الحدود. وقد تستقرّ على حال الطلاح، فيستشري فيها الغيّ ويجور، ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سنّ الثالثة والعشرين. إذن النمر إمّا قدرة وجمال بلا كمال طائش هائش يستمرئ طيب العيش الحاضر ويستهتر بالمستقبل ويهاتر فيعيش على الهامش. وإمّا قدرة وجمال وكمال واعٍ ساعٍ يرتقي من عالٍ إلى أعلى ومن غالٍ إلى أغلى يحسب حساب قفزتَه فإذا قفز يصيب ولا يخيب. ويدرس انفجاره فإذا انفجر طفر من الحفرة إلى الذروة. فشدَّد الهمم ليلحق به الآخرون إلى القمم. ودمت قادراً هادراً، يا أخي النمر! ودمتِ ماكنةً متمكّنةً، يا أختي الفزارة!

زياح الروح الطويلة

النصف الثاني من كانون الأوّل، يؤثر على مواليد الساعة الثالثة والعشرين، ويشبه من هم في عمر الحادية والتسعين، ويتفاعل مع مواليد الساعة التي ولد فيها، ويتأثر بالعمر الذي هو فيه.

الروح الطويلة تتقمّص الحيّة

الحيّة كائن غامض وامض: تطلبه فلا تلقاه وفجأة تراه. ومبهم مفهوم: يتجاهل ليعرف أكثر ويتنازل ليعلو أكثر. وفجّ ناضج: يعاكس ويشاكس ليُنافس ويزامل ويجامل ويحايل ويحتمل ويتشاكل ليكتمل ويتكامل. وبارد واقد: يشعل وينطفئ ويشتعل فيُطفئ إنّه أملس أطلس، سريع التملّص بارع في التخلّص يستحيل إمساكه أو إدراكه كما إنّه مراقب مواظب دائم اليقظة يقدر بلحظة أو بمجرَّد لفظة أن يسرق سرّ الصنعة وأن ينجح في كلّ مسعى. الحيّة كائن بسيط بساطةً تعقِّد فهو لا ينفي ولا يؤكِّد. إنّه بهلوان شقلبان ومرآة متحرّكة بكافّة الاتجاهات، يرصد كل التحرّكات ثمّ يسترها أو يظهرها بمقتضى الحاجات أو حسب الغايات ولذا فللحيّة حياة علنية وحياة سرّيّة وبالتالي أهداف ظاهرة جليّة وأهداف باطنة خفية. وعلى هذا فالحية خطّ حيّ، خطّ مرن يتحرَّك فيستوي أو يميل أو ينتصب أو ينكسر أو ينحني أو يتقوّس أو يستدير أو يتلولب. ويعود لينفرد ويعيد عروضه وتحوّلاته من شكل إلى شكل حسب الظروف إلى ما لا نهاية. فالحية خطّ أتاويّ مضاويّ: لا مبدأ معروف له ولا منتهى، فدوافعه مجهولة ومقاصده مجهولة وسياسته مرونته: إذ يراوح بين الليونة الخشنة

والخشونة اللينة. والحية سطر حسّاس يحتمل تآويل شتّى ويتأثّر بأضعف المؤثّرات حتّى أنّه معرَّض للتبدُّل والتحوُّل مراراً في كل نأمة. الحية سطر تتبدّل مواقع كلماته فيتغيَّر مضمونها وتتفكّك حروفها وتتركّب من جديد فيتبدّل معناه ويتحوّل مغزاها. الحيّة سطر تتغيّر فيه كلّ لفظة بحسب اللحظة فعنده لكلّ معنى مبنى ولكلّ مخبر مظهر. إذاً فالحيّة شكل مجرَّد حامل قابل لكلّ المضامين ومضمون مجرَّد حامل قابل لكلّ الأشكال. إنّه متعدِّد يتحدَّد في لحظة ولكنّه لا يركن أو يسكن بل يعاود التحدّد بلا تحديد. فنحن إذ نرى الحية على الأرض نراها في وضع حالي آني لحظوي مثل سطح متحرّك لخزّان كوامن لا نهائية الاحتمالات. وظهور الحية المباغت يجسّد استيهام البواطن المقدَّسة والمحرَّمة فطريّاً. فالحيّة المباركة التي لا تؤذينا إلاّ إذا آذيناها تطلع فجأة كوهم محسوس ملموس ينسرب عبر الأصابع وعبر الزمان الواقع وعبر التضاريس الجرداء والخضراء وعبر عقال العقول، بحركة تبعث على الذهول لينزل إلى العالم السفلي الذي ينتمي إليه، والذي نتصوّره عالماً هيوليّاً سرمديّاً كابتاً ثابتاً على نظامه الكماليّ القادر على إثبات الشيء وعكسه في نفس الوقت. وهكذا سريعة كالبرق تنبثق الحية دوماً من فوَّهة معتمة وتنسلّ لتميت أو تحيي فحليب أسنانها سمّ وترياق فيه داء ودواء. وهذا الأثر المزدوج الذي تملكه الحية يجعلها سرّاً مغلقاً ولغزاً محيِّراً بحيث يستحيل أن نتنبَّأ أو نتوقّع أو نتكهَّن بقراراتها المفاجئة الشبيهة بحركاتها المباغتة لنحتاط ونتأهّب لمواجهتها. فهي تلعب بالأضداد كما تلعب بجنسها ولذا نراها مرّة ذكراً فحلاً آمراً ناهيّاً فعّالاً ومرة أنثى تابعة متلقِّية منفعلة، وهذه الخنثوية تجعلها توأماً في واحد. وهذا واضح في أنّ الناس أنّثوا الحية وذكَّروها فقالوا: هذه الحية وهذا الحية. وعليه ما الحية بفرد واحد بل أفراد في فرد: الحية أعداد في واحد. الحية منجم مواد أوّلية باطنية خفية يحوي كل الأجناس والأنواع والأنماط والأشكال. الحية خلاّقة لزجة زلجة علاّقة زلاّقة دبقة لبقة وعّادة بعّادة بلاّقة شلاّقة ملساء زئبقية طلساء تحتانية تلتفّ على نفسها وعلى غيرها تتكوّر وتنبسط تمسك وتفلت تشدّ وترخي تبلع وتنام لتهضم فتختفي وتصحو فتظهر لتولد وتلد مواد حيّة ومحيية دنيوية وسماوية توجد وتعدم تفهم وتُبهم تبلي وتُسلي. الحيّة سيّدة القوى الطبيعيّة لا تسود إلا إذا اسودَّت أعماقها مثل المرآة وجهها لا يعكس إلاّ إذا

انطلى قفاها بطبقة من القصدير العاكس الكتيم. كأنّ الحياة العلنية لا تشعّ ولا تضيء إلاّ إذا كان وراءها حياة سرّية داكنة قاتمة. المهمّ الحيّة محيية ما دامت حية ولذا فوظيفتها الأولى أن تحافظ على ديمومة حياتها ليتسنّى لها الحفاظ على ثبات ديمومة التطوّر الحيوي للآخرين. وللقيام بمهمّتها على أكمل وجه تخصب ذاتها بذاتها فتعضّ ذيلها وتبخّ سمّها في فمها لتحقّق الجدليّة الماديّة في انبثاق الموت من الحياة والحياة من الموت. وهذا الإخصاب الذاتي يجعلها دائرة مفتوحة على ذاتها مغلقة على ما في محيطها أشبه بدائرة الكون المسمّاة: المحيط الكوني. ومن هنا جاءت الطبيعة المائية للحية فالحبة محيط من جنزير محلزن مفتوح مغلق مطبق مطلق، محيط خزّان كوني منه تنبع كل المياه وتجري لتعود وفيه تصبّ. الحيّة بئر جوفية ونبع فوّار وساقية جارية ونهر صاعد ومطر نازل وسيل جارف وبحر صاخب. الحية تبعث الحياة وتحرّكها لئلاّ تستنقع وتصونها لتدوم. وشيئاً فشيئاً تتبدّى الحيّة بطلاً حضارياً يضحِّي بجزء منه ليفدي الجزء الآخر مثل توأم يميت شقّه لينقذ شقه الثاني. الحية صوفيّ يستغني عن رغباته ليكمل رسالة المحبّة فينكر ذاته ليثبت ذوات أحبابه: إنّه المزدوج الذي ينفرد ليخدم المجموع. الحيّة غيمة يذوب مطراً ليروي الياس والحيّة سهم ضوء ينتثر قوس قزح ويمتدّ جسراً يصل الأرض بالسماء. والحيّة نار تحترق في جحيمها لتُنير وتُدفئ نعيم أحبابها. والحيّة شمس تغيب في المغرب لتظهر في المشرق. والحيّة بالعة مبلوعة فكم تضطر إلى أن تنبلع لتروي غليلها أو لتسدّ جوع أحبابها! والحيّة مُبلِّعة مبلوعة فكم بلعَت من حراذين وفئران وجراذين ما لبثوا أن انقلبوا حيّات وابتلعوها! وحيث أن الحيّة اثنان في واحد فإنّ هذا الواحد يعيش صراعاً دائماً ليوازن بين قوى الإحياء وقوى التمويت من جهة وبين هاتين القوّتين وفكرَتَيْ الخير والشرّ من جهة ثانية. وعلم الحية ينطلق من أنّ الإحياء والتمويت قوّتان متكاملتان وأنّ الخير والشرّ فكرتان نسبيتان. ويهدف علم الحية إلى أن يناغم حسبما يناسب. فما الإحياء خير دائماً ولا التمويت شرّ أبداً فياما أمتْنا لننصر الخير وياما أحيينا لننصر الشرّ. وكثيراً ما أدّت أسباب متعاكسة إلى نتيجة واحدة فالرعشة قد تنجم عن الفرح واللذّة أو عن الحزن والألم فما أبعد الضدّ عن الضدّ وما أقرب الضدّ من الضدّ! وهنا يتّضح منهج الحيّة القائم على التحرّر الجزئي والنسبي

والحريّة الكليّة المطلقة. فالتوازن قد يتأتّى عن التحرّر من شيء والتقيّد بنقيضه وقد ينجم عن الإفراط في شيء وصولاً إلى نقيضه. وبالتالي التناغم نوعان: تناغم بالانضباط وتناغم بالاشتطاط. فالدنيا صحو وغيم، وآخر الغيم صحو وآخر الصحو غيم وهكذا فالحية متاهة توقع مَنْ حولها في متاهة لتقودهم إلى باب الخلاص الذي يناسبها والحيّة حكيم صيدليّ يستحضر عقاقيره من ذاته القادرة على الإحياء أو التمويت ويجرّب عقاقيره على ذاته ليصل إلى النسبة المثالية التي تؤمِّن العافية والتي إذا زادت أو نقصت انقلبت مرضاً، النسبة العادلة المعادلة المتعادلة التي تؤمِّن الاعتدال الذي هو حكمة الحية. والاعتدال عند الحيّة علم وفنّ وخبرة: تعمد إلى مزج النقيضين مزجاً يؤدّي إلى الحلول فالتناسخ فالتجدّد بحيث تخلع جلدها فتجدِّد ظاهرها وباطنها بولادات متكرِّرة تحافظ عليها حية جيلاً بعد جيل. والعمود الفقري حيّتان تتلاقحان بالعضّ فتموتا وتُخلفا بويضة ملقّحة تفقس فتمتدّ قضيباً في الذكر وتنفتح فرجاً في الأنثى. وذلك ليعاود النخاعان الشوكيان التلاقح المميت المحيي الذي يؤكِّد مقولة أنه لا يولد جسد حتّى يفنى جسدان لا جسد واحد. وهذه الجدلية المادّية للجنس المميت المجدّد جعلت علم الحية علماً شيطانياً يهوى الإغراء ويحترف الغواية. فالحية زير نساء يُغري بنات حوّاء ليتجدّد، ولا تدوس رأسه إلاّ امرأة عفيفة. والحية سارقة أزواج تُغوي أبناء آدم لتتجدد ولا يدوس رأسها إلاّ رجل شريف. ولذا يزداد نشاط الحية العقلي والعملي كلّما ازداد النشاط الإغوائي. فالنجاح في الغواية يعقبه نجاح في الإبداع. فيزيد الكبرياء ويرفع درجة الغرور والغلواء وفرح الحية غامر بلقب الغاوي أو الغاوية. كما أن الفشل في الإغراء يدفع الحية إلى المبالغة في الصلف والخيلاء، وبالتالي إلى المبالغة في الإبداع تعويضاً للنقص وردّاً للاعتبار. فتحقيق الذات عند الحية لا يتمّ إلاّ بالتكبّر والتجبّر والترفّع والتمنّع والزهو واللهو وتصنّع اللامبالاة والتسالي بالتعالي. والحال أنّ الحية قبل التجدّد بالجنس تسعى إلى التوحّد بالجنس، أي إلى الاكتمال بعد الاعتدال، لأنّ الذكر نصف والأنثى نصف، والكائن الكامل لا يصير إلاّ باجتماع الذكر والأنثى ليصيرا واحداً. ينفصل ليتّصل، ويتّصل لينفصل، دائراً مديراً عجلة دائرية التجدّد. وفي سبيل هذا التجدّد تحلِّل الحيّة كلّ محرّم حتّى سرقة أزهار تجديد الشباب وأثمار التخليد التي تعب الأبطال

في الوصول إليها والحصول عليها. وتحليل كلّ المحرّمات لتحقيق التقدّم وتأمين الرخاء يجذب الناس إلى أعمال الحية ولكنه ينفّرهم من شخصها. فقدر الحية هو قدر المحرّرين والمجدِّدين الذين غالباً ما ينبذهم ويضطهدهم مجتمعهم في عصرهم. لكنَّ الحياة تتطوّر ومع الزمن يصير المنبوذ مقبولاً لا بل مرغوباً والغريب مألوفاً، ثمَّ عاديّاً، ثمّ مستهلَكاً، والشذوذ قاعدة والخطأ صواباً. وهكذا تمثِّل الحيَّة ثمرة الحياة الحاملة بذرتها التي تنطمر لتنفلق نواتها وتُخرج إلى نور النهار ما تعيشه في عتمة الليل. الحية حلم واقعي وواقع حالم. والحية حبل حي حرّ مضفور من حقيقة وخيال يتابع سيرورته من كينونة إلى صيرورة راسماً سنّة الحياة في التبدّل والتغيّر والتحوّل والتطوّر. الحية حبل صرّة سرّيّ يصل بين الأضداد إنّها قطار أنفاق وغوّاصة ومركبة بَرّيَّة وسفينة بَحرِيَّة وصاروخ جوّي ومكّوك فضائي. إنها شبكة أعصاب تؤمِّن الاتّصالات بين النقائض وتعلِّم أنّ الأضداد متناقضة في الظاهر، متكاملة في الباطن. وأنّ الخافي أعظم لأنّ الباطن مبعث الحركة. إنّها أمعاء تمتصّ نسغ الحياة من نبع الحياة وعروق توزِّع دماء القدرة على كافّة أرجاء جسم الكون وتحلّ في بشر. وهكذا الحية دماغ نفوذ بصمّام ناظم ناخب يحتضن عقلاً اسفنجيّاً سريع الامتصاص كثير التشرّب، ما أن ينتبج حتى يسرِّب مشاريع أفكار ليختبر معقوليتها ويسبر مدى مقبوليتها. فإذا آنس رضى جزئيّاً أفصح عنها كليّاً. وراح بذكائه الانتقائي الانتقادي الاجتهادي يصقل الخام ويجوهر المصقول. ويصوغ المجوهرات في حلية منظومة. ثم يجهد في عرضها عرضاً لائقاً ونشرها نشراً فائقاً. فهو ذو عقليّة رمزية في طبيعة واقعية. فتفكيره علمي فنّي. وتقديراته تجاريّة بحتة وقراراته عملية نفعية ذاتية إمّا على المدى القريب أو على المدى البعيد، والحيّات نوعان: أغلبها حيّات عملية بلا مبدأ، وهؤلاء لا يكترثون مطلقاً للمبادئ النظريّة الأدبيّة المعنويّة. فمبدؤهم الوحيد هو الأمور الواقعة ولو كانت مناقضة لكلّ مبدأ ولذا لا يتمسّكون إلاّ بالوقائع المادّية المحسوسة الملموسة. فهم ذوو مطامع مادّية كالشهرة والمجد والنفوذ والعيش اللذيذ والملذّات الدنيوية والشهوات الحسّيّة. وحيث أنّ الواقع يؤكِّد أنّ الحقّ مع القوي فهم يتشبَّثون بكلّ ما من شأنه أن يجعلهم أقوياء متسلِّطين وقادرين متنفّذين. ولذا فهم مغرضون في كل أعمالهم، الفردية والاجتماعية والسياسية

وحتى الزيجية والدينية. وبالتالي إنّهم ذوو قدرة فريدة في تذليل الصعاب في كلِّ ظروف وأحوال وأطوار حياتهم. يضحّون بكل شيء في سبيل أهدافهم السرّيّة، غير عابئين أحياناً بالأخلاق العامّة ولا الخاصّة. ولمّا أن الواقع يؤكِّد أيضاً أنّ قوّة القوى هي المال، فإنّهم يحشدون كلّ طاقاتهم في التجارة ليجمعوا المبالغ الطائلة والثروات الهائلة. وبما أنّ الواقع يثبت عمليّاً أن العلم وسيلة فعّالة لتطوير أدوات العمل وبالتالي زيادة الأرباح والمكاسب بأقلّ متاعب ومصائب فإنّهم يدرسون ويبحثون وينقِّبون ويثابرون بدأب وصبر وطولة بال ليكتشفوا ويخترعوا لا حبّاً بالثقافة أو بالإنسانية، بل تيسيراً لوصولهم إلى أهدافهم السرّيّة بتطبيق سياستهم العلمية العملية المغرضة والمُغرِقة في المصلحة الذاتية. ولذا فهم مشهورون بالمكر والنكر والرياء وقلة الحياء والنفاق وبعث الشقاق وابتداع الغشّ والخداع لغدر الغير بالمخاتلة والمحايلة وإثارة الفتن وزيادة المحن بالزور والجور والبهتان والبطلان والحنث بالوعود والنكث بالعهود بالمراوغة والمزاغلة والزغزغة والمغمغة والمماطلة والتسويف والمخاطلة والتخويف بتلعيب الألحاظ والتلاعب بالألفاظ والتلاين للتليين والتلاون والتجوين والتلوّن في كلّ مجال حسب الظروف والأحوال. وبالتالي إنّهم أنانيون، فإذا تحمّسوا لحلّ مشكلة فما ذاك نصرة للخير أو الحقّ، بل سعيّاً وراء مطمع ذاتي من كلّ أطراف المشكلة ومشكلة المشاكل أنهم مغرورون غروراً يعميهم عن الحقائق، فيزيغون ويعتبرون رذائلهم الذميمة المذمومة فضائل حميدة ومحمودة. فالدناءة عندهم مسايرة والوطاوة مناورة، وسياستهم في المنافقة براعة فائقة، وبالتالي يعتبرون أنفسهم أسمى من سائر الناس، وهذا ما يجعل الناس يرفضونهم وينفرون قرفاً واشمئزازاً وتقزّزاً من صلفهم وابتزازهم وتعزّزهم. وأقلّهم حيّات عملية بمبدأ. وهؤلاء ذوو نظريّات منطقية وفلسفة واقعية على رمزيتها وعملية على خياليّتها. لا يفوقهم أحد في قيادة البشرية والارتقاء بها إلى أسمى مبادئها الإنسانية. والحية ذو روح طويلة بليدة في نفس كبيرة نشيطة. وذو طبع شمسي نهاراً، يحمى تدريجياً ثم يبرد تدريجياً، وقمريّ ليلاً، يتدرّج من هلال إلى بدر ثمّ يتدرّك من بدر إلى هلال. فيختفي ليظهر ويظهر ليختفي وفي كلا الحالين ذو مزاج لدن اللبّ أملس القشرة ولذا فهو مطاطي القلب يملص من كل عِشْرَة. وهذه العواطف الزئبقية

ذات المشاعر الهلامية والأحاسيس المزاجيّة، تجعله يخلص فقط لذاته ويهتّم فقط بحياته وحياة من يعتبرهم جزءاً منه ولا غنى عنهم، ويكمل تكوين جسم الحيّة فيصبح أهلاً للزواج في سنّ السادسة والعشرين. والحية ملكة الحركة لدنة مرنة، سمكة لا تُمسكها شبكة، حرّة مرّة لا تقبل قيداً ولا شرطاً، وأيّة غلطة قد توقعك معها في ورطة. تحبّ أن تعتمد على قواها وأن تعيش على هواها. إنّها سلاّلة فلاّلة، تهلّ وتنسلّ على اللس اللس، وتنسّ وتندسّ بلا صوت ولا حسّ. وتسلت وتفلت رشيقة رقيقة، تميس وتتمايس غنجاً، وتميل وتتمايل كرجاً. وتتماوج وتموج موجاً. وتتثنّى وتتغنّى دلالاً وتتلوّى وتتسوّى سحراً حلالاً. وتتراقص كلهبٍ. إنّها قلم ذهب، وكمالها أعجب عجب. نشّابة نقّابة لا تعرف الكسل ولا تحبّ الشلّ والبلّ في العمل. بل تعشق الإتقان وتعمل كلّ ما في الإمكان ليصير عملها أحسن ممّا كان. وتكره الخذلان ونطّاطي الحيطان ومشربكي الخيطان. ويجنّها التأخّر والتأمّر واللامبالاة والمغالاة في التأثّر. ولذا فهي كثيرة الشكوى والتذمّر. تونّ وتودّ وتزنّ وتبرّ وتحرّ وتنحرّ وتونون وتوسوس وتوشوش وتوظّ وتوظوظ وعلى أسنانها تكِزّ وتكزكز، إنّها لا تقدر أن تخفي مشاعرها، وتظهر عليها حيرتها وغيرتها مهما حاولت أن تسترها وما في قلبها على وجهها، تروح وتلوح مثل كتاب مفتوح، ولكنّ سطوره رمزية المعاني مُبطَّنة المباني تحتمل أكثر من تأويل. وقد لا يصل أي تحليل إلى تعليل أفعالها أو ردود أفعالها فهي نسيج لحالها. ودُس على ذنبها تَر عجبها. فلا غضب يفوق غضبها وبالتالي لا يبرد دمها حتّى تبصق سمّها، على أنّها إذا تزوَّجتْ هدأت ومالت إلى الاعتدال في كافّة الأحوال. وصارت امرأة ومرآة مخلصة وحريصة على سعادة أسرتها. ويكمل تكوين جسمها فتصبح أهلاً للزواج في سن الرابعة والعشرين. إذن الحيّة أنبوب مطبق وصندوق مغلق فيه ما فيه. ولا يعرف ما فيه إلا صاحبه الذي يتكتّم في التكلّم ويتحفّظ في التلفّظ. ويداهن الجميع ويهادن الجميع ليربح الجميع فيتصنّع ويتقنّع. ويتظاهر بالرضى ليستفيد ممّا مضى. ويشتري ولا يبيع حتّى لا شيء عليه يضيع. فلا تقدر أن تأخذ منه حقّاً ولا باطلاً. وكم يقول حقّاً ويريد به باطلاً وكم يقول باطلاً ويريد به حقّاً! وكم يعمِّق شقّاً ليشقَّ عمقاً! فيتداول ويداول ويتحايل ويحاول بالكولكة والسكسكة أن يحقّق أهدافه السرّيّة. ودمتَ

فائقاً رائقاً، يا أخي الحيّوت! ودمتِ عليمةً حكيمةً، يا أختي الحيّة!

إهداء اختتامي

إلى روح أوجين بورصلي
صاحب الفضل الأوّليّ
ومن نبعه استقيت هذا التصنيف.
إلى علماء قاموس الرموز
الأحياء منهم والأموات
كتاب كنز الكنوز
كم أناروا به ظلمات!
وعلى أكتافهم اتّكأْتُ بهذه التعاريف
وإليكم: يا كلّ أساتذتي في المدرسة والجامعة والحياة
باقة إعزاز وإجلال وإكبار وعرفان
مختارة من بستان الوجدان
عسى بذكرنا من علّمونا
يذكرنا من علّمناهم
أدام السلام صفاهم
حتّى وإن نسونا.

فهرس زيج الأرواح التائهة

الروح	الطبع	تاريخ الولادة	ساعة الولادة	العمر	صفحة
المحوريّة	الثعلب	النصف الأوّل من كانون الثاني	الرابعة والعشرون	الخامسة والتسعون	9
الفحلة	الأرنب	النصف الثاني من كانون الثاني	الواحدة	عمر الرضاعة. مئة سنة	15
الغاوية	القطّ	النصف الأوّل من شباط	الثانية	الأربع سنوات	19
الودّيّة	الكبش	النصف الثاني من شباط	الثالثة	الثماني سنوات	25
البطوليّة	الثور	النصف الأوّل من آذار	الرابعة	الثانية عشر	29
النمرودة	المعز	النصف الثاني من آذار	الخامسة	السادسة عشرة	35
الفعّالة	الحصان	النصف الأوّل من نيسان	السادسة	العشرون	41
الصارمة	الضبع	النصف الثاني من نيسان	السابعة	الخامسة والعشرون	49
الأمينة	الكلب	النصف الأوّل من أيّار	الثامنة	التاسعة والعشرون	55
الفطريّة	اللقلق	النصف الثاني من أيّار	التاسعة	الثالثة والثلاثون	61
المرحة	الديك	النصف الأوّل من حزيران	العاشرة	السابعة والثلاثون	67
الأريحيّة	الغزال	النصف الثاني من حزيران	الحادية عشرة	الحادية والأربعون	73
العاليّة	النسر	النصف الأوّل من تمّوز	الثانيّة عشرة	الخامسة والأربعون	81
المتطوّرة	الزراف	النصف الثاني من تمّوز	الثالثة عشرة	الخمسون	89
الفهلويّة	النعام	النصف الأوّل من آب	الرابعة عشرة	الرابعة والخمسون	93
النورانيّة	الطاووس	النصف الثاني من آب	الخامسة عشرة	الثامنة والخمسون	99
المتشنِّجة	الذئب	النصف الأول من أيلول	السادسة عشرة	الثانية والستون	105
الغطرسيّة	الدّبّ	النصف الثاني من أيلول	السابعة عشرة	السادسة والستّون	111
الأسطوريّة	الفيل	النصف الأوّل من تشرين الأوّل	الثامنة عشرة	السبعون	117
المادّيّة	الجمل	النصف الثاني من تشرين الأوّل	التاسعة عشرة	الخامسة والسبعون	123
الحماسيّة	السبع	النصف الأوّل من تشرين الثاني	العشرون	التاسعة والسبعون	131
الخفيفة	القرد	النصف الثاني من تشرين الثاني	الحادية والعشرون	الثالثة والثمانون	137

الحلوة	النمر	النصف الأوّل من كانون الأوّل	الثانية والعشرون	السابعة والثمانون	145
الطويلة	الحيّة	النصف الثاني من كانون الأوّل	الثالثة والعشرون	الحادية والتسعون	151

مواقف من الحالات

نفذ كتاب الحالات للشاعر سمير طحان بعد تسعة شهور من صدوره وقد استطعنا أن نجمع المواقف التالية من الحالات مرتَّبة بحسب تسلسل النسب المئوية.

20% موقف العادلين

شكر العادلون سمير لإطلاعهم على الحقائق بصراحة وموضوعيّة وأمانة دون أيّ مواربة أو تحامل أو إدانة ودعوا إلى خطوات فردية أو جماعيّة لإعادة الأمانات إلى أصحابها ولعدم ترك الخائنة تتمتع بثمرة خيانتها.

19% موقف المظلومين

قرأ المظلومون الحالات بشغف ولهفة فوجدوا فيه تعزية كبيرة إذ لمسوا أنهم ليسوا مظلومين وعلى مبدأ: الذي يرى مصيبة غيره تهون عليه مصيبته ودعوا الله أن ينتقم من الظالمين والظالمات.

18% موقف الظالمين

شنَّ الظالمون حملة شعواء ضد سمير على إصداره الحالات لأنهم رأوا فيه سابقة خطيرة تهدِّد مصالحهم فقد يأتي أحد ويكشف ظلمهم كما كشف سمير ظلم زوجته فعند الظالمين المظلوم يجب أن يأكل هوا ويقول بقلاوة أو يأكل هوا ويسكت إما أن يأكل هوا ويقول طعميتوني هوا فهذه كارثة وظاهرة خطيرة تعطي الحقّ للمظلوم بأن يصيح فيفضحهم ويعطّل مصالحهم.

12% موقف اللامبالين

ما قرأ اللامبالون الحالات واعتبروه تصفية حسابات بين سمير وزوجته وأنّه يبحث مشكلة خاصة وهم عجزانون عن مشاكلهم وما ناقصهم توجيع رأسهم بمشاكل غيرهم.

11% موقف المتديّنين

جرح الحالات مشاعر المتديّنين وخيَّب آمالهم بسمير الشاعر البطل فنزل من عيونهم لأنه خالف المبادئ الدينيّة فالمسيح يقول: لا تدينوا لئلا تدانوا وقد غفر للمجدليّة وسامح الذين صلبوه ودعا إلى محبّة الأعداء ومباركة اللاعنين ثم إن رسول الله قال: إن رأيتهم بعيونكم فاستروا بذيالكم وإن ابتليتم بالمعاصي فاستتروا وطلّقوها بإحسان. وكان أشرف لسمير أن يحمل صليبه ويمشي ساكتاً ويوكل أمره إلى الله فعند الله لا يموت الحقّ.

6% موقف المتحفّظين

شكّك المتحفظون في صحَّة ما ورد في الحالات وتساءلوا: ما أدرانا أنّ ما ذكره سمير من وقائع حسب زعمه ليست اختلاقاً من خياله لفّقها ليشدّ اللحاف إلى طرفه؟ الوارد في الحالات قد يكون باطلاً ولذا فضّل ألا نحكم لئلا نظلم.

5% موقف الجهلة

ما قرأ الجهلة الحالات وهم ينقلون ما يسمعونه من آراء – باردة ساخنة – أو يفبركون آراء تناسب عقلياتهم دون فهم أو إدراك.

4% موقف المتفائلين

اعتبر المتفائلون الحالات تكملة للخير بدأه سمير مع منى فبعدما طمأن قلقها وأمّن لها بيتاً ملآن وممتلئ وشاليه وأرض وأموالاً في المصارف الأجنبيّة والسوريّة وراتباً هو ذا يؤمِّن لها بالحالات الدافع لتعيش سعيدة بالصلاح إذ أنها منذ صدور الحالات فصاعداً ستصلح

سيرتها وتحسّن سلوكها وتفعل الخير لتثبت عكس ما ذكره سمير في الحالات.

3% موقف الحاقدين

هاج الحاقدون وماجوا عند صدور الحالات فقد اعتبروه من الأدب الحاقد خالياً من الأخلاق النبيلة متخماً بالمشاعر الحقيرة يطفح بالبغضاء والشحناء والرغبة في الانتقام ودعوا إلى محاكمة سمير أمام القضاء لأنه نشر أصوات الناس دون أن يأخذ رأيهم أو يطلب منهم غذناً.

2% موقف النقّاد

أجمع النقّاد على أنّ الحالات رواية في أصوات نسيج وحدة وجنس جديد في عالم الرواية وأنّ سمير نجح في تحويل التجربة الخاصّة إلى وعي عام وأنّ ما فيه من وقائع فاضحة ومن كشف لأمور عائليّة حميمة يدخل في صلب بنية الرواية حتى يكاد يشكّل لنواة العمل الروائي علاوة على أن الصارخ من الألم معذور ومن حقّ المقهور يصيح فالأدب تقرير وقائع فإذا نقل الأديب واقعاً فاضحاً فما عليه لوم ولا تثريب لأنّ ناقل الكفر ليس بكافر.

اللغم أخذ عينَيه ويدَيه وترك له الشعر والموسيقى

في حلب الآن قلعتان: القلعة وسمير طحّان

مجلّة ليالي الشام. العدد الأوّل – تشرين الثاني 2003. مها إبرراهيم شعباني.

لأن الموضوع أُثير أكثر من مرّة.. فلا حاجة لفلسفته.. أبداً.. فالفنّان العربيّ. وفي معظم الأحوال. يبدأ فقيراً.. ويعيش مخطئاً بشعوره بالاطمئنان.. ثمّ يرحل فقيراً وفي معظم الأحوال أيضاً.. وتلتزم (ليالي الشام) بتسليط الضوء على هذه الشخصيّات الفنّيّة الشهيرة لكشف الجوانب غير المعروفة في حياة هذه الشخصيّات التي منحتنا الدفء أعواماً.. وأعواماً.. كما منحتنا رغبة زائدة في احترام الفنّ والفنّانين الذين جسّد الشاعر الغنائيّ سمير طحّان الجانب النضالي والوطني منهم. فهذا الفنّان.. وبالرغم ممّا أصابه أثناء مشاركته في حرب الاستنزاف 1967 استطاع.. باعتباره فنّاناً تتفاعل في داخله مشاعر وأحاسيس مرهفة في صدقها.. أن يحوّل مصيبته إلى عمل مفيد وممتع يُخرجه ممّا هو فيه بتحدّ يُثبت الفنّان من خلاله قدرته على تجاوز الصعوبات وتخطّي ما يعترضه من عقبات استمراراً في التفاؤل من أجل بناء المستقبل الوطني حرباً وسلماً.

يؤكّد سمير طحّان دائماً على أنّ انفجار اللغم الذي كان يزرعه على الحدود الفاصلة مع العدوّ والذي أفقده عينّيه ويدّيه عام 1970، كان حدثاً جميلاً في حياته (يتمنى لو يتكرر)، وكم كان الرئيس حافظ الأسد محقّاً عندما أطلق على الشاعر سمير طحّان اسم (الشهيد الحيّ).

سمير طحّان.. كان ذو شهرة عالميّة فله مؤلّفات عديدة بالعربيّة والإسبانيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة، طبعها كلّها على نفقته الخاصّة وبعرق جبينه وجهده الشخصيّ.. إذ لم تمنعه الإعاقة الجسديّة ولا الانهيار المادّيّ الذي ألمّ به بعد زواج مرير وهجران أمرّ من متابعة عمله كأي

إنسان في تدريس اللغات الحيّة التي يتقنها إضافة إلى تدريسه الفلسفة والأدب والفنّ للطلاب الذين يختارونه عن معرفة مسبقة بما لديه من ثقافة واسعة.

ولأنّ سمير طحّان جنديّ محبّ لوطنه، كما أسلفتُ، فهو يعمل الآن على دراسة الأدب الشفويّ السوريّ، وما يتعلّق به من علوم اللسانيّات لجمعها في مؤلَّف ربّما يكون شبيهاً بمؤلَّفات خير الدين الأسدي المعروفة عن حلب.

فنون الفنّان المناضل المتنوّعة، وتمكّنه من الإحاطة العلميّة بها جعله الأب الروحيّ للفنّانة ميادّة بسيليس وزوجها الملحّن سمير كويفاتي اللذين اعتمدوا شعره المحكي والفصيح في أغانيهم مثل: يا غالي.. ويا طيّوب.. وبيني وبينك.. وخلّيني هيك.. وحقّك علينا.. ورحّ دايماً اهواك.. وهوى تاني.. ويا طير يا طاير.. وحَنينة.. وعادي.. ولو مرّة حبّينا.. وتلجك دفّاني.. وروحي.. وآه لو تغمرني.. وشجرة العيد.. وحنين.. والفنّ باقٍ.. وصمتاً صمتاً.. وهاتي السلام.. وباقيين.. وأغاني أخرى لفنّانين آخرين كتب لهم باللهجة السوريّة مُظهراً قدرة هذه اللهجة الجميلة على التقاط الصورة ومُبيّناً ذلك بِجِرَفيّة لكلّ من يكتب ويغنّي بلهجات عربيّة أُخرى. هذا بالإضافة لشارات المسلسلات الدراميّة المعروفة مثل: أيّام الغضب.. أخوة التراب.. هوى بحري.. يوم بيوم.. نساء صغيرات.. قبل الغروب.. أبناء القهر.. حنين.. ومسلسلات أخرى كتب لها الطحّان ببراعة وتميّز حقّق من خلالها التزاوج المطلوب بين الموضوع الدراميّ والذات الغنائيّة.

مؤخّراً.. قامت لجنة سيّدات الأعمال في غرفتَي تجارة وصناعة حلب بتكليف سمير طحّان بكتابة أشعار وأغاني أوبريت (هي المشرق) التي لحّنها سمير كويفاتي وغنّتها ميّادة بسيليس.. والذي قدّمته فرقة الشهباء للرقص بقيادة جيرو كججيان على مسرح القلعة.

القائد الخالد قال ذات مرّة: (في حلب الآن قلعتان: القلعة.. وسمير طحّأن!) والقائد الخالد المعروف برعايته للمبدعين.. والذي أمر بمداواة الموسيقار عاصي الرحباني.. هو الذي أوفد الشاعر البطل سمير طحّان إلى إسبانيا في رحلة العلاج إذ كان الشاعر طريح فراش النصر.. في مشفى المزّة العسكريّ، بعد حادث انفجار اللغم الذي كرّسه بطلاً تفخر به سوريا.. وشاعراً تتبعه القلوب، كما تتبع الفراشات النور.

م. إ. ش

الأعمال المطبوعة على نفقة الكاتب

ولاويـل بـردى: حلـب 1967 – مجموعـة شـعريّة تُعـالِج مشـكلة الفقدان.

فيلاس دي التاميرا: مدريد 1978 – رحلة شعريّة بالإسبانيّة ترصد حركة العناصر والكائنات عبر أطوار السحر والدين والفلسفة والعِلم.

هنـاهين قُوَيْـق: حلـب 1980 – مجموعـة شـعريّة تُعـالِج مشـكلة النكران.

الحكواتي الحلبي: حلب 1981 – مجموعة حكايات شعبيّةة سوريّة مُفصَّحة.

القصّاص الحلبي: حلب 1982 – مجموعة قصص شعبيّة سوريّة مُفصَّحة.

شَـفَويَّات سـوريّة: حلـب 1996 – منتخبـات مـن الأدب الشـفويّ السوريّ مُتَرْجَمَـة إلـى الفرنسيّة مـع تنفيذ للترجمـة، مـع الدراسـة لظـاهرة اسـتخدام العامّـة لغـة القواعـد الصـرفيّة والنحويّـة فـي حيـاتهم اليوميّـة، بالاشتراك مع الدكتور يانيك لوفران عالم اللسانيّات الفرنسيّ.

أنـا بحكـي عربـي سـوري دارج: حلـب 1997 – منهجـان لتـدريس اللهجة العربيّة السوريّة الدارجة للأجانب. يتـألّف من كتـاب وثلاثـة أشرطة تضمّ ثلاثين درساً تُعطـي خـلال ستّين سـاعة، بالاشـتراك مـع أخيـه مـروان طحّان.

الحـالات: دار كنعـان دمشـق 2001 – روايـة فـي أصـوات تُعـالِج مشكلة الخذلان.

تحت الطبع:

العين الثالثة: أكون الألوان.

مجمع العمرَيْن: سيرة موضوعيّة.

صدر عن دار كنعان 2000 - 2001 - 2002 - 2003 - 2004

	عنوان الكتاب	المؤلف / المترجم
1	قضايا وشهادات / سعد الله ونوس (بحث)	مجموعة باحثين
2	الجنرال (رواية)	آلان سيلتو
3	العقلانية العملية (فلسفة)	بيير بورديو
4	بابل والكتاب المقدس (تراث)	جان بوتيرو
5	الرقص مع الذئاب (سينما)	نك يانغ
6	البحث عن السيد جلجامش (مسرح)	محمد سيف
7	السيرة المفتوحة للنصوص المغلقة ج1 (فلسفة)	خالد آغة القلعة
8	السيرة المفتوحة للنصوص المغلقة ج2 (فلسفة)	خالد آغة القلعة
9	السيرة المفتوحة للنصوص المغلقة ج3 (فلسفة)	خالد آغة القلعة
10	وعليك تتكئ الحياة (شعر)	ممدوح عدوان
11	وحوش العاطفة (شعر)	لقمان ديركي
12	بيان ضد الأبارتايد (سياسة)	د.محمد حافظ يعقوب
13	القيمة والمعيار (نقد)	يوسف سامي اليوسف
14	من دولة الإكراه إلى الديمقراطية (سياسة)	عماد شعيبي

15	القلم والسيف (سياسة)	إدوارد سعيد
16	عباس كياروستامي/فاكهة السينما الممنوعة »سينما«	فجر يعقوب
17	جماليات اللفظة »نقد«	د. علي نجيب إبراهيم
18	بين الإسلام والغرب (فلسفة)	مكسيم رودنسون
19	من قريب من بعيد (فلسفة)	كلود ليفي شتراوس
20	صعود وأفول فلسطين (سياسة)	نورمان ج. فنكلستين
21	اعترافات عربي طيب (رواية)	يورام كانيوك
22	ومض الأعماق »مقالات في علم الجمال والنقد«	ت.د.علي نجيب إبراهيم
23	رائحة الأنثى (رواية)	أمين الزاوي
24	مواعيد (شعر)	محمد صارم
25	موكب البط البري (قصص قصيرة)	علي الكردي
26	ضباب البخور (قصص قصيرة)	عمار قدور
27	بؤس العالم (ثلاثة أجزاء) (علم اجتماع)	بيير بورديو

28	المرأة في الإسلام (قراءة معاصرة)	د. برهان زريق
29	الخيال والحرية	يوسف سامي اليوسف
30	شرك الدم	مصطفى الولي
31	جنجر وفريد (سينما)	فيدريكو فيلليني
32	ياءٌ.. وعد على شفة مغلقة (شعر)	إسماعيل الرفاعي
33	ساعي البريد	أنطونيو سكارميتا
34	اسقِ العطاش (شعر)	محمود كفى
35	هيروشيما (شعر)	وفيق خنسة
36	الدعابة المرة (حوارات)	محمد القيسي
37	الضغينة والهوى (رواية)	فواز حداد
38	على غفلةٍ من يديك (شعر)	هنادي زرقه
39	بوح في المتاح (حوارات)	إلياس شوفاني
40	التباس (قصص)	ماهر منزلجي

41	سيكلوجية الحب والعلاقات الأسرية (علم اجتماع)	سيرغي كوفالوف
42	استمرارية التاريخ (رد على نظرية نهاية التاريخ)	عمانوئيل فاليرشتاين
43	حوارات المنفيين (حوارات)	برتولد بريشت
44	الخديعة المرعبة »سياسة«	تيري ميسان
45	مقال في الرواية »نقد«	يوسف سامي اليوسف
46	اللاجئون الفلسطينيون في سورية ولبنان »إحصاء«	نبيل السهلي
47	متى يصبح الإنسان شجرة »نصوص ساخرة«	ماهر منزلجي
48	باب الحيْرة »رواية«	أنيسة عبود
49	صفر واحد »قصص قصيرة للغاية«	رفيق عنيني
50	التدريب على الرعب »مقالات«	خيري الذهبي
51	مداريات حزينة »علم اجتماع«	كلود ليفي شتراوس
52	جزيرة الهدهد »شعر«	صبري هاشم
53	أطياف الندى »شعر«	صبري هاشم

54	الحصار »سياسة«	مازن النقيب
55	نساء في الحرب »مسرح«	جواد الأسدي
56	فلامنكو البحث عن كارمن »مسرح«	جواد الأسدي
57	آلام ناهدة الرمّاح »مسرح«	جواد الأسدي
58	دلمونيات »شعر«	علي الجلاوي
59	قبلة في مهب النسيان »شعر«	سوسن دهنيم
60	طقوس حافية »شعر«	نجيب عوض
61	محطات الانتظار »سينما«	محمد توفيق
62	عام مضى والانتفاضة تتجذر »سياسة«	تيسير قبعة
63	الحضارة الأوروبية في عصر الأنوار	بيير شونو
64	الريح والملح »قصص قصيرة«	الفارس الذهبي
65	حنين العناصر »شعر«	عائشة أرناؤوط
66	الغاوي »رواية«	بهيجة إدلبي

67	هيبياس الأكبر / محاورة عن الجميل »حوارات«	أفلاطون
68	الكلمة الخرساء »فلسفة«	جاك رنسيير
69	السياسة الأمريكية وصياغة العالم الجديد »سياسة«	عماد فوزي شعيبي
70	تراتيل القيثارة »شعر«	محمد خميس
71	امرأة مرآتها صياد أعزل »شعر«	محمد سليمان
72	سمعت صوتاً هاتفاً »رواية«	وليد إخلاصي
73	حمار المسيح »سياسة«	ت. إسماعيل دبج
74	عشاق الدير »رواية«	محمد الدروبي
75	اليوم الأخير لبيت دمشقي »قصص قصيرة«	طه حسين حسن
76	عالم مختلف »قصص قصيرة«	ماهر منزلجي
77	الوجه السابع للنرد »سينما«	فجر يعقوب
78	فيروز والفن الرحباني »دراسة«	محمد منصور
79	الليل »سيناريو«	محمد ملص

80	الحقيقة والشريعة »تراث«	د.عبد السلام نور الدين
81	تصفيق بيد واحدة »قصص قصيرة«	د. ماهر منزلجي
82	تحولات السينما »سينما«	عدنان مدانات
83	درامية التغيير »دراسة«	قيس الزبيدي
84	عجوز البحيرة »رواية«	تيسير خلف
85	أرواح تائهة / القناع في الطباع »دراسة نفسية«	سمير طحان
86	اقتسام العالم »رواية«	كبير مصطفى عمّي
87	النقد والمجتمع »نقد«	فخري صالح
88	التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول »دراسة«	بيير بورديو
89	للحب رائحة الخبز »شعر«	بهيّة مارديني
90	رعشة المأساة »مقالات في أدب غسان كنفاني«	يوسف سامي اليوسف
91	ذكريات ممنوعة »سياسة«	إيله شوحاط
92	المرأة.. الحب والجنس »رؤية مغايرة«	جبارة البرغوثي

93	أتباع الشيطان »دراسة«	جبارة البرغوثي
94	أشياء لا تُشترى »رواية«	فتحية القلا
95	عطش الرغبة »شعر«	ميادة لبابيدي
96	وعي السلوك »فلسفة«	محمد الدروبي
97	الزهرة والحجر »شهادات«	ماهر اليوسفي
98	خان الحرير »رواية«	نهاد سيريس
99	بينوني »رواية«	كونت هامسن